الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان .

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص:الدراسات الأدبية والحضارة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د)بعنوان:

أندلسيو الجزائر آثارهم و تاريخهم

حاضرة تلمسان- أنموذجا-

من إعداد الطالبة:

- ابن عزوز نبيلة

تحت إشراف الأستاذ:

د/كروم بومدين

أ.د محمد زمري	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د كروم بومدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د هلايلي حنيفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
أ.د خالد بلعربي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
أ.دة ليلى رحماني	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة تلمسان	عضوا
أ.دة عمارة حياة	أستاذة محاضرة"أ"	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية: 1439.1438 هـ/2017 . 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي:

- إلى أعز مخلوقين منذ أن نبض قلبي بالحب،و أحس فؤادي بالحنان،إلى أمي و أبي حفظهما الله وأطال في عمريهما.

- إلى من أنار لي الدرب و كان لي القدوة الحسنة حتى فهمت معنى الثقة و المسؤولية زوجي جمال.

- إلى أعز ما أملك في الوجود إخوتي محمد و غوتي.

- إلى كل عائلة عالم ؛صغيرها و كبيرها.

- إلى كل أصدقائي و زميلاتي في الدراسة و العمل.

- إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي عربون محبة و وفاء.

- إلى جميع أساتذتي من الطور الابتدائي

إلى المستوى الجامعي.

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد،فإنّ أول من أوجه إلية شكري وامتناني هو الأستاذ الدكتور "كروم بومدين"،الذي أفادني كثيرا في إنجاز هذا البحث ولم يبخل علي بتوجيهاته،ونصائحه السديدة والقيمة.

كما أتوجه بالشكر إلى كافة أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها الذين قدموا لي المساعدة، وكانوا لي سندا في إتمام هذه الرسالة.

ولا يفوتني أن أشكر أعضاء اللجنة المناقِشة الذين قبلوا بكلّ تواضع مناقشة هذه الرسالة.

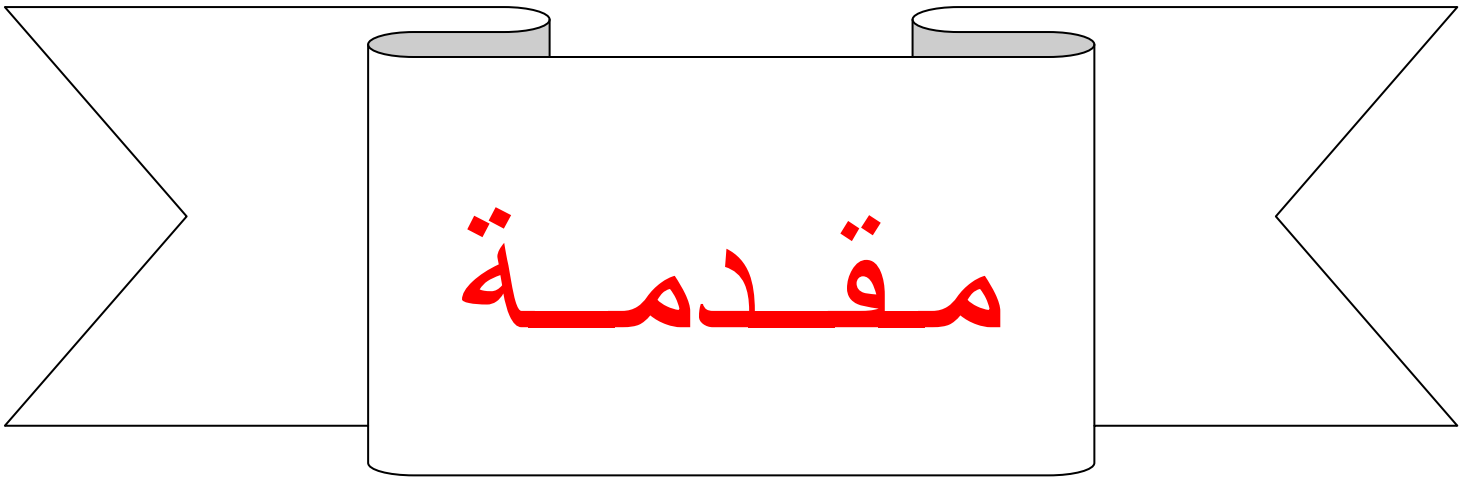
مقدمة

الحمد لله و الصلاة و السلام على خير أنبيائه و رسله محمد النور الهادي و السراج المنير أما بعد:

فإنّ علاقتي بموضوع هذا البحث قديمة نسبيا ،ترجع إلى أيام كنت فيها طالبة في قسم اللغة العربية وآدابها أحضر بحثا لنيل شهادة الماستر بعنوان الحركة الفكرية في الأندلس ما بين القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الميلاديين و فضلها على أوروبا،بحيث كانت لي رغبة في دراسة تلك الحضارة التي غمرت الأرض كلها وأشعلت النور من جديد،و لإحياء هذا التراث و إعادة أمجاد ذلك الفردوس المفقود فبحثت فيها و اطلعت عليها فشدني ازدهارها لتنوع منابعها و تشعب مجالاتها و معارفها،غير أنها لم تعمر طويلا،فقدأفلت شمسها لكثرة الحملات الصليبية عليها خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) فكثر في إثر ذلك الأمراء والخلفاء المتناحرون في الأندلس فدفع هذا الوضع السياسي المتدهور جيوش النصارى إلى اقتلاع الوجود الإسلامي فتعرض مسلموها من علماء وصناع و حرفيين و موسقيين للتنصير والطرد إلى البلدان الإسلامية المجاورة، فعزمت أن تكون الهجرة الأندلسية مجالا لبحثي وبالتحديد ما يتعلق بأندلسي الجزائر آثارهم وتاريخهم ـ حاضرة تلمسان أنموذجا ـ موضوع بحثي في الدكتوراه.

تبين لي أن نعيم هذه الحضارة لم ينته و لم تغب شمسها و إنما بقيت ساطعة في الأقطار الإسلامية بعلمائها و شخصياتها المحبة للعلم و فنانيها البارعين وصناعها المبدعين، و تجارها النشطين والمؤثرين في أوطانهم الجديدة.

ومن هنا حاول بحثي الإجابة على العدة تساؤلات هي كالآتي:

. ماهي الأسباب أوالدوافع التي دفعتهم إلى مغادرة الوطن الأصل بلد أجدادهم الذين ضحوا من أجله بالنفس والنفيس ؟وماهي العوامل التي ساعدتهم على المكوث في بلاد المغربالأوسط؟ وفيم تجلت آثارهم في أوطانهم الجديدة، وبخاصة في حاضرة تلمسان؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعث المنهج التاريخي ووصفي والمنهج الرياضي في بعده الإحصائي للخروج بنتائج دقيقة.

وبعد اجتهادي في جمع المادة العلمية المتعلقة ببحثي اعتمدت على جملة من المصادر و المراجع المتنوعة منها المطبوعة و المخطوطة عربية و أجنبية فاستأنست بكتب نذكرمنها :"بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد"" ليحي بن خلدون"،و "نفح الطيب" " للمقري"،و"المقدمة" "لابن خلدون" و"كناسة الدكان بعد انتقال السكان"" لابن الخطيب"،وكذا إشارات و كتابات الدكتور "حنفي هلايلي" بعنوان "أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي" بالإضافة إلى دراسات" نصر الدين سعيدوني"مثل :"التجربة الأندلسية بالجزائر"،و" مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر" غير أنها معلومات و إشارات على قيمتها جاءت عرضية أحيانا في تقديم صورة متكاملة عن هذه المهجرة،وذلك راجع إلى جملة من المعوقات أثرت في مجريات البحث منها ماهو شخصي لغياب الجو الملائم والضغوطات النفسية ومشاغل الحياة التي كادت أن تفقدني لذة البحث واكتشاف أغواره، وآخرخارجي مثل عدم تعاون عمال المكتبات الجامعية مع الباحث،ضيق الوقت وكثرة

الارتباطات المهنية والعائلية ولكن إصراري على مواصلة البحث زادني قوة وشوقا وتطلعا لإنهائه ،متجاوزة الصعوبات فتمكنت من بناء خطة تتصدرها مقدمة ومدخل يليه ثلاثة فصول و خاتمة فأما المدخل فقد أضأت فيه جغرافية شبه الجزيرة الإيبيرية ؛من حيث موقعها وتضاريسها و سكانها ومراحلها السياسية و مميزاتها الفكرية و العلمية إلى غاية سقوطها .

و أماالفصل الأول فقدخصصته بمباحثه للعلاقات الفكرية الثقافية بين الأندلس و الجزائر مشيرة إلى مدرسة بجاية و مدرسة مازونة و مدرسة الجزائر،كذا المراكز الإشعاعية في الجزائر و الأندلس ودورها في تثمين الروابط الثقافية بين البلدين ثم تعرضت إلى رحلة العلماء المتبادلة بين الجزائر والأندلس.

وخصصت الفصل الثاني للهجرة الأندلسية نحو الجزائر من حيث دوافعهاومراحلها و موقف فقهاء الإسلام منها،و مواطن استقبال الأندلسيين و استقرارهم و طرق اتصالهم بالجزائر كما أشرت إلى الحضور الأندلسي في الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء وثائق المحاكم الشرعية.

وفيما يخص الفصل الأخير للدراسة النموذجية التي تمحورت حول حاضرة تلمسان مبينة تأثير الأندلسي عليها في المجالات الاقتصادية و السياسيةوالعسكرية والاجتماعيةوالعلمية والأدبية و فن العمارة.

ثم أنهيت البحث بخاتمة لخصت فيها ما توصلت إليه من نتائج، وارفقته بملحق لأسماء الأعلام والأماكن وفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

و كانت قراءتي للهجرة الأندلسية قراءة سطحية ،ومادمنا من البشر ، فالكمال لله وحده ولانظّن أنّنا قد جئنا بما لم يسبقنا إليه أحد ،ولكن آمل أن أكون قد أضأت بعض الجوانب من البحث وأسهمت ولو قليلا في إثراء المكتبة الجزائرية بهذا العمل المتواضع.

ولم يتيسر لهذا البحث أن يحقق أهدافه و يبلغ نهايته المكتملة لو لا الجهد المشكور للأستاذ المشرف الدكتور "**كروم بومدين**" لقد كان لي نعم المشرف والموجه والمربي فقد كانت توجيهاته و نصائحه مصابيح هادية في هذا البحث فإليه أقدم خالص شكري و تقديري،كما أوجه خاص امتناني إلى السادة الأساتذة الأفاضل الذين تجشّموا عناء القراءة،وتحملوا مشاق تتبّع ثغرات البحث وعثراته،كي يتسنى لي في ضوء توجيهاتهم سدّ الفجوات وتقويم البحث من الهفوات والزلّات ،لأجل إخراجه في حلة أبهى وصورة أحسن وأجمل،وفي الأخير أسأل الله العون والرشاد فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والله من وراء القصد.

الطالبة:ابن عزوز نبيلة

تلمسان في 2017/05/31

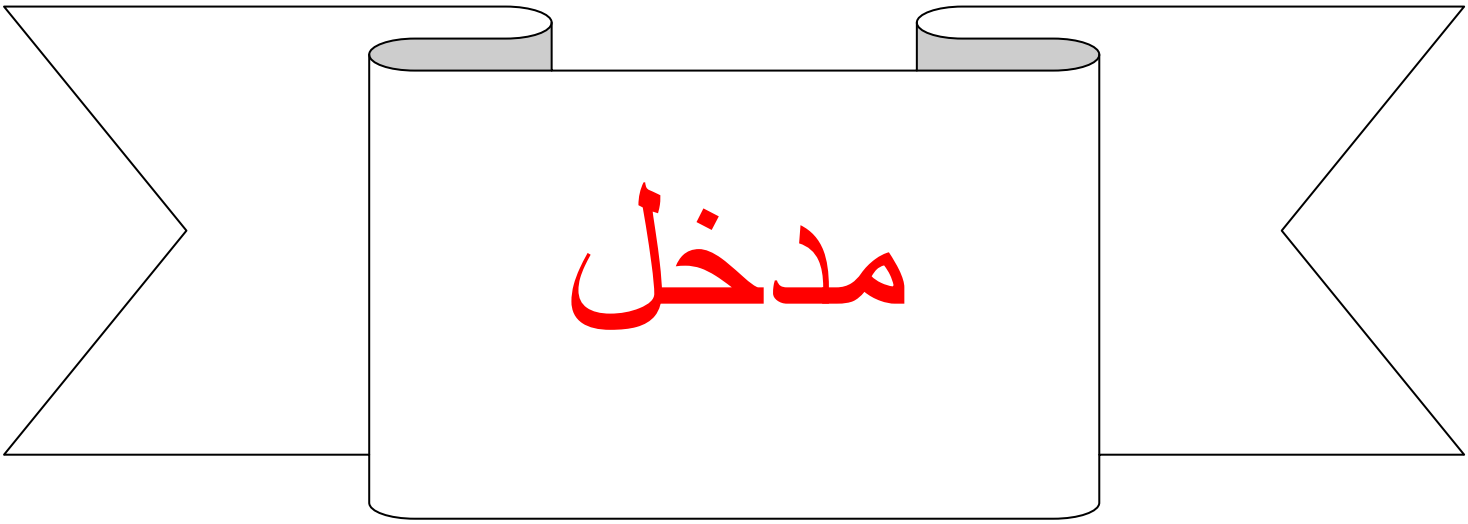

الجذور التاريخية لبلاد الأندلس

إن موضوع المهاجرين الأندلسيين الذي يرجع إلى القرنين السادس عشر و السابع عشر الميلاديين موضوع حي لا يموت لأنه مأساة إنسانية حية لا تموت، فهي شبيهة بمأساة الفلسطينيين لو قارناها بهم في القرنين العشرين والواحد و العشرين بل بمآسي الآلاف من المسلمين الذين أجبرهم الاضطهاد العنصري على التشرد و اتخاذ التقية و عبور الحدود،فهذه المأساة حدثت على مرأى و مسمع العالم الذي كان يشهد عصور النهضة الأوروبية، فالإشكالية المطروحة لماذا بقي مسلمو الأندلس خارج هذا العصر الموسوم من جهة بالنهضة و الانطلاق نحو النور و المعرفة،و من جهة أخرى بالاستبداد والجحود الأعمى،و طردهم من قارة إلى قارة أخرى و حرمانهم من أبسط الحقوق الإنسانية،و مع ذلك تأتي أوروبا اليوم لتعلن للمسلمين أنّها هي معلمة الحضارة و المدافعة عن حقوق الإنسان،وقبل الحديث عن الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب بعامة و الجزائر بخاصة لابد أن أشير إلى جغرافية البلاد ،حتى أميط اللثام عن هذه الرقعة من الأرض، التي أسهمت إسهاما فعالا في ازدهار البشرية جمعاء لما أنجزه أصحابها في شتى الميادين سواء داخل البلاد أو خارجها بعد النفي و التهجير.

فعند تلفظ كلمة الأندلس لابد أن نقف عند مدلولها لما تخفيه من تاريخ،فهي اسم عربي لشبه الجزيرة العربية الإيبيرية التي كانت تعرف قديما باسم إبارية ثم أطلق عليها اسم إشبانية و هو الذي اشتهرت به عند بطليموس[1]. إلا أن هذه التسمية يعتريها بعض الغموض و اختلفت الآراء حولها،فالبعض يرى أصلها أعجميا وينسبها إلى"**طوبال بن يافث**"، و فريق آخر ينسبها إلى الو ندال الذين استولوا على هذه البلاد.

[1]–عن سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس،ط1،دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت، 1998: 13 .

أما موقعها الجغرافي فهي تقع في جنوب غربي أوروبا ،ذات شكل خماسي، و تصلها بالقارة جبال البرانس ويفصلها عن إفريقيا مضيق جبل طارق،تحيط بها مياه المحيط الأطلسي و البحر المتوسط وتبلغ مساحتها سبعة و عشرين ومائتين وألف ميل مربع[1].

تعاقبت على هذه الأرض عدة شعوب بدءا من القرن الحادي عشر ق.م سلالات الهند الأوروبية وأطلق عليهم الرومان بالغالبين،ثم نزلها الفينيقيون في القرن العاشر ق.م و بنوا فيها عدة مدن،[2]إلى أن فتحها المسلمون يوم 05 رجب سنة 92هـ/711م وعمروها ما يقارب الثمانية قرون مقسمة إلى مراحل أولهما:

مرحلة الولاة:حكمها ما يقارب الأربعين واليا، ثم **عهد الإمارة** :تبدأ من عهد "عبد الرحمان الداخل" و انحصرت مابين(138 هـ-316هـ/755 هـ-929م)، وبعد ذلك **عهد الخلافة** :و كانت مابين (316 هـ-422 هـ/929- 1031م).

و بعد هذه الفترة جاءت مرحلة ملوك الطوائف فتفككت الأندلس إلى دويلات سياسية، بحيث أصبح لكل أمير دويلة خاصة به، و انقسم المسلمون إلى أكثر من عشر ممالك، مما ساعد الإسبان الاستيلاء على مدائن الأندلس من هذه اللحظة بدأت عمليات الهجرة، هذا ما جعلني أقف على هذه المراحل حتى أبين الظروف الأولى للهجرة الأندلسية[3].

[1]-عن سهى بعيون ،إسهام العلماء المسلمين في الأندلس ،ط1،دار المعرفة بيروت،لبنان، 1420 هـ / 2008م:47.

[2]- عن مجدي فتحي، تاريخ الإسلام و المسلمين في بلاد الأندلس ،(د.ط)دار الصحابة للتراث،طنطا، 2001 م :16.

[3]- ينظر عبد المنعم الهاشمي ،الخلافة الأندلسية، ط1،دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان:589.

ثم جاء **عهد المغاربة** بحيث تحولت الأندلس بعد انهيار الخلافة الأموية و تقسيمها إلى دويلات صغيرة ولاية تابعة للمغرب[1]،ثم تلاه عصر بني الأحمر مؤسسي الدولة النصرية بقيادة" محمد بن يوسف بن محمد بن نصر الأحمر الخزرجي" إلى أن سقطت و سلمت يوم 02 يناير 1942 هـ / 02 من ربيع الأول 897 هـ، وفي هذا اليوم دخل الملكان" إيزابيلا و" فردناند" إلى غرناطة، وتسلما مفاتيحها؛ وانتهت بذلك دولة الإسلام بالأندلس .

لقد كان للمميزات الاقتصادية و الفكرية و العمرانية لبلاد الأندلس تأثير فيما بعد في البلدان التي استوطونها بعد الاضطهاد و النفي و التهجير، فطبيعتها هي التي ساعدتها على التطور الاقتصادي ،بحيث كانت الزراعة نمطا إنتاجيا معروفا منذ العهد الأموي و من أهم المزروعات التي وجدت فيها زراعة الحبوب في المناطق الجافة و الزيتون وزراعة الكروم و التفاح والرمان الموز و الأعشاب العطرية

و النباتات التي تستعمل في صناعة الأقمشة،كما اعتنوا كذلك بتربية الحيوانات من خيول وماعز ونحل و كذلك استغلوا المعادن الموجودة بالمنطقة من ذهب و حديد ونحاس،و نظرا لما تتميز به من خصوبة التربة و غزارة الأنهار، أطنب الكثير من الجغرافيين في وصفها مثلما ما ورد عن" **أبي أحمد الأندلسي الغرناطي**"في كتابه" **تحفة الألباب"حيث يقول:" هي أرض شامية في طيبها، تهامية في اعتدالها واستوائها،أهوازية في عظم خراجها وجبايتها، عدنية في منابع سواحلها ،صينية في معادنها، هندية في عطرها وذكائها،وأهلها عرب في الأنساب والمعزة والأنفة وفصاحة اللسان**

[1]-ابن عذاري المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني،محمد بن تاويت،محمد زبير،عبد القادر زرمامة،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان:35.

،وطيب النفوس،وإباء الضيم وقلة احتمال الذّل، والنزاهة عن الخضوع،هنديون في فرط عنايتهم بالعلوم وحبهم لها، بغداديون في طرا فتهم ونظافتهم،ورقة أخلاقهم،ونباهتهم ولطافة أذهانهم،ودرة أفكارهم، نبطيون في استنباطهم المياه،ومعاناتهم للغراسة ،وتركيب الشجر والفلاحة،صينيون في إتقان الصنائع العلمية وأحكام المهن الصورية،تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلامها والنظر في مهمتها".[1]

فبدخول المسلمين إلى بلاد الأندلس تطورت الزراعة بعد ما تعرفوا إلى كنوزها فحفروا آبار و اختطوا السواقي و استفادوا من مياه الجبال،و على هذا النحو عمروا المرتفعات،و أحسنوا طرق زراعة الفواكه، و لا تزال بعض أسماء العربية في أدوات الزراعة إلى يومنا هذا،كما اشتهروا كذلك بالمصنوعات الخشبية والنسيجية. أما فيما يخص التركيبية الاجتماعية للمجتمع الأندلسي فتكونت من عنصرين رئيسيين هما العرب و البربر ، بالإضافة إلى المولدين و النصارى الّذين كانوا يسكنون البلاد واليهود الّذين قدموا للمسلمين عند فتحهم شبه الجزيرة مساعدات جمة ؛فتنوع التركيبة الاجتماعية أسهمت في تنوع العادات والاحتفالات و الملابس والأزياء[2] .

كما كانوا ملمين بمختلف نواحي الحضارة مما هيأ للجانب الفكري المناخ و العوامل الملائمة،وكان لكل عامل نصيبه الخاص في تطورها و تقدمها مكّن العلماء و أصحاب الفكر من إثراء الحضارة

[1]–أبوحامد عبد الرحيم بن سليمان الأندلسي الغرناطي،تحفة الألباب ونخبة الإعجاب،تحقيق إسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة،ط1 ،1413هـ /1993م :72 _73.

[2]–عن محمد عادل عبد العزيز ،الجذور الأندلسية،(د،ط)،دار الغريب للطباعة و النشر،القاهرة،(د،س) : 184.

الإسلامية فبرعوا في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والدينية والأدبية من موشحات و أزجال[1]، وانعكس هذا التطور الفكري على التنظيم الإداري و العسكري و العمراني ، ما جعل فترة الحكم الإسلامي بالأندلس من أخصب فترات الازدهار وبخاصة في فن العمارة و الهندسة و كانت من أهم نوافذ النور و الحضارة للعالم كلّه، و لا تزال آثارها تحدثنا عن تلك الحقبة الّتي مكث بها المسلمون[2]،فرأيت من الضروري أن أعرض هذه اللمحة حتى أبين مكتسباتهم في شتى الميادين جعلتهم يحظون بمكانة مرموقة في البلاد الّتي أقاموا بها،بعد الهجرة .

إلا أنّ موضوع الهجرة لم يحظ بالعناية الكافية لأنّ العدوتين المغربية و الأندلسية كانتا تحت ظل الخلافة الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى انتهاء الدولة الأندلسية، فقد كان التنقل مسموحا به بين البلدين، هذا ما جعل المؤرخين في تلك الفترة لا يولون أهمية قصوى لتلك الهجرات ،و السبب الثاني أنّ أغلب هؤلاء المهاجرين المتجهين إلى شمال إفريقيا في الواقع أفارقة اضطرتهم الظروف الرجوع مع أبنائهم و أحفادهم إلى منبتهم الأصلي والّتي لا زال لهم أصل وعشائر بمواطن متفرقة في بلدان المغرب[3].

إنّ بسقوط جزر البليار بعد حواضر الأندلس مثل" إشبيلية" " و مرسية" و"قرطبة" و"بنسية" في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي جعل جملة من المسلمين يقصدون الأرض الإسلامية

[1]-نور الدين حاطوم ،تاريخ النهضة الأوروبية ،(د،ط)دار الفكر،(د،م)1387ه / 1986 :58.

[2]-عن زيغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب، فاروق بيضون كمال دسوقي،مارون عيسى الحوزمي،ط1،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، 1964 :497.

[3]– عن محمد صالح جون،أثر الأندلسيين في الأدب الموحدي،رسالة دكتوراه،معهد اللغة و الأدب العربي،جامعة الجزائر،1987 :235.

على الضفة الأخرى ،وارتفع عددهم في نهاية القرن الخامس عشر بسقوط غرناطة ،فمن هذه اللّحظة شهد المغرب أحداثا سياسية وعسكرية خطيرة بسبب الحروب الصليبية في المشرق منذ القرن الحادي عشر، و في الفترة ذاتها تعرض مسلمو الأندلس إلى مؤامرات الإبادة و السجن و التنصير بتخطيط من الكنيسة و ملوك الإسبان الأمر الذي دفع بهم إلى الاستنجاد بإخوانهم في البلدان المجاورة،فاندفعت السفن من " المغرب الأوسط"و "مراكش" إلى السواحل الأندلسية الملبية نداء الواجب المقدس،و بعضهم اختار وجهته إلى المشرق،و لكن الأغلبية استقرت ببلاد المغرب وبخاصة في المدن الساحلية في الشمال الإفريقي،[1] و اتخذت هذه الهجرات عدة مظاهر منها :

الهجرة الداخلية: نزح السكان في الأندلس من الأقاليم الساخنة إلى أخرى آمنة،وذلك بعد سقوط"بلنسية" وما يليها من القواعد القريبة في أيدي النصارى؛ فانتقل الكثير من أهلها إلى قواعد الأندلس الباقية في الشرق والجنوب و الوسط ،و عبر في الوقت نفسه الكثير منهم البحر إلى العدوة المغربية و استقروا في مختلف أنحائها .

و قد أذن الخليفة الموحدي الرشيد في الحادي عشر من شهر شعبان 637هـ للمتنقلين من أهل "بلنسية"،و جزيرة" شقر" و " شاطبة" و غيرها بالنزول في رباط الفتح و هي وثيقة تضيء مصير من شردتهم محنة سقوط الأندلس و ما كانوا يتلقونه في أنحاء العدوة من ضروب المساواة و العطف والترحيب.[2]

[1] - Atallah Rima,le royaune abdelouad a l èpoque d'abou hamou moussa 1er et abou tachfin ;Alger,1985.: 49.

[2] – ينظر عبد الله محمد عنان ،عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ،2،ط2،القاهرة، 1064 : 456.

ونفس الأمر حدث مع الأمير الحفصي "أبي زكرياء " بعدما لجأ إليه" ابن الرميمي" طالبا منه النجدة فاستقر بتونس تحت رعايته..

و لا تفوتنا الإشارة إلى حادثة **الهجرة الجماعية** إثر حركة الاسترداد و المتمثلة في سقوط مدينةإشبيلية على يد ملك قتشالة و إخلائها من المسلمين مخصصا لهم أسطول يتكون من خمس سفن كبيرة وثمان صغيرة مشتملة على سائر طبقات المجتمع،و قدرت بعض الروايات عدد المهاجرين بأربعة مائة ألف، فمنهم من ذهب إلى " تونس" ومنهم من ذهب إلى "سبتة"و مختلف تغور المغرب منذ أواخر شهر رمضان 647 هـ.[1]

ونتيجة اشتداد ضغط حركة الاسترداد على المسلمين و الضعف الذي دب في الإمارات الإسلامية في الأندلس وتناحر ملوك الطوائف فيما بينهم و الفتن الداخلية و الهجمات الشرسة من المسحيين وطرد المسلمين و البطش بأسرهم و أعراضهم و أموالهم ،تولدت عن هذه الظروف القاسية و المعاناة هجرات متتالية ؛فقد أخذ المسلمون يتسللون فرادى و جماعات إلى المغرب و كان حظ الجزائر منهم كبيرا وبخاصة تلمسان، ممتهنين لحرفهم من تطريز وتجليد وبناء وحدادة و نجارة وغيرها.

وتدين تلمسان كثيرا لهؤلاء الأندلسيين لجلبهم عصارة حضارتهم إلى المغرب الأوسط وبخاصة ما بين القرن الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين،[2]وكان لهذا التدفق أثر إيجابي في الحياة الثقافية و الاقتصادية ،حيث انتشرت الصناعة و الحرف التقليدية بعض امتزاجها بالصناعة المحلية ،وانتشرت

[1]– عن محمد بن عمرو الطمار ،تلمسان عبر العصور، (د.ط)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984 :214.

[2]–عن عبد الله العنان، ،المرجع السابق:647.

المدارس و الزوايا والمساجد والكتاتيب في معظم المناطق التي حل بها الأندلسيون محدثين ثورة فكرية و ثقافية في معظم الحواضر الجزائرية مثل: تلمسان ومعسكر و مستغانم ومازونة والجزائر و بجاية و قسنطينة ،و حملوا لواء التعليم حتى أصبح جل الجزائريين يحسنون القراءة و الكتابة و هو ما أثار حفيظة الفرنسيين،و قد ظلّت العدوة المغربية بالنسبة للأندلس السند القائم كعادتها سواء في الشدة أو الرخاء .[1]

كما اختارت بعض العائلات الأندلسية تونس مكانا لإقامتها و كونت طبقة ارستقراطية في الدولة الحفصية مع السياسيين و قادة الجيش و العلماء و الأدباء،[2]والّذي يهمنا من استعراض هذه الموجات البشرية القادمة من الأندلس تجاه المغرب، سواء أكانت هجرات جماعية أو فردية هو القدر الّذي أسهمت به هذه الجاليات الأندلسية في بناء صرح الحضارة في بلدان المغرب،و لا تزال عائلات بتلمسان تسمى بأسماء الأماكن الّتي كانت تقطن بها قبل مغادرتها مثل" عقباني نسبة إلى قرية "عقبان"شمال الأندلس،"قرموني" نسبة إلى قرية "قرمونة" غرب الأندلس،"غرناطي"نسبة إلى غرناطة ، و كذلك" قفسي" نسبة إلى قبيلة بالأندلس كانت قاطنة بالثغر[3].و قبل الحديث عن علاقتها مع تلمسان و تأثيرها فيها، لابد أن أعرض لمحة تاريخية عن الدولة الزيانية المنحدرة من قبيلة زناتة*، وسميت نسبة إلى جدهم عبد الواد فاستوطنوا مناطق من المغرب الأوسط يجوبون الصحراء بحثا عن

[1]- ينظر بسام العسلي ،الأتراك العثمانيون و مسلمو الأندلس ،مجلة منار الإسلام،عدد الأول،أوت،الإمارات، 1988 :16

[2]- عن محمد بلحميسي، دراسة حول المريسكيين الأندلسيين في تونس، مجلة تاريخ الغرب،العدد11، مركز ودود ،جوان 1974 :22.

[3]-ينظر حاج محمد بن رمضان ،باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بنوزيان، ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1995 :401.

المراعي،[1] ثم دخلت في طاعة الدولة الموحدية مساندة "عبد المؤمن بن علي" عندما استنجد بهم لرد اعتباره الذي سلبته منه بنو مرين*[2].

فاستغل بنو عبد الواد فرصة انشغالهم بقمع الثورات المناهضة لهم،و بخاصة بعد انهزامهم في معركة حصن العقاب بالأندلس ضد النصارى سنة 609هـ / 1212م،الّتي كانت بداية نهايةالوجود الإسلامي بالأندلس[3]،فعملوا على بسط نفوذهم في ضواحي المغرب الأوسط،و لما أحس الموحدون بخطرهم و نواياهم عملوا على اعتقال جماعة من أعيانهم[4]، و ابتداء من سنة 627هـ/1229م أصبح لبني عبد الواد السيّادة على تلمسان وضواحيها و لكن عندما حاول جابر بن يوسف بسط نفوذه قتل في ندرومة[5]،فخلفه ابنه الحسن ثم تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف الّذي عزل و عين مكانه أبو عزة زيدان بن زيان.[6].

و بعد وفاته بويع أخوه يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1236م،الذي استقل بالحكم،و يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية.

[1]- عن لخضر عبدلي،الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(962،633هـ- 1236- 1554هـ)،دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي،جامعة تلمسان 2001-2005 : 30.

[2]-يحي بن خلدون،بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،1،تحقيق عبد الحميد حاجيات،المكتبة الوطنية الجزائر،1980 :84.

[3]- عن محمد علي الصلابي،أعلام أهل العلم و الدين،أصول الموحدين،دار النشر و التوزيع المكتبة الإسلامية،مصر 2003 : 257.

[4]- عن عبد العزيز سالم،المغرب الكبير،2،دار النهضة العربية، بيروت،1981 :819.

[5]- ينظر ميكوي محمد،الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين،الأول(633-737هـ/1236-1337م) رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية،جامعة تلمسان،2000-2001 :54.

[6]-التنسي، تاريخ ملوك بني زيان ،تحقيق محمد بوعياد ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1988: 116 .

الفصل الأول

الروابط الثقافية بين الأندلس والجزائر قبل الهجرة الجماعية.

- تمهيد

المبحث الأول: مدرسة بجاية الأندلسية.

المبحث الثاني: مدرسة الجزائر الأندلسية.

المبحث الثالث: مدرسة مازونة.

المبحث الرابع:المراكز الإشعاعية في الجزائر والأندلس ودورها في تثمين الروابط الثقافية بين البلدين.

المبحث الخامس: تنقل علماء المغرب الأوسط إلى الأندلس.

المبحث السادس: تبادل الرحلات العلمية بين الأندلس وحاضرة تلمسان.

تمهيد :

في الوقت العصيب الذي كانت تمر به الأندلس كانت الأوضاع في بلاد المغرب الأوسط تتمخض عن قيام دولتين مستقلتين تتمثل في الدولة الحفصية عاصمتها بجاية والدولة الزيانية عاصمتها تلمسان؛فتنافس حكام الدولتين على استقطاب الوافدين والمهاجرين وبخاصة النخبة من العلماء والساسة والأدباء لغرض بعث نسيم الحضارة في دولتيهما ،فازدهرت الحياة الثقافية والفكرية وقويت الروابط وكثرت المدارس فيهما وهذا ما أحاول تناوله في هذا المبحث.

المبحث الأول:مدرسة بجاية الأندلسية.

لقد كان للأندلسيين تأثير بالغ في الحياة الثقافية والإشعاع العلمي في حواضر المغرب طوال فترة الوجود الإسلامي، ابتداء من القرن الثامن الميلادي إلى غاية العصور الحديثة، حيث احتلوا مراكز الريّادة والإبداع في الإسهام الفكري والإنتاج العلمي في كل من القيروان و تونس و فاس ومراكش وبجاية و تلمسان والجزائر واستمروا في العطاء والتأثير على الرغم من المحاصرة والاجتثاث بفعل حركة الاسترداد. و كانت مدرسة بجاية في طليعة المراكز و المدارس الفكرية الأندلسية بالمغرب الّتي أسهمت بفعالية في الحياة الثقافية المغربية في القرنين السادس و السابع للهجرة [1]، لكنّها لم تحظ باهتمام أغلب

1- ينظر ناصر الدين سعيدوني دراسات أندلسية،مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر، ،ط1 ،مطبعة دار الغرب الإسلامي،بيروت 1424هـ / 2003 :101.

الباحثين في مجال التراث الأندلسي،[1]وما ساعد على تأكيد إسهام بجاية العلمي و جعلها مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط جملة من الأسباب هي كالآتي:

1 _ موقع بجاية المتميز من حيث الحصانة الطبيعية: فهي تقع على منحدر جبل قوراية 600م الّذي يصد عنها المهاجمين،وسمح لها بالتحكم في السهل القريب منها حيث يصب نهر الصومام،[2] ومنطلق الطرق البرية المؤدية إلى الداخل عبر وادي الصومام و جبال القبائل بربرية، ويعود تأسيسها على حسب قول العبدري لحدث سياسي وحربي قائلا:" **موضوعة في سهل أسفل جبل وعر،مقطوعة بنهر وبحر،مشرفة عليها إشراف الطليعة متحصنة بهما،فلا مطمع فيها لمحارب و لا مشع فيها لطاعن أو ضارب**"[3]، وذلك فضلا عن موقعها المتوسط على الساحل الجزائري الّذي جعلها مقابلة للسواحل الأوروبية و نقطة اتصال مباشر مع سواحل الأندلس،فقد ارتبطت طوال العصور الإسلامية بموانئ شرق الأندلس مثل طرطوشة* وبلنسية*ودانيةوقرطاجنة* والمرية *هذا ما جعلها المحطة الأولى لعلماء الأندلس في هجرتهم نحو المغرب الأوسط أو انتقالهم إلى تونس أو توجههم لأقطار المشرق.[4]

و مما زاد من أهمية موقع بجاية تشابه إقليمها بإقليم الأندلس الشرقية و الجنوبية من حيث خصوبة تربتها واعتدال مناخها و كثافة الغطاء النباتي ،ما رغب العديد من الأندلسيين في الهجرة إليها

[1]- ينظر ناصر الدين سعيد وني دراسات أندلسية:101.

[2]. الشريف الإدريسي،وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،1 ،الجزائر،1957 :63.

[3]. ابن عذراي المراكشي أبو العباس أحمد ،البيان المغرب في أخبار المغرب،تحقيق ومراجعة ج،س كولان وليفي بروفنسال،1،دار الكتب العلمية بيروت، 2009 :300.

[4]- ينظر ناصر الدين سعيد وني ،دراسات أندلسية:102.

والاستقرار بها بعد اجتياح النصارى لبلادهم إثر هزيمة الموحدين و سقوط الحواضر الإسلامية بالأندلس في أيدي النصارى مثل: قرطبة سنة (633هـ/1236م)وبلنسية سنة(1238م) وإشبيلية سنة(646هـ/1248م).[1]

2- كون بجابة قاعدة للمغرب الأوسط،و ذلك منذ أن أصبحت عاصمة لدولة الحماديين* بعدما اختطها "الناصر بن علناس الحمادي"* سنة (453هـ/1063م) وبنى بها عدة قصور منها قصر اللؤلؤ و قصر النجم وقصر أميمون،و استقر بها رجال الدولة و العلماء و قصدها التجار و طلبة العلم على عهد المنصور الحمادي وخلفائه من ملوك بني حماد،فتوسع عمران بجاية حتى بلغ الجهات العليا المحاذية لجبل قوراية*،و أصبح عدد منازلها يقدر بأربعة و عشرين ألف منزل تتوزع على واحد و عشرين حيا، ينتشر بها اثنان و سبعون مسجدا مثل: مسجد القصبة الأميري وهذا ما ذكره ابن خلدون:"**وفي سنة ستين (1067 م) افتتح الناصر جبل بجاية،وكان فيه قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم ،واختط به المدينة ،وسماها الناصرية،وتسمى عند الناس باسم القبيلة،وهي بجاية..... ونقل إليها الناس سنة461 هـ**"،[2]و قد كانت بجاية تضم عددا كبيرا من المدارس و الحمامات و الخانات و الأسواق تحيط بها الأسوار العالية وتقربها الأرباض والفحوص و يتضح هذا في وصف البكري:"**بجاية أزلية عامرة بأهل الأندلس**.."[3]

[1]- عن مجدي فتحي ،تاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس ،دار الصحابة للتراث ،بطنطا ،د.ط،د.س، 1142هـ/2001م :125.
[2]-ابن خلدون بن عبد الرحمن،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر،بيت الأفكار الدولية،عمان ،د.ت :1641
[3]-البكري أبو عبدالله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلد إفريقية و المغرب،مقتطف المسالك والممالك،2،تحقيق فن لويفي وأندري فيري،الدار العربية للكتاب،تونس1992 :82.

كل هذه المواصفات الطبيعية و المنشآت العمرانية جعلت بجاية الناصرية منبع إلهام العديد من الأدباء مثل ما جاء على لسان الشاعر" ابن حمد يس الصقلي" (ت927هـ/1133م)بقوله:

عَرّجْ بِأَرْضِ النَّاصِرِيَةِ كَيْ تَرَى شَرَفَ المَكَانَ وقُدْرَة الإِمْكَان

فِي جَنّة غَنَاءَ فِرْدَوْسِيَـــــــةٍ مَخْفُوفة بالرّوحِ والرّيْحَـــــانِ

وتَوَقَّدت بالجَمْرِ مِنْ نَارِ لجّها فَكَأَنّها خُلِقَتْ مِنْ النّيـــرَانِ.[1]

3 – محافظة بجاية على مكانتها في عهد الدولة الموحدية(546- 628 هـ/1152- 1230هـ):

فقد كانت قاعدة الموحدين ببلاد المغرب الأوسط والعاصمة الثانية للحفصيين سنة(628-943هـ/1230-1536م)، وتأتي في المرتبة الثانية بعد تونس و إن كانت تتفوق عليها من حيث إمكانياتها الاقتصادية وحصانتها الطبيعية و ارتباطها المباشر بالأندلس،و هذا ما جعل مؤسس الدولة الحفصية "أبو زكريا يحي الأول"(625- 647هـ / 1228- 1249م)يولي بجاية عناية كبيرة، وذلك بتوسيع عمرانها ونشر العلم بها حتى أصبحت تنافس حاضرة تونس،لا سيما في عهد السلاطين الحفصيين الأوائل مثل المستنصر بالله ويحي الواثق بالله...[2]،فشهدت نهضة علمية و فكرية لم يشهد لها نظير في العصر الحمادي و العصور الّتي تلت من بعده،حيث قامت بها مدارس و معاهد علمية ذاع صيتها من خلال كثرة مساجدها و زواياها الصوفية العريقة فنبغ بها علماء أجلاء و فقهاء وشعراء فحول و حكماء متطلعون في الفلسفة و الحكمة و علم التجويد ولغويون ومحدثون أمناء في

[1]- عن رشيد بوروبة ،الجزائر في التاريخ (العهد الزياني)،3،الجزائر،1984 :245.

[2]-ينظر ناصر الدين سعيدوني،دراسات أندلسية: 103.

الروايةو متصوفون في الفقه و رياضيون مبتكرون وطلاب العلم و المعرفة من كل أنحاء العالم الإسلامي؛من الأندلس إلى بلاد فارس و حتى من أوروبا وبخاصة من إيطاليا وجنوب فرنسا و بلاد اليونان، وكان بها ما يقارب تسعين مفتيا في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وهذا حسب رواية أبي حامد الصغير الحسن محمد المسلي، وذكر ياقوت الحموي بأنه حتى العوام في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري والمدونة والموطأ ويشرحونها للناس من ذاكرتهم،[1] و من أبرز علمائها :

*الفقيه الفاضل بن سلمة البجائي (ت319 -931م).

*و الرحالة المقرئ أبو القاسم يوسف البسكري (ت403 -465هـ /1012).

*الفقيه الفيلسوف محمد بن علي بن الرمامة (ت 478 - 567هـ/ 1085-1171م) .

*الفقيه المحدث أبو عبد الله مروان البوني (ت 439هـ/1047م)،واللغوي النحوي الحسن علي التيهرتي (ت 501 هـ/1108م)... .[2] و استطاع هذا الحشد من العلماء و المفكرين في هذا المركز الثقافي أن يطوروا الحضارة العربية الإسلامية من خلال مشاركتهم في نهضتها وتطورها ورقيها و توسيع مجالاتها و مفاهيمها ؛علما و دراية واستيعابا و تأليفا وإبداعا و كان لهم دور هام في إفادة أوروبا بتجارب مهمة في ميدان الطب و العلاج والجراحة و الصيدلة[3].

[1]-عن عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،1،ط3،الجزائر،1982 :123.

2- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:103.

[3]- ينظر يحي بوعزيز،مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارية العربية الإسلامية وفي نهضة أوروبا وجنوب غرب أوروبا،مجلة الحضارة العربية الإسلامية ،المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية،وهران،العدد الأول ،1414هـ/1999 : 10.

و هذا ما جعل بجاية تشارك في بناء معالم الحضارة العربية الإسلامية و إرسائها و إثرائها يتجلى في تقديم الكثير من الأعمال و الإبداعات في مجالات حضارية مختلفة و متنوعة واتستقطابها علماء من العالم الإسلامي وبخاصة بعد اعتماد الولاة الحفصيين على العنصر الأندلسي في تسيير شؤونهم ووضعهم في المراكز الحساسة، ونفوذ بعض الأسر العريقة الّتي كانت لها صلة مع الموحدين أو القبائل الجبلية بنواحي بجاية، وهذا ما أشار إليه "ابن خلدون قائلا:" **كأن شأن المستنصر في الملوك آل حفص عظيما ،طائر الذكر بما افسح من أمر سلطانه،ومدت إليه ثغور القاصية من العدوتين يد الاعتصام به، وما اجتمع بحضرته من أعلام الناس الوافدين على ابنه وخصوصا الأندلس،من شاعر مفلق،وكاتب بليغ،وعالم نحرير وملك أروع،وشجاع أهيش متفيئين ظل ملكه،متناغين في اللياذ به،لطموس معالم الخلافة شرقا وغربا على عهده،وحفوت صوت الملك إلا في إيوانه"**[1]،فبدأ سياسته بتقريب الأندلسيين إليه وتنصيب البارزين منهم في الوزارة مع أنّها احتضنت في بادئ الأمر مشيخة الموحدين ،مما دفع المتضررين منهم إلى تدبير عملية انقلاب ضدهم،ولكنّها باءت بالفشل و تدعيم نفوذ الأندلسيين عن طريق تنصيب ابن أبي الحسن على سد الوزارة ليكون له نصيب أوفر في تسيير شؤون الدولة الحفصية على حسب ماجاء به ابن خلدون قائلا:"**إن أبا زكريا قد اصطنع منهم؛ أي الأندلسيين رجالا و رتب جندا زاحموا الموحدين في مراكزهم في الدولة**..."[2]وزاد نفوذهم

1-ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأوالخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مراجعة سهيل زكار ،ط1،دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت 6 :432.

[2]- المصدر نفسه 6 :403.

في عهد المستنصر في القرن السابع الهجري متبعا الخلفاء و السلاطين الحفصيين الّذين سبقوه فدعم مكانتهم وأصبحوا رجال البلاط و عمال الدواوين والحجابة و احتكروا المناصب الدينية والتعليمية العليا، وغدا التوظيف الإداري في أغلب الأحيان من نصيبهم، و ظل الوضع على حاله فلم تخرج أمور بجاية من أيدي الأندلسيين نذكر منهم :

***أبو عبد الرحمن يعقوب السلمي:**[1] كان جده قاضيا بشاطبة ،وخرج مع الجالية إلى تونس ، وانتقل ابناه أبو بكر ومحمد إلى قسنطينة ،وولي ديوان القل واستطاع بنباهته وحنكته أن يحتل مكانة عالية عند السلطان أبي البقاء خالد فقلده الجباية ،ثم أعمال الأشغال ،[2] واستطاع التصدي لكل الدسائس مزاحما خصومه من الأندلسيين كأبي عبد الله محمد بن الدباغ الأندلسي الذي تقلد الحجابة سنة (675هـ/1297 م)،[3] ويقول ابن قنفذ :" **كان ابن غمر رئيسا في نفسه ،حريصا على طلب المال،صاحب مكر وحيل"**[4]،أما في عهد أبي عبد الله الحفصي الذي حكم مابين(647_675هـ/1249_1277م) فقد قرب منه يحي بن خلدون (ت 780 هـ 1378م) وقلده منصب الحجابة ثم نقلها إلى أخيه عبد الرحمن بن خلدون،[5]فالمكانة التي احتلها الأندلسيون في السلك الإداري و الوظيف الديني و في المهمات التربوية و شؤون الإمارة ببجاية لم تكن متيسرة لو لا الكفاءة الّتي حازوها و المستوى العلمي الّذي بلغوه والإخلاص الّذي عرفوا به

[1]-عن ناصرالدين سعيدوني، دراسات أندلسية ،المرجع السابق: 105.

[2]-ابن خلدون ،العبر....،المصدر السابق،6 :947.

[3]-الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تحقيق محمد ماضور ،المكتبة العتيقة،تونس،1966 :60.

[4]- ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ،الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،تحقيق الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ،د.ط ،الدار التونسية للنشر،تونس:156.

[5]- ابن خلدون ،ا لتعريف برحلته شرقا وغربا، تحقيق ابن تاويت الطنجي، د.ط ،لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،1951 :98.

والتضامن الاجتماعي و الإحساس بالأصل المشترك و النسب الواحد في دار هجرتهم،الّذي كان يقربهم ويحفظ مصالحهم هذا ما جعلهم يشكلون طبقة متميزة في المجتمع البجائي في القرنين السادس و السابع الهجريين ، والغبريني قال في هذا الشأن:" **كان الناس . ببجاية . على اجتهاد وكان الأمراء لأهل العلم على ما يليق ويراد**"،[1]فالتأثير الأندلسي ببجاية أكسبها طابعا أندلسيا حتى غدت شبيهة بحواضر الأندلس و لم يماثلها في ذلك من بلاد المغرب الأوسط سوى تلمسان الّتي استقطبت هي الأخرى أعداداكبيرة منهم .

و الأثر الأندلسي بدا واضحا في المجتمع البجاوي في عادات السكان و طريقة حياتهم و أسلوب معيشتهم ولغة تخاطبهم وفي أخلاقهم ولطافة مشاعرهم ورقة شعورهم وميلهم الفطري لفنون الموسيقى،فتراجعت اللّهجة المحلية القبائلية لتترك مكانتها للهجة الأندلسية ،رقيقة المخارج و لطيفة العبارات و الغنية بالمفردات[2]، و هذا ما أكده" محمد طالبي" متحدثا عن التأثير البليغ في العادات والتقاليدفي القول:" **ونحن لا شك في أن استيطان الأندلسي الكثيف ببجاية هو الذي جعل منها مدينة تشبه اشبيلية في شغفها بالموسيقى وانصرافها إلى الطرب...**"[3]

و مما يلاحظ على جماعة الأندلسيين أن سيطرتها على الوسط البجائي؛ بثقافتها و ذوقها، يعودإلى عامل تماسكها وقوة تأثيرها وكذا إلى بعض الشخصيات العلمية المرموقة الّتي كان لها تفوق علمي

[1]- الغبريني ،المصدر السابق :85.

2- ينظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق:107.

[3]- عن محمد طالبي ،الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين ،مجلة الأصالة ، العدد 26، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، يوليو 1975 73:

ومكانة أدبية وكلمة مسموعة لدى الحكام، و الّتي عرفت"بمشيخة الأندلس"[1]، كانت الرئاسة فيها لأقدر العلماء و أكثرهم نفوذا و ثروة وجاها مثل:أبي عبد الله الجنان (ت650 هـ)و" أبي بكر بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي" (ت 659 هـ)،و"أبي عبد الله محمد الكتاني الشاطبي"(ت 699 هـ)[2]،فقد كان لهؤلاء الأعلام الأندلسيين مكان يجتمعون فيه للمذاكرة والمناقشة والمناظرة في المسائل العلمية و القضايا الأدبية و اللغوية و الاجتماعية،كما سمح الوضع الاجتماعي المتميز للجالية الأندلسية ببجاية أن تقدم إسهاما فعالا و أن تكون لها مشاركة إيجابية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية ببلاد المغرب، مما ساعد على تأصل التراث الأندلسي والطرق والأساليب العلمية الأندلسية ،حيث مكن من المحافظة على المكتبة العربية الأندلسية بما احتوته من مصنفات في مختلف العلوم التقليدية و العقلية،وكذا ما يتصل منها بأمور الفقه و فنون الأدب و المعارف الرياضية والطبية،و لعل أهم إسهام للمدرسة الأندلسية البجائية في الثقافة الإسلامية بعامة و المغرب الأوسط بخاصة يتمثل في تجديد طرق التدريس وتطوير أساليبه ، حيث تجاوزوا الطريقة المغربية التقليدية المعتمدة على تحفيظ القرآن و رواية الحديث و الاطلاع على مبادئ علوم الشريعة و اللغة وهذا ما أشار عليه ابن سحنون * في كتابه "آداب المعلمين "،مركزا على طرائق التعليم في المراحل الأولى وقسمها إلى قسمين:

. **مواد إجبارية**:مثل تحفيظ القرآن وإعرابه ورسمه وشكله وإتقان معانيه وقراءته قراءة حسنة، وأخرى **اختيارية** ؛فعلى الأستاذ أن لا يجبر المتعلمين على تعلمها، إن لم يشترط الولي ذلك ،وهذه المواد

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني،التأثير الأندلسي:107.
[2]-،المرجع نفسه :108.

تتمثل في :الحساب والشعر وأخبار العرب وأيامهم،[1]معتمدين على أساليب متطورة لا تقتصر فقط على الحفظ و إنّما تولي أهمية خاصة للبحث والتفكير وإلقاء و الأسئلة و المحاورة و المذاكرة بهدف ترسيخ المعلومات في ذهن الطالب،[2]و هذا ما أكده الغبريني على ميلهم إلى التحليل و الاستنتاج والمذاكرة وذكر كلاّ من أبي محمد عبد الحق الإشبيلي و أبي عبد الله محمد بن عمر القرشبي وأبي علي المسيلي الأندلسي"على اجتماعهم بإحدى جوانب حومة المقدسي ببجاية مواظبين على ذلك، حتى عرف ذلك المكان "بمدينة العلم"،[3]و من العلماء الأندلسيين الذين جددوا طريقة التدريس ببجاية:

* **محمد بن إبراهيم الآبلي** :(ت 757 هـ/ 1356م)فرغم قصر المدّة الّتي جلس فيها للتدريس ببجاية، إلا أنّه انتقد غياب الدافع الشخصي للطلاب و المبالغة في الحفظ و الاعتماد المطلق على النصوص الّتي عرف بها المغاربة ،وهذا ما جعله يتحفظ من أساليب علماء عصره الّذين كانوا يعتبرون الطالب وعاء على الأستاذ أن يملأه بالمعلومات الغزيرة في شتى العلوم.[4]

وعلى الرغم من التجديد في طرق التدريس العقلية فإنّ أساليب إسناد الأحاديث ظلّت محافظة على منهجها القديم في عرض الرواية و تصحيح السند و تخريج الحديث و مناقشة الآراء المتصلة بالمسائل الفقهية،فقد جرت العادة أن يقوم أحد الطلبة بقراءة متن إحدى الكتب و يتولى الأستاذ شرحه فقرة فقرة حسب غزارة علمه و سعة ثقافته ، وهذا ما جعل سند المغاربة و في مقدمتهم أهل بجاية متصلا

[1]- ينظر محمد الشريف سيدي موسى،حوليات المؤرخ،العدد 02، 2002،اتحاد المؤرخين الجزائريين،الجزائر:92.
[2]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية :108.
[3]- الغبريني،المرجع السابق:13
[4]- المرجع نفسه:18.

بمشيخة الأندلس وهذا ما بينه ابن خلدون قائلا:"..**هي العلوم الحكميّة الفلسفية ،وهي الّتي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ،ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وإنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ،و بحثه على الصّواب من الخطأ فيها ،من حيث هو إنسان ذو فكر**". [1]و من الأمثلة الحية على دراسة الحديث من قبل علماء الأندلس ببجاية ما ذكره الغبريني أن المنهج الّذي كان يتبعه المحدث الأندلسي كان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله فيبدأ من الصحابي،فيذكر اسمه و نسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته إن عرفت له ثم يتلوه بالتابعي إلى أن ينتهي إلى شيخه...و بعد الفراغ من ذلك يذكر لغة الحديث ويتعرض إلى المسائل الفقهية.....الخ[2].

و لم يقتصر تأثير علماء الأندلس على طرق التدريس و أساليبها بل تعداها إلى أساليب الكتابة ورسم الخط وتأليف الكتب، حيث أصبح النموذج الأندلسي في الكتابة مثالا يحتذى به في اختيار الألفاظ وانتقاء السجع والمحسنات البديعية،فكانت كتابات ابن الآبار و ابن المطرف أكثر شيوعا في ذلك العصر ، وأصبحت مؤلفات "الفتح بن خاقان" و" لسان الدين بن الخطيب" مرجعا للمتأخرين منهم،و غدا الخط الأندلسي أكثر انتشارافي عهد الحفصيين فأهمل الرسم المغربي القديم الّذي حظي بمكانة عالية فيما سبق وذلك لسهولة الخط الأندلسي ووضوحه .

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، تحقيق عبد الله محمد الدّرويش، 2،ط1،مكتبة الهداية ،دمشق،2004 :171.
[2]- عن محمد بن ميمون الجزائري،المرجع السابق:56.

أما فيما يتعلق بطريقة التدريس" فكانت قائمة على المتون و الشروح و التعليقات،فقد اكتسبت هي الأخرى طابعا أندلسيا سواء في طريقة تأليفها أو أساليبها مع المحافظة على أمهات الكتب التقليدية والاستمرار في تدريسها مثل مجامع الحديث"،[1] أما التآليف الأندلسية ما نُقل منها من الأندلس أو ماألف بالمغرب الأوسط بعامة و بجاية بخاصة أصبحت محل اهتمام كبير ،فأقبل عليها الطلبة ولقيت عناية خاصة في مختلف مساجد و مدارس بجاية الحفصية فاشتهر منها كتاب القراءات"لأبي عثمان بن سعيد بن زاهر*"،و "لامية الشاطبي*" و تفسير ابن عطية*" ومختصر" ابن الحاجب*" في الأصول،الّذي لقي رواجا واهتماما من قبل الطلاب، نشروه ببلاد المغرب بعد أن عرفهم به العالم البجائي "ناصر الدين المشدالي*" الّذي أخذ العلم بالأندلس على تلاميذ "ابن الحاجب".[2]

وحتى ألمس الأثر الثقافي لجمهور علماء الأندلس ببجاية عن طبيعة إسهاماتهم في مجال المعرفة والفكر فإنّني أحاول حصر أهم الشخصيات العلمية الأندلسية حسب فروع المعرفة التي اشتهرت بها في الوسط البجائي،مع أن أغلبهم موسوعيون متنوعي الاختصاصات؛ فالعالم بالمنطق له معرفة بمسائل الفقه والمتضلع الفنون الأدبية له مشاركة في التاريخ، و العارف بالرياضيات و مسائل الطب له اطلاع على العلوم الشرعية، و هذا ما يجعل تصنيفهم في قوائم حسب الاختصاص يعتمد أساسا على ما عرفوا به من إسهامات أو ما اشتهروا به من تأليف حسب فروع المعارف الإسلامية التقليدية ؛من تصوف و علم الكلام ومنطق وفلسفة، و الفنون الأدبية اللّغوية من آداب و نحو شعر وتاريخ

[1]. عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية :110.

[2] - المرجع نفسه:111

،و العلوم الشرعية و المسائل الفقهية من أصول و حديث و تفسير و قراءات [1]،بالإضافة إلى العلوم الرياضية و الطبيعية من حساب و فلك و هيئة و طب،وقد استطعت اعتمادا على كتب التراجم العديدة التعرف على أكثر من خمسين عالما أندلسيا استقر نهائيا ببجاية واتخذها موطنا قبل أن يتحول إلى تونس أو ينتقل إلى المشرق حسبما هو موضح فيما يلي:

أ/**العلوم العقلية(علم الكلام و المنطق والفلسفة)**:لقد أصبحت بجاية في العهد الحفصي حاضرة من حواضر العلم في الغرب الإسلامي ونبغ فيها عدد كبير من العلماء في العلوم العقلية نذكر منهم:

***أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الميورقي** (ت1126م) من علماء المذهب الظاهري،له نزعة تحليلية للعلوم و المعارف الفقهية و المسائل الدينية،عرف بتصوفه و زهده نزل بجاية و درس بها سنة 537 هـ ثم تحول إلى المشرق[2].

***أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المرسي الإشبيلي**:دفين مغيلة قرب فاس(ت 543 هـ/1148 م)من العلماء المتصوفين العارفين بالطرق و المذاهب و النحل،انتقد مجتمعه و آخذ معاصريه على عزوفهم عن المعارف الصحيحة،له تآليف عديدة نذكر منها "أحكام القرآن و العواصم من القواصم" و "شرح المريدين "و غيرها،أقام ببجاية مدة ثم رحل إلى سبتة وتونس سنة 497هـ وتعرف على علمائها و اتصل به بعضهم مثل "أبي عبد الله الكلاعي".[3]

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية :111.
[2] - الغريني،المرجع السابق:134
[3]-المرجع نفسه:137.

***أبو علي الحسن بن علي بن محمد المسيلي الأندلسي:** (ت 580 هـ/1184م)جمع بين العلم و العمل والزّهد،عرف بنزعته الغزالية،فلقب بأبي حامد الصغير،أقام ببجاية و اشتهر فيها بسعة معارفه و بتواضعه ومن تآليفه: "النبراس في الرد على من أنكر العباس" و "التذكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"،سلك فيه مسلك "أبي حامد الغزالي*" في إحياء علوم الدين.[1]

***أبو بكر محمد بن عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي:**المعروف بابن الخراط (ت582 هـ/1186م) من الرواة و الفقهاء المحدثين المتفوقين،أقام ببجاية إحدى و ثلاثين سنة مواظبا على التدريس والتأليف و تخرج على يده العديد من العلماء، من مؤلفاته "الأحكام الكبرى و الصغرى " والعاقبة التذكير و كتاب الرقائق والأنيس"..وغيرها.[2]

***أبو عبد الله بن عمر القرشي:**عاش في أواخر القرن السادس الهجري ؛الثاني عشر الميلادي كان عالما في المسائل النظرية، اتهم بالزندقة و قد كانت له مناقشات و مناظرات طريفة مع" أبي علي المسيلي "و "عبد الحق الاشبيلي".[3]

***أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الاشبيلي:** (ت594هـ/1198م) يعد شيخ الشيوخ وإمام الزهاد،قرأ عن محمد الصنهاجي القلعي*، و نشر التصوف بالمغرب، نزل بجاية واستقر بها ما يقارب خمسة عشر سنة ،و أخذ عنه و تأثر به العديد من العلماء،أورد عنه الغبريني قائلا:**"فسارا . أبوعلي المسيلي وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي . إليه إلى أحد مسجديه اللذين كانا يجالسا**

[1]- عن نصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية: 112- 113
[2]- الغبريني . ،المرجع السابق:74.
[3]-المرجع نفسه :113.

فيهما مع بعض خواص أصحابه فدخلا فألفياه يفيض في أمور ويستخرج الدرر من قيعان البحور "،وذكر في كتاب شجرة النور الزكيّة بأنّه أخذ عنه أكثر من ألف شيخ استقدمه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور إلى مراكش فتوفي في الطريق و دفن بالعباد بتلمسان.[1]

***أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي**: (ت 637هـ/ 1239م)عالم عارف بالمسائل الفلسفية، نزل بجاية ثمّ غادر إلى المشرق حيث توفي بالشام.

***أبو عبد الله محمد بن علي الطائي المرسي**: (ت 640هـ/1242م)، نزل بجاية و درس بها والتقى بأبي مدين شعيب سنة 590 هـ وأخذ عنه و اعتبره من مشايخه،تحول إلى تونس و منها إلى المشرق،من كتبه "الفتوحات المكية".[2]

***أبو فضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي**: (ت 662هـ/1262م)عرف بعلمه واشتهر بزهده وصلاحه وأخذ عنه و تأثر به بعض علماء بجاية.[3]

***أبو الحسن علي النميري الششتري الأندلسي** : (ت 668هـ/1269م)عرف بكثرة معارفه الفقهية وآرائه الصوفية و نزعته الفلسفية،أقام ببجاية مدّة و تعرف فيها على ابن السبعين و درس بها ثم غادر إلى المشرق حيث توفي بدمياط بأرض مصر.[4]

[1]- عن محمد بن ميمون ،المرجع السابق:14

[2]– عن ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية:114.

[3]- الغبريني ،المرجع السابق : 25

[4]- المرجع نفسه:110.

***أبو محمد بن الحسن بن إبراهيم بن سبعين المرسي**:دفين مكة المكرمة الفقيه العارف الفصيح البارع ،من أهل مرسية ،له علم وحكمة، سكن بجاية ، لقي علماء أجلاء انتفعوا منه في مختلف العلوم توفي يوم الخميس التاسع من شوال عام(699هـ/1270م)تاركا عدّة رسائل. [1]

***أبو الحسن عبد الله بن أحمد الأزدي الرندي الأندلسي**: (ت 691هـ/1292م) عرف بعلمه وتصوفه،قدم بجاية و استوطنها و درس بها و أخذ عنه بعض علمائها مثل الغبريني، كان على سنن الفقهاء وعلى طريقة المتعبدين الصلحاء .[2]

***أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي الأندلسي**: (ت 757هـ/1356م)من أسرة أندلسية نشأ بتلمسان تعلم بها فتفوق في الرياضيات و العلوم العقلية و برز في المنطق، خدم أبا حمو الأول،التحق بمجلس بلاط أبي الحسن المريني و انتقل إلى تونس و أقام ببجاية وثم انتقل إلى فاس وتوفي بها ، و تأثر به علماء أجلاء مثل :يحي و عبد الرحمن بن خلدون و بن مرزوق الجد والسعيد العقباني وبن الصبيغ المكناسي و أبو عبد الله الشري و غيرهم[3].

ب – العلوم الشرعية (الفقه و الأصول و الحديث و التفسير و القراءات):ورد التطور الفكري في بجاية في سياق زمني مهم تميز بوصول الحضارة العربية الإسلامية إلى قمتها في الأندلس وسقط بظلاله على قلعة بني حماد فازدهرت بها الحياة العلمية محققة نهضة كبيرة في مجال العلوم

1- التنبكتي أحمد بابا ،كيفية المحتاج لمعرفة من ليس له الديباج،ظبط وتعليق أبو يحي عبد الله الكندري،دار الحزم،بيروت،ط 1422،1هـ/2002م :206 .

[2]- الغبريني ،المرجع السابق:122.

[3]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية : 115.

النقلية ومن العلماء الذين كان لهم إسهامات فقهية:***أبو العباس أحمد بن زاهر الداني**: (ت 532هـ/1137م)من علماء الحديث قدم من الأندلس ومر بقلعة بني حماد ثم استقر ببجاية[1].

***أحمد بن عبد الملك الأنصاري الظاهري**:(ت549هـ/1154م)من علماء الحديث أقام بجاية و درس بها[2].

***أبو جعفر أحمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي**: (ت582 هـ/1186م)كان عالما بالحديث والرواية،له تآليف عديدة نذكر منها "آفاق الشموس و إعلان النفوس".

***أبو محمد قاسم الشاطبي الأندلسي**: (ت590 هـ/1194م)كان عالما بمسائل الفقه والقراءات،له منظومة في طرق القراءات[3].

***أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي الأندلسي** : (ت593 هـ/1196م)من أشهر علماء الحديث بالمغرب الأوسط،ذكره ابن الآبار بقوله:"كان أديبا له حظ في الكتاب والشعر،شارك في فنون شتى"،قدم إلى بجاية تولى بها القضاء ثمّ غادر إلى إشبيلية،له عدّة تآليف منها كتاب المشرق[4].

[1]- ينظر في الحنفاوي أبو قاسم محمد،تعريف الخلق برجال السلف،2 ،ط2،الجزائر ،1960 :80.
[2]- الغبريني،المرجع السابق:28.
[3]- المرجع نفسه:128
[4]–عن نصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:115.

***أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سليمان التجيبي المرسي:** (ت610 هـ/1213م)نزل بجاية وأخذ عنه بعض علمائها ثم غادر بجاية ليستقر نهائيا بتلمسان[1].

***محمد بن جعفر بن أحمد المخزومي الأندلسي**: (ت 632 هـ/1235م)العارف بالفقه والرواية،أخذ عن الشيخ عبد الحي الإشبيلي و حصل منه على إجازة،اشتهر بإتزان عقله،استقدمه الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي* من بجاية لاستشارته و جعله كاتم أسراره[2].

***أبو جعفر الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري الأندلسي** :المعروف بابن الرهبيل* عاش في أواخر القرن السادس الهجري نهاية القرن الثاني عشر الميلادي،عالم بالحديث و أمور الفقه،قدم بجاية ثم رحل إلى المشرق و اشتغل بالإسكندرية ثم عاد إلى بجاية سنة (572هـ) ودرس بها.[3]

***محمد بن أحمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي:** (ت621 هـ/1224م)العالم في مسائل الفقه و أمور الشرع، نزل بجاية و درس بها.

***أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي**: الفقيه والقاضي الكبير من أهل بلنسية ورحل إلى بجاية واستوطنها ولقي المشايخ بها كأبي بكر بن محرز وأبي

[1]- الغبريني..،المرجع السابق:67.
[2]- ينظر في ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية:115.
[3]- الغبريني.،المرجع السابق:122.

المطرف بن عميرة ،ثم ارتحل حاضرة إفريقية سنة (654هـ/1256م) وفي طريقه إلى المشرق توفي سنة (578هـ/1182م).[1]

***أبو عثمان سعيد بن علي بن زاهر الأنصاري البلنسي**: (ت 654 هـ/1256م)العالم بالرواية وبالقراءات، قدم بجاية وأقرأ بها ، أخذ عنه الكثير من علمائها و ظل مواظبا على التدريس بجامعها حتى توفي.

***أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري الأشبيلي**: المعروف بابن السراج(ت657 هـ/1259م)،العالم بالرواية والسند وتخريج الحديث،اشتهر بالزهد،استوطن بجاية،[2]و ظل مواظبا على التدريس حتّى توفي بها عن عمر يناهز المائة سنة .

***أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أرشكونة الأزدي المرسي** :المعروف بابن برطلة (ت661 هـ/1263م) هو من علماء الحديث ،عرف بزهده و اشتهر بخطبه البليغة، نزل بجاية و تولى الإمامة والخطابة بجامعها.

***أبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي** : (ت674 هـ/1275م)عالم بالرواية والقراءات،قدم بجاية وأقرأ بجامعها و استقر بها حتّى توفي،له تأليف في رسم الخط و في بيان قراءة ورش.

[1]- الغبريني المرجع السابق:129.
[2]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:116.

***أبو زكريا يحي اللقنتي الأندلسي** :توفي في أواخر القرن السابع الهجري نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ،الفقيه الحافظ والمحدث نزل بجاية و استوطنها و أقرأ بالجامع الأعظم[1].

***أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم بن عبد الغني القرشي الأندلسي**: (ت680 هـ/1281م)من علماء اللّغة و العارفين بفنون الأدب قدم بجاية و أخذ عنه العديد من طلبة الأدب قبل أن ينتقل إلى تونس،و منها إلى تغر ميورقة حيث توفي.[2]

***أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي الأندلسي**: (ت691 هـ/1292م)العالم في اللّغة وأصول الفقه، القاضي وله مشاركة في أصول الدين وفي قوانين الطب ، له شرح على الجزولية أقام مدّة ببجاية ثمّ غادرها إلى المشرق و عاد إليها و تولى القضاء بها قبل أن يرتحل إلى تونس.[3]

***أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن الغماز الأنصاري البلقشي**:(ت 693هـ/1294م) العالم بفنون اللّغة ومسائل الفقه،أقام ببجاية و ولي القضاء بها سنة(662هـ)كلف بإمامة الصلوات الخمس،عرف ببعد همته وحسن تصرفه،أخذ عنه علماء أجلاء مثل أبي الربيع سليمان،و بن سالم الكلاعي* والغبريني، وقربه منه المستنصر.

[1]- الغبريني .،المرجع السابق:109.
[2]. المرجع نفسه:123. .
[3]- عن ناصر الدين السعيدوني ،دراسات أندلسية :117.

***أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي** : (ت699 هـ/1299م)من علماء الحديث والرواية،غادر مسقط رأسه شاطبة* و لجأ إلى بجاية 645هـ،درس بها و خطب بجامعها،تعرف عليه عبذري عند إقامته بها وقرأ عليه الموطأ و "الشمائل" للترميذي و "رياض المتعلمين"، وقال عنه الغبريني:" **والخطيب أبو عبد الله بن صالح أحد من كثرت القراءة عليه والرواية عنه ببجاية،تخطط فيها بالعدالة،وولي النظر في الأنكحة ونائبا عن قضاتها مدة ،وولي الفريضة والخطبة بجامعها الأعظم ماينيف عن ثلاثين عاما**".[1]

***أبو عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي الحاتمي الشهير بسيدي محي الدين بن عربي المرسي** :(ت638 هـ/1242م) الفقيه العارف باللّغة و الأسانيد، المتصوف أصله من مرسية وسكن إشبيلية ، وله تآليف عديدة في علم التصوف أقام مدة ببجاية و اشتهر فيها بخطبه البليغة و تخريجه للأحاديث.[2]

***أبو الحسن علي الشهير بالزيات**: الفقيه الصالح ،الحافظ لمذهب مالك . رحمه الله . ،تعلم بالأندلس وارتحل إلى العدوة ،استوطن ببجاية وأقرأ بها ،وانتفع الناس بعلمه ودينه ،ثم رحل إلى حاضرة إفريقية ،وكانت تقرأ عليه سائر الكتب المذهبية مثل "تهذيب المدونة للبراذعي " وكتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي"[3].

[1]- الغبريني .،المرجع السابق:104.
[2]- المرجع نفسه:158.
[3]-المرجع نفسه:178.

***أبو العباس أحمد بن محمد القريشي الغرناطي**: الفقيه والمفسر والمحدث من العارفين ،ألّف في مختلف فنون العلم،له تصانيف متعلقة بالقرآن الكريم،معتمدا فيه على طريقة جديدة في العرض والتحليل،استقرّ ببجاية ودرس بالجامع الأعظم و عمل على تسجيل ما ألف في عهده، وقد راسل في ذلك بعض علماء المشرق للاطلاع على مؤلفاتهم،قبل أن يرتحل إلى تونس[1].

جـ- الفنون الأدبية و العلوم الإنسانية: اتخذت اللّغة العربية اللسان الرسمي للدولة الحفصية لأنّها استفادت من أنظمة الحكم العربي الإسلامي الّذي ساد شمال إفريقيا في ذلك الوقت فازدهرت الحياة الأدبية على يد:

***الأمير معز الدولة الواثق أبو محمد عبد الله بن صمادح الأندلسي:** قدم مع أسرته إلى بجاية(ت 488هـ/1095م)بعد أن استولى على إمارته بالأندلس"يوسف بن تاشفين*"اشتهر ببجاية و نال مكانة عالية لدى أمير بجاية الحمادي المنصور* الّذي أقطعه مدينة دلس و ضواحيها تقديرا له فانتقل إليها من بجاية و جعلها مركزا ثقافيا أندلسيا[2].

***ابن الأبار القضاعي:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار،نحوي وأديب وكاتب بارع ومجيد من أهل بلنسية،رحل إلى العدوة واستوطن بجاية،وله تآليف في علم الأدب [3].

[1]- الغبريني ،المرجع السابق:301.
[2]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية :118.
[3]- عن الغبريني، المرجع السابق:259.

***أبو العباس بن عبد الجليل التدميري الأندلسي**:(ت 555 هـ/1160م)الأديب والشاعر استقرّ ببجاية و تولى الكتابة بها لمحمد بن علي بن حمدون الوزير ،له كتاب"نظم القرطبين و ضمّ أشعار السقطين" و"الكامل في نوادر القالي".[1]

***محمد بن أحمد ظاهر الأنصاري الاشبيلي**: (ت 580هـ/1284م)عالم في النحو و عارف باللّغة،استوطن فاس ثمّ رحل إلى المشرق و أقرأ كتاب سيبويه بجامع البصرة ثمّ عاد إلى المغرب واستوطن بجاية و علم بها،فقصده الطلبة من كل صقع و ظل مواظبا على التدريس بها حتّى توفي.

***أبو مطرف عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني الأندلسي**: (ت585هـ/1189م) عالم في اللّغة والفقه اشتهر بملكته الشعرية،قال عنه الغبريني:**"له علم و أدب و فضل و نبل،متقدم في علم العربية و الأدب، وله تأليف منظومة في علم الفرائض و تواشيحه يضرب بها المثل"**[2].

***أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي الكلبي الأندلسي**: (ت633 هـ/1235م)عالم في النحو عارف بالتاريخ،يعتبر من كبار اللّغويين،استوطن بجاية و علم بها قبل أن يتحول إلى المشرق[3].

***أبو الربيع سليمان الأندلسي** :لا يعرف تاريخ وفاته، درس بالأندلس و مراكش ،له معرفة بالحديث ورجاله.

[1]ينظر في ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:120.
[2]- عن الغبريني ، المرجع السابق:112.
[3]–عن ناصرالدين السعيدوني ،دراسات أندلسية :119.

***أبو محمد بن عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي**: (ت636 هـ/1239م)نشأ بتونس من أسرة أندلسية كان عارفا بالرواية وعلم الأدب،متفوقا في اللّغة،قدم بجاية و درس بها و أقرأ فيها مقامات الحريري،أخذ عنه أبو عبد الله التميمي و الغبريني،و تولى أمور بجاية عند حدوث الفوضى بها و اعتقل مع حاكمها ابن عمران ثم أطلق سراحه،فتحول إلى قسنطينة و توفي بها.

***أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المرسي**: المعروف بابن الجنان(ت650 هـ/1252م) من أعلام الأدب والبلاغة و العارفين بالحديث و الرواية،قدم بجاية بعد سقوط بلنسية و درس بها قبل أن ينتقل إلى تونس،و عرف بحنينه إلى وطنه الأندلس.[1]

***أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان البلنسي**: المعروف بابن محرز (ت650هـ/1258م)متفوق في اللغة و الأدب عارف بكتب التاريخ و الفقه،رحل إلى بجاية سنة640هـ و اشتغل فيها بالرواية والتدريس،عرف بسعة معارفه و طيب أخلاقه،التف حوله العلماء و قدموه لتولي رئاسة مشيخة علماء الأندلس ببجاية.

***أبو المطوف أحمد بن عبد الله بم محمد بن عميرة المخزومي** : (ت656 هـ/1258م)الفقيه القاضي و الأديب البليغ والشاعر المبدع،ذكره الغبريني بأن له أدب هو فريددهره وسابق عصره، من جزيرة شقر* استوطن بجاية مدة طويلة و أقرأ بها،له رسائل طريفة و أشعار جديدة و تصنيف يورد فيه ردّا على الإمام فخر الدين الرازي في كتابه المعالم في أصول الفقه...[2]

[1]- ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق:120.
[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

***أبو عبد الله محمد بن عبد الله القصاعي البلنسي**: المعروف بابن الآبار(ت658 هـ/1260م):أديب لغوي وشاعر فحل مؤرخ محقق،تردد على بجاية و أقام بها مدة و أقرأ بها و درس و صنف قبل أن ينتقل إلى تونس و اشتهر ابن الآبار بمرثيته للأندلس الّتي استغاث فيها بأبي زكريا الحفصي لنجدة بلدة بلنسية.[1]

***أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي**: (ت659 هـ/1261م)إمام في اللّغة و عارف بالعلوم الشرعية استقر مدة ببجاية و خطب بها وأقرأ بجامعها، وتولى مشيخة الأندلس ثم تحول إلى تونس بطلب من السلطان الحفصي المستنصر حيث توفي[2].

***أبو الحسن علي الحصري الأشبيلي** المعروف بابن عصفور: (ت 669 هـ/1270م)من أشهر النحويين،استوطن بجاية ودرس بها،و تولى تعليم الأمير يحي الحفصي،ثم انتقل إلى تونس و أصبح من خاصة السلطان الحفصي المستنصر قبل أن يأمر بقتله. [3]

***أبو العباس أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري الأندلسي**: (ت691 هـ/1292م) نبغ في علوم اللغة،قدم بجاية وسكنها وأقرأ بها مدّة ثم ارتحل إلى المشرق ثم عاد إلى تونس و استوطنها و تفرغ للتدريس بها،له تآليف عديدة منها "وشي الحلل و شروح على الجمل للزجاجي"..[4].

[1]- ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق:121.
[2]- الغبريني .،المرجع السابق:247.
[3] - عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:121
[4]- الغبريني ،المرجع السابق:301

***أبو زكريا يحي بن أبي بكر بن خلدون الحضري الأندلسي:** (ت780هـ/1378م)من أسرة أندلسية نشأ بتونس وتعلم بها و تفوق في الأدب و التاريخ و التحق بمجلس أبي الحسن المريني،و ظلّ في خدمة الدولة المرينية على عهد أبي عنان*،تولى منصب الحجابة ببجاية لأبي عبد الله الحفصي، وعلم بها ثمّ التحق بأبي حمو الثاني الزياني،و عرف بكتاباته في تاريخ الدولة الزيانية تحت عنوان"بغية الرواد في تاريخ الملوك من بني عبد الواد".[1]

***أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر بن خلدون الخضرمي الأندلسي:** (ت808هـ/1405م)شقيق يحي صاحب بغية الرواد،نشأ في تونس من أسرة أندلسية،قدم بجاية و درس بها سنة(754هـ/755م)،و قد عرف ابن خلدون بموسوعيته التاريخية المعروفة بكتاب العبر تضمّن قواعد علم الاجتماع و مناهج فن التاريخ.[2]

***أبو الحسن موسى بن علي بن عتيق بن أحمد الأنصاري القرطبي:** (ت598هـ/1201م)عالم بالطّبّ و عارف بالتاريخ والفقه،استقرّ مدّة ببجاية و تعرف على علمائها.[3]

د–المعارف الرياضية و الطبيعية(الحساب و الجبر و الفلك و الطب و الطبيعة):

بلغت المعارف الرياضية والطبيعية مكانة مرموقة في بجاية جعلت العلماء يتقاطرون عليها من مختلف الأنحاء ومن روادها:

[1] ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية..:121.
[2]– المرجع نفسه :122.
[3]- الغبريني ،المرجع السابق :181.

***أبو العباس أحمد بن خالد المالقي:** (ت660 هـ/1262م)من العارفين بالطّبّ المطلعين على العلوم الطبيعية،قدم بجاية و جلس للإفتاء بها و أخذ من بعض علمائها .

***أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المرسي** :المعروف بابن أندارس (ت674 هـ/1275م)عالم في الطّبّ اشتهر ببراعته في تشخيص المرضى استقرّ ببجاية،و تولى تطبيب الولاة، ودرس بها قانون الجزولي* وأرجوزة ابن سينا،و أتم بما أرجوزته في الأدوية قبل أن يستقدمه إلى تونس السلطان الحفصي المستنصر حيث توفي.[1]

***أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي:** (ت691 هـ/1292م)له معرفة بمسائل الفقه والعلوم الطبيعية و تفوق في الطّبّ حيث اعتبر من أشهر الأطباء في عهده،تولى قضاء بجاية ثم تحول عنها إلى تونس[2]،فبفضل هؤلاء العلماء الأندلسيين أصبحت بجاية مركزا للإشعاع العلمي، وكانت قبلة لطلاب العلم والعلماء من كل صوب نذكر منهم :

***أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي:** (ت680 هـ/1281م).

***أبا العباس أحمد بن يحي العماري:**(ت 682هـ/1283م).

*** أبا محمد عبد العزيز بن مخلوف التلمساني:**(ت686 هـ/1287م).

***و أبا عبد الله محمد المغربي التلمساني:**(ت 759 هـ/1258م).

[1]-الغبريني، المرجع السابق:228.

[2]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:123.

*محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني: (ت 781هـ/1279م).

*عبد الكريم النهشلي المسيلي: (ت405هـ/1014م).[1]

و تخرج من مدارسها جيل من العلماء بعضهم من أصول أندلسية كان لهم الفضل في المحافظة على استمرار الحضارة العربية الإسلامية ببلاد المغرب بعامة و بلاد القبائل بخاصة نذكر منهم:

*الأصولي **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري البجائي**:أندلسي الأصل (ت612 هـ/1216م)تنسب أسرته إلى بلد مرزقان*،و يعد من العارفين باللغة وعلم الكلام،رحل إلى المشرق وأخذ العلم بمصر ثمّ توجه إلى مراكش وتولى القضاء بها ثمّ تحول إلى مرسية و شغل منصب القضاء بها، و كانت له مودة مع الفيلسوف أبي الوليد بن رشد ، ونفي معه بعد تعرضه للمحنة،شغل منصب القضاء ببجاية ثلاث مرات و صرف في آخرها 608هـ فتفرغ للتدريس و التأليف.[2]

*الوالي الصالح و الفقيه **العالم أبو زكريا يحي الزواوي البجائي** : (ت611هـ/1214م).[3]

*العالم المتصوف **أبو محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري** : بجائي المنشأ و إشبيلي الأصل (ت675 هـ/1276م).

*الراوية للموثق الأصولي **أبو عبد الله عبد العزيز الخشني الضرير البجائي**: (ت640هـ/1242م)[1].

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق:124.
[2]- عن الغبريني.، المرجع السابق:95.
[3]- المرجع نفسه :61.

*الأديب الكاتب و الفقيه العالم **أبو الفضل محمد بن الطاهر القيسي**: المعروف بابن محشرة(ت598هـ/1202م)،عين كاتبا ليوسف بن عبد المؤمن الموحدي و ابنه يعقوب المنصور،اشتهر ببلاغته و رقة أسلوبه.

*المحدث و الفقيه **علي بن أبي نصر بن عبد الله البجائي**: (ت652هـ/1254م).

*النحوي **ابن معطي الزواوي**: (ت628هـ/1231م)صاحب الألفية في النحو و مؤلف الفصول والعقود والقوانين والحاشية على أصول بن السراج و شروح لكتاب الجمل للزجاجي و غيرها.

*الفقيه الراوية **أبو الحسن علي بن الراوية البجائي**: (ت652 هـ/1254م).[2]

*الفقيه **أبو عبد الحق بن ربيع البجائي**: (ت675هـ/1276م)

*الفقيه المحدث **أبو محمد بن الجليل البجائي**: (ت685هـ/1286م)روي عنه ابن عربون .

*القاضي المحدث **أبو العباس الغبريني**: (ت704هـ/1304م)،صاحب كتاب الدراية الّذي ترجم فيه العلماء والأعلام ببجاية.[3]

*العالم الفقيه **أبو علي ناصر الدين مسعود**: ابن أحمد بن منصور بن عبد الحق المشدالي البجائي (ت731 هـ/1331م)، أخذ عنه علماء كثيرين بالمشرق و المغرب و منهم أبو موسى عمران المشدالي الّذي ارتبط به ولازمه.

[1]- الغبريني ،المرجع السابق:121.
[2]- المرجع نفسه:124.
[3]- المرجع نفسه:120

*الفقيه الرواية **أبو عبد محمد بن غريون البجائي**: (ت745 هـ/1344م)، استقرّ بتلمسان وأخذ عنه بها علماء كثيرين،[1] و بهذه المساهمة الأندلسية تبوأت بجاية مكانة مرموقة في مجال الثقافة ،فظلّت لفترة تزيد عن ثلاثة قرون وبخاصة في القرنيين السابع والثامن للهجرة،إحدى منارات العلم و مراكز المعرفة ببلاد المغرب، وبواسطتها تم انتقال التراث العلمي الأندلسي المتأخر نحو تونس و المشرق ، ومن خلالها استقبلت بلاد القبائل بخاصة و المغرب الأوسط بعامة جموع علماء الأندلس الذين انتشروا في البوادي و توزعوا في المدن الداخلية يؤسسون للمعاهد و الزوايا محافظين على المعارف الإسلامية، وبدأ دورها يتراجع بسبب جمود الاقتصاد و اضطراب الأحوال الاجتماعية والسياسية،و هذا ما أشار إليه الحسن الوزان عند زيارته لبجاية سنة (921هـ/1515م) فذكر أن منازلها الّتي كانت تقدر بأربعة وعشرين ألف منزلا أصبح لا يتجاوز ثمانية آلاف منزل"[2]، وأكد هذا الأمر العبدري عند مروره ببجاية بقوله: **"و هذا البلد بقية قواعد الإسلام و محل جلة من العلماء و الأعلام،وله مع حسن المنظر طيب المخبر... مع الحصانة ووثاقة البنيان ما أزرى بارم وغمدان،ولأهله من حسن الخلق والأخلاق ما أنبأ عن طيب الهواء والماء والتربة والأعراق .غير أنّ اعتراه من الغير ما شمل في هذا الأوان البدو و الحضر، قد غاض بحر العلم الّذي كان به حتى عاد وشالا .وعفا رسمه حتى عاد طللا و به آحاد من الطلبة قد اقتصروا على مطالعة الصحف و الدفاتر. وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقا لم يرضها أعلام الأكابر".**[3]

[1]- عن الغبريني، المرجع السابق:150.
[2]- الإدريسي ،نزهة المشتاق،المصدر السابق،1 :161.
[3] - محمد العبدريّ البلنسيّ،الرحلة المغربية،تقديم سعد بوفلاقة،ط1،منشورات بونة للبحوث والدراسات،الجزائر،1428ه/2007 :50.

وعلى الرغم من هذه الأوضاع الصعبة الّتي أصبحت تعيشها بجاية في القرن العاشر الهجري/الخامس عشر الميلادي،فإنّ المساهمة الأندلسية لم يمح أثرها و لم يزل تأثيرها في الوسط البجائي،فكانت دافعا لظهور حركة تيقظ وتحفز لمواجهة الخطر الاسباني الّذي أصبح يهدد الوجود الإسلامي ببلاد المغرب بعد ضياع الأندلس و مواصلة سياسة الاسترداد المسيحي بإفريقية ،و قد انطلقت عملية الجهاد البحري من بجاية بفعل حيوية العنصر الأندلسي و تعاونه مع السكان،فتحولت بجاية إلى قاعدة لشن هجمات بحرية على السواحل الأوروبية،[1]،و قد نتج عن هذا النشاط البحري ازدياد الضغط الاسباني على سواحل المغرب الأوسط كما تسبب في فترة لاحقة في احتلال بجاية و تدميرها من طرف أسطول الاسباني بقيادة بيار دونافارو سنة (916هـ/1510م) و بعد صراع مرير استرجعت بجاية سنة(962هـ/1555م)و هاجر منها سكانها و أصبحت عبارة عن حطام بفعل التدمير الذي تعرضت له تحت حكم الاسباني لمدة خمسة وأربعين سنة ،و رغم اعتناء الحكام المغرب الأوسط بها إلا أنها لم تسترجع سالف عزها قديم ومجدها [2].

فظلت قليلة السكان ناقصة العمران حسب أوصاف بعض الرحالة الّذين تعرفوا إليها في هذه الفترة، وعلى الرغم من اضمحلال عمران بجاية و اختفاء دورها العلمي، إلا أن الشجرة الأندلسية المباركة الّتي احتضنتها البيئة البجائية ظلت عروقها حية و طاقتها كامنة في ريف بلاد القبائل،الذي هاجر إليه أغلب علماء بجاية،هروبا من الإسبان وعملوا على تأسيس الزوايا و المعاهد العلمية بوادي الصومام

[1] ـ ابن خلدون ،العبر ،6 ،المرجع السابق:363.
[2] ـ عن ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية :127.

وجرجرة و بني يعلى و تامقرة و في مقدمتها زوايا سيدي منصور وسيدي عبد الرحمن البلولي و سيدي علي بن شريف،وتخرج من هذه المعاهد والزوايا أجيال من الفقهاء القادرين على تحفيظ القرآن و رواية الحديث و تلقين مبادئ العربية و شرح مسائل الفقه،فكانوا عاملا حاسما في استمرار الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة و سببا مباشرا في اكتساب الجزائر المناعة الحضارية أمام المخططات الفرنسية الهادفة لتغريب الجزائر والقضاء على مقوماتها و إثارة النزاعات البربرية المعادية للعروبة والإسلام،و الفضل يعود إلى هذه الزوايا ذات الأصول الأندلسية في الحد من آثار السياسة الاستعمارية وفي تهيئة الأرضية لظهور الحركة الوطنية الجزائرية في القرن العشرين[1].

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية :127 -128.

المبحث الثاني:مدرسة الجزائر الأندلسية:

بدأت مدينة الجزائر تكتسب أهميتها تزامنا مع ضعف الزيانيين بتلمسان والحفصين بتونس وارتبط ذلك بحلول الأندلسيين بها وقيامهم بحركة الجهاد ضد النصارى في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ، وكانت قبل ذلك قرية بربرية متواضعة عرفت باسم بني زيري نسبة لمؤسسها الصنهاجي زيري بن مناد الّذي أنشأها على أنقاض" أنكوزيوم الرومانية" سنة(339هـ/950م) وقد حافظت على عمرانها إلى غاية العهد المرابطي الذين أسسوا مسجدها الرئيسي (الجامع الكبير سنة475هـ/1082م) ،و في حكم الموحدين اتخذوها قاعدة عسكرية في مواجهتهم ثوار بن بني غانية الميورقيين سنة(580هـ/631هـ/1184م/1233م) ومع التحاقها بدولة االزيانيين اتسع عمرانها وأصبحت مركزا إقليميا "،[1]و مع انكماش سلطة الزيانيين في القرن الثامن الهجري؛ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي،استقلت مدينة الجزائر بشؤونها و بقيت على صلة بعرب الثعالبة* المستقرين بمتيجة[2]، ومنذ ذلك الوقت بدأت تستقبل أعدادا متزايدة من مهاجري الأندلس وتحولت إلى مركز للجهاد البحري ضد النصارى مما جعل الأندلسيين يفضلون الاستقرار بها على بقية المراكز الساحلية الأخرى التابعة للحفصيين و الزيانيين بسبب الاضطرابات و الفتن، فأصبحت مدينة الجزائر محل أطماع الإسبان[3]، و هذاما أكسب مدينة الجزائر نشاطا علميا و فنيا بسبب إشراك الأندلسيين في مجال التعليم وفنون الأدب إلا إنّه لم يصل إلى مستوى أسلافهم من علماء بجاية ؛و لكن مكنهم

[1]- عن علي عبد القادر حليمي،الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1980 :162.

[2]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:129.

[3]- ينظر أبوقاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،1 دار الغرب الإسلامي لبنان،1998 :237.

من المحافظة على التقاليد العلمية الأندلسية وضمن استمرار توارث المعارف الفقهية و اللّغوية عن طريق دراسة المتون و الشروح والحواشي وبقاء على الأساليب الأدبية الأندلسية حية،فأصبح الفتح بن خاقان* و لسان الدين بن الخطيب مثالا يحتذى في أساليب السجع والمحسنات البديعية و الجمل القصيرة الموزونة؛ وهذا ما أكدته كتابات ابن عمار و ابن حمادوش و ابن ميمون غيرهم،[1]ويضاف إلى ذلك تولي العديد من الأندلسيين الوظائف الدينية، من القضاء و الإمامة والخطابة نذكرمنهم :ابن النيقرو و بن الأمين و ابن عمار...[2]

فأما في ميدان الفن،فكان إسهامهم كبيرا فنقلوا للوسط الجزائري الموشحات و الأزجال الأندلسية وأدخلوا الآلات موسيقية الأندلسية و حافظوا عليها مثل العود و الرباب و الكامنجة والطبيلة...[3]

و أحبوا المدائح النبوية و المولوديات و الإخوانيات و قصائد المدح و الغزل و وصف الطبيعة،الّتي كانت تعرفها الأجواء الأندلسية في المواسم و الأعياد و السهرات العائلية،و من أشهر ناظمي الموشحات :أبو العباس أحمد بن عمار الأندلسي الجزائري متولي إفتاء المالكية سنة (1180هـ/1766م) ومؤلف "نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب" و" لواء النصر" ،و محمد بن شاهد الأندلسي الجزائري،متولي إفتاء المالكية سنة(1180هم/1766م)، " و محمد بن الشاهد بن محمد بن سيدي علي الأندلسي متولي قضاء الحنفية سنة(1163هـ/1750م)و غيرهم من

1- عن محمد المنوني ،ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة،أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ،الجامعة تونسية،1979 :88

[2]ينظر الجالية الأندلسية بالمغرب العربي،مجلة مغاربية،تونس ،عدد13،نوفمبر1986 :132.

[3]– عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية ،المرجع السابق :139.

العلماء الذين جمعوا بين الثقافة الإسلامية و المعارف الفنية و تأثروا بموشحات ابن باجة*و ابن سهيل* و أبي الصلت أمية* و لسان الدين بن الخطيب[1].

كان للهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط في طورها الثاني إسهام مميز مابين القرنين (10-11هـ/16-17م)، وهي عامل من عوامل الازدهار الثقافي و الحضاري قبل أن تنطفئ شعلتها مع حلول القرن الثالث عشر الهجري /التاسع عشر الميلادي لظروف دولية ضاغطة و عوامل داخلية محبطة،نتجت أساسا عن استمرار الخطر الاسباني حدوث انهيار ديموغرافي و استبداد الحكام و إهمالهم لشؤون دولهم[2].

[1]- ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق:140.
[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

المبحث الثالث: مدرسة مازونة.

تعتبر مدرسة مازونة رمزا حضاريا ثقافيا للجزائر طوال قرون عدة من الزمن، تناولتها المصادر بإسهاب ثم المؤرخون بإنتاجات جمة إذ كانت شبيهة في أيامها حسب بعضهم بالمعاهد العليا في فاس و تونس ومصر لما كانت تتوفر عليه من أساتذة و علماء ذاع صيتهم في المغرب والمشرق[1]، وحول تأسيس مدرسة مازونة أسال المؤرخون والباحثون الكثير من الحبر لإشعاعها العلمي، وقال أبو قاسم سعد الله في هذا الشأن :" **وهناك مدن أخرى في غرب البلاد كان وضعها غير مستقر أيضا ، ولكن حظها كان أفضل من حظ وهران ..... وكانت مدرسة مازونة مقصد العديد من الطلاب**"[2] ،إلا أنّ الآراء تباينت في مسألة التأسيس وذلك راجع لعدة أسباب منها:

أ– غياب الأدلة عن المدرسة في المصادر التي تناولت الفترة الزيانية، أخص بالذكر كتابي العبر "لابن خلدون والبستان "لابن مريم".

ب– غياب الاستقرار في مازونة أيام الزيانيين،بسبب مواقف حكامها إزاء دولة بني زيان.[3]

جـ– دخول الجزائر تحت سلطة بني عثمان" نتج عنه اختيار مازونة عاصمة للبايلك الغربي منذ 1565م إلى غاية مستهل القرن الثامن عشر.[1]

---

[1]–عن ناصر الدين سعيدوني ،عصر الأمير عبد القادر ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت، 2000 : 133.

[2]–أبو قاسم سعد الله ، بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني،ط1،الشركة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984 :13.

2-ينظر الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 ،المواليش فتيحة،رسالة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ ،الجزائر،1994 :169

د– اتفاق جل المؤرخين الجزائريين على أسبقية الأندلسيين في تأسيسها و منهم أبو قاسم سعد الله في أكثر من كتاب كقوله"...**و قد بنى أحد المهاجرين الأندلسيين مدرسة مازونة المشهورة التي تخرج منها عدد من الفقهاء خلال العهد العثماني و هو محمد بن الشارف البولداري* و ظلت هذه المدرسة محافظة على سمعتها حتى بعد انتقال كرسي الحكم من مازونة إلى معسكر**".[2]

و قبل الحديث عن ظروف النشأة نشير إلى موقعها الجغرافي وخصوصيتها التضاريسية:

تتوسط مدينة مازونة بموقعها الفلكي الإقليم الغربي و الأوسط للجزائر ،و هي تمثل القلب النابض للإقليم نظرا للدور المهم الذي لعبته في فك العزلة عن المنطقة الجبلية ،و اعتبارها منفذا للمنطقة الغربية، تتميز بطابعها الريفي،فهي تبعد عن مركز ولاية غليزان ب66كلم وحوالي 200كلم عن عاصمة الإقليم الغربي وهران و 23كلم عن عاصمة الإقليم الأوسط الجزائر[3]، و هي بذلك تعد بوابة الإقليم الغربي الجزائري[4]،و من مميزاتها أنها بلدة عريقة أسست في قلب جبال الظهرة منذ عدة قرون في موقع متميز وافر المياه،كثيف الغابات، و لهذا أقام بها حكام المغرب عبر العصور.

---

[1]–عن يحي بوعزيز ،طلوع سعد السعود في أخبار وهران،و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ،جدار الغرب الإسلامي،بيروت،1990 : 271.

[2]–ينظر أبو قاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي 1500 إلى 1830، 3،ط3 :183.

[3]–مصطفى الظريف، خالد كرامة ،دراسة التوسعات العمرانية الحديثة لمدينة مازونة،مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية ،جامعة وهران ،2001 :15

[4]– عن مولاي بلحميس ،دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن 15إلى منتصف القرن 20،مجلة العصر ،العدد11،صدرت 01 أكتوبر 1997، الجزائر:08.

أما فيما يخص سبب التسمية فلا يزال السؤال مطروحا شأنها في ذلك شأن معظم المدن التاريخية في شتى البقاع ممّا أدى إلى ظهور عدّة فرضيات منها:

- البعض يعتبر أصلها بربري تعني أرض الرجال الأقوياء ،و منهم من يرجعها إلى الأصل الروماني "ماسينا" بسبب أثرين اكتشفا بها،[1] بينما يرى البعض أن مازونة سميت نسبة إلى أميرة بربرية تدعى "مازونة" و يذهب آخرون في تأصيل كلمة مازونة إلى أميرة كانت تحكم المدينة و تملك كنزا كله من القطع النقدية سميت"موزونة" ،فيما ينسب أحدهم المدينة لقبيلة زناتية و بالتحديد لأحد أسلافها يدعى مازون[2].

أما تاريخ نشأة المدرسة فيعود إلى مطلع القرن العاشر الهجري / 16م،على يد الشيخ "محمد بن الشارف الأندلسي"،حيث كان لهجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب و منها الجزائر وقع خاص على المنطقة و في شتى المجالات السياسية و الاقتصادية و الثقافية،إذ احتكروا ميدان التعليم ولاسيما في الحواضر ونقلوا مناهجهم التعليمية إليها،و لم يقتصروا في التعليم على حفظ القرآن بل أضافوا إليه تعليم الحديث و القواعد العامة لمختلف العلوم،كما علموا روايات القرآن بأنواع قراءاته.[3]

و كانت السلطة تعين كبار العلماء الأندلسيين على المدارس و تمنحهم المرتبات تشجيعا لهم لدفع لعجلة التعليم إلى الأمام،و من بين حواضر الجزائر في العهد العثماني ،حاضرة مازونة الّتي شهدت في

1- عن م بوغرارة، موعد للبحث عن الحلقة المفقودة في جريدة الخبر،13جوان 2001،الجزائر:13.
2- عن محمد بن يوسف الزياني ،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،تحقيق المهدي بوعبدلي ،(د.ط)،ش.و.ن.ت،1978 :55
3- ينظر أبوقاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ، 3 :47.

أيامها عزا لم تشهده من قبل. ولقد أسسها الأندلسيون بغية نشر العلم و الدين،[1]حيث تذكر الروايات أن الشيخ "محمد بن الشارف "كان يملك قطعة أرض خارج المدينة مساحتها عشرون هكتارا اشتغل فيها طوال وجوده في المنطقة،و بقيت تشكل مصدر عيشه،حتى رأى ضرورة تأسيس مركزا للعلم والتعليم يتماشى و متطلبات العصر فاضطر إلى بيعها بثمن قدره ثلاثين دورو* و كانت كخطوة أولى ،ثم قام بشراء رقعة متوسطة الحجم داخل المدينة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء وعمل على تسويتها و تهيئتها لبناء مدرسة مهمتها تلقين العلم و الفقه ، فانطلقت الأشغال في بناء المدرسة والمسجد بمساعدة الطلاب الّذين تكلفوا بنقل الديس و الخشب من الغابات المجاورة بواسطة الحمير والبغال[2].

و يتضح مما سبق كانت بداية نشأتها بسيطة ثم عملت السلطات على توسعها وفق المكانة السياسية التي أصبحت تحتلها مازونة منذ 1565 إلى غاية 1700 متأثرة قبابها بالطراز العثماني [3]، و بخاصة في زمن "أبي راس الناصري".*

و تذكر المصادر أنها استمرت تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر وكانت مقصدا لطلاب النواحي الغربية لاسيما ندرومة و مستغانم و تلمسان و وهران.[4]

[1]- أبوالقاسم سعد الله ،بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر :13.

[2]- عن إبراهيم خرباش، مونوغرافية حول أرشيف مازونة،مذكرة ليسانس في علم المكتبات والعلوم الوثائقية،جامعة وهران،1993 :46.

[3]- عن ابن عودة الزاري،المرجع السابق:272.

[4]- ينظرأبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي 3 :285 .

و هذا ما أكده جيلالي صاري على المكانة الهامة الّتي كانت تحتلها إذ كانت موقعا ساميا للثقافة والعدل طوال ثلاثة قرون من الزمن و لعبت دورين أساسيين في المنطقة:

أ- **الدور الديني**:يتمثل في العبادة و فق المنهج السليم على مذهب الإمام مالك.

ب- **الدور الثقافي**: يتمثل في تعليم اللغة العربية و تحفيظ القرآن و إلقاء المحاضرات من طرف العلماء،[1] و لم تكتفي بالجانب العلمي و الثقافي بل تعدى ذلك بحيث أسهمت في الدفاع عن الوطن و الحث على الجهاد مثل المقاومة العدو في المرسى الكبير بوهران.[2]

و مما سبق تبين الدور المهم الذي لعبته المدرسة ما أهلها أن تكون مركزا علميا ثقافيا يقصده الطلاب العلم من شتى البقاع و الأصقاع و لعل ما بوأها لذلك هو توفرها على أساتذة ومشايخ ذوي الاختصاص و جلهم من البلدة، و بعضهم من قدم طلبا للعلم و لما ارتوى منه فضل المكوث للتدريس عرفانا بالفضل[3]؛ وذلك بسبب تخصصها في الفقه مالكي منذ نشأتها حتى أصبحت تعرف بالمدرسة الفقهية،أما الدراسة و التكوين بمدرسة مازونة لم يكن صاحبها لينهيها قبل ثلاث سنوات كحد أدنى فمنهم من يستمر حتى لخمس سنوات و ذلك حسب درجة الاستيعاب و القدرة على الحفظ فإذا انتهى صاحبها من التحصيل ظفر بإجازة.[4]

1-أبو قاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،3 :285.

2 Djilali sari ; Les ville précolonianles de l algirie occidentalle ,Nedroma,Mazona ,Kalla , S.M.E.D .Alger ;1978 :48 .

3-عن مسعود العيد، الجزائر في الحركة التعليم في الجزائر في العهد العثماني،مجلة سرتا،العدد03،قسنطينة ماي1980 :65.

4- أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي 3 :348.

المبحث الرابع:المراكز الإشعاعية في الجزائر و الأندلس و دورهما في تثمين الروابط الثقافية بينهما:

عرف إقليم شمال إفريقيا و شبه الجزيرة الأندلسية بإشعاعهما الثقافي، و ذلك يتجلى في ظهور عدة مراكز ثقافية كان لها دور كبير في نهضة إيطاليا و جنوب غرب أوروبا و من بين هذه المراكز التي كانت تعج بالعلم والعلماء من جميع أقطار الأرض نذكر منها:

أ/**في الجزائر:1 _مركز بجاية الحضاري**:شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية في العصر الحمادي لم يشهد لها نظير في العصور التي تلت من بعده،حيث قامت بها مدارس و معاهد علمية ذاع صيتها، والمساجد الجامعة و زواياها الصوفية العريقة نبغ بها علماء أجلاء و فقهاء و شعراء فحول و حكماء متضلعون في الفلسفة والحكمة،و علم التجويد ،ولغويون و محدثون أمناء ومدققون في الرواية ومتصوفون، و رياضيون مبتكرون ،و طلاب علم و معرفة من كل أنحاء العالم الإسلامي، شرقه وغربه،من الأندلس إلى بلاد فارس،و حتّى من أوروبا وبالتحديد إيطاليا وجنوب فرنساو بلاد اليونان وهذا حسب رواية أبي حامد الصغير الحسن بن محمد المسيلي،[1]و من أبرز علمائها:

* الفقيه الفاضل **ابن سلمة البجائي**(ت319-931م)و الرحالة المقرئ أبو القاسم يوسف البسكري(ت403 -465)هـ.

[1]- عن عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج1،ط3،الجزائر،1982 :132..

* الفقيه الفيلسوف **محمد بن علي بن الرمامة**(ت 478- 567هـ/ 1085-1171م) والفقيه المحدث أبو عبد الله مروان البوني(ت439هـ/1047م)،واللّغوي النحوي الحسن علي التيهرتي (ت501هـ/1108م)... [1]وذكر الغبريني أكثر من مائة و عشر عالم في جميع المجالات،فأسهم هذا الحشد من العلماء والمفكرين أن يحملوا مشعل الحضارة العربية الإسلامية من خلال مشاركتهم في نهضتها و تطوريها و رقيها وتوسيع مجالاتها ومفاهيمها العلمية.

لقد شاركت بجاية بمجهود كبير في بناء معالم الحضارة العربية الإسلامية و إرسائها و إثرائها وإمداد أوروبا بتجارب مهمة في ميدان الطب والعلاج والجراحة والصيدلة ، وتقديم الكثير من الأعمال والإبداعات في مجالات حضارية مختلفة و متنوعة مما جعلها تستقطب علماء من العالم الإسلامي بعامة و الأندلس بخاصة[2].

2 _تلمسان: كان لتأسيس مدينة تاجرارت من قبل " يوسف بن تاشفين" أهمية كبيرة في تطور مدينة تلمسان،فأولوها عناية خاصة و جعلوها مقرا لولاية المغرب الأوسط و خاصة بعد تشييدهم للقصر،و بنائهم للمسجد الأعظم مما جعلها تستقطب علماء و أدباء و تجارا من مختلف أنحاء الدولة،ابتداء من القرن الرابع الهجري،فتكاتفت علاقتها و وثقت مع مختلف المناطق ،و خاصة بعد التوسع العمراني وهذا ما أشار إليه البكري قائلا:"**لم تزل تلمسان دار للعلماء**

[1]- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق:133.
[2]-المرجع نفسه والصفحة نفسها.

والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس . رحمه الله .[1] **و منهم "أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي" مسيلي الأصل واحد من كبار فقهاء عصره إلى أن توفي سنة 403هـ،كذلك "أبو جعفر أحمد بن غزلون" من علماء الأندلس الذين استقروا بها وأخذ عنه طلبة العلم حتى توفي سنة 524هـ"**[2].

كما اشتهر كذلك" أبو محمد عبد السلام التونسي الذي قدم إليها من أغمات* و درس بها وكان من تلامذته "عبد المؤمن بن علي الكومي" مؤسس دولة الموحدين الّذي توفي سنة530 هـ [3]،كذلك الفقيه المحدث"عبد العزيز بن دباغ "من أهل مرسية رحل من الأندلس إلى فاس ثم استوطن تلمسان،بالإضافة إلى "أبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي "من أهل إشبيلية نزل تلمسان و أخذ عنه الكثيرون من طلبة العلم،و نتيجة لتوافد الكثير من رجال العلم على مدينة تلمسان نتج تكوين أجيال من العلماء من بينهم:

* **ابن أبي قنون** (ت557هـ،و" أبو عبد الله بن عبد الحق" المتوفي سنة 625هـ[4].

***أبو إسحاق التلمساني** (ت690هـ بسبتة) صاحب الأرجوزة الشهيرة في الفرائض[5].

[1]-البكري ،المرجع السابق:77.

[2]- يحي بن خلدون، المرجع السابق، 1 :124.

[3]ابن بشكوال،الصلة،ج1،رقم 169.

[4]-الحميدي ،جذوة المقتبس، تحقيق إبراهيم الأبياري، الكتاب الإسلامية دار الكتاب المصري ،دار الكتاب اللبناني ،القاهرة ،بيروت ،ط1403،2 هـ/1983 :40

[5]-المصدر نفسه:77.

***أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس** (ت708هـ بغرناطة)، بالإضافة إلى الدور الجليل الّذي قامت به المدرسة التشفينية الشهيرة الّتي أشاد المؤرخون بوصفها لما امتازت به من إتقان في التشييد و الجمال و عنايتها بأساتذتها[1]،و بالتالي شهد القرن السابع الهجري تقدما كبيرا في سائرالمجالات ،هذا ما ساعد تلمسان أن تكون إحدى عواصم المغرب الإسلامي الأربع إلى جانب تونس و فاس وقرطبة ،و مقرا للسلطة المركزية نتيجة مضاعفة ملوك بني زيان نشاطهم الثقافي و الفني و الانجازات العمرانية.

ب /في الأندلس: 1ـ **طليطلة**:قامت الحضارة الإسلامية في الأندلس بعد استفادتها من التجارب السابقة حيث كان هدفها هو خدمة الإنسان و مساعدته على تفجير طاقته و استثمار كل مجهداته في بناء صرح الحضارة،فجاءت حواضرها جاهدة على حمل مشعل الحضارة في كل من قرطبة وإشبيلية وطليطلة و بلنسية و سرقسطة هذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه ،فطليطلة توجد في الثغر الأوسط جنوب جبل الشارات،الذي يقسم الأندلس إلى نصفين مما تدل على أنها تتوسط نهر تاجه الغزير ؛كانت دار الملك للكثير من ملوك الأندلس[2]و بحكم موقعها قدر لها أن تكون منطقة عبور بين الممالك الإسلامية والنصرانية.ما يهمنا هو الحركة العلمية في هذه المدينة فتذكر المصادر أن سكانها أو أهلها من بني ذي النون كانت لهم صلة كبيرة بأهل العلم و الأدب فنشطت بها العلوم العقلية والنقلية و من أبرز علمائها:"محمد بن أرفع رأسه" و" أبي بكر يحي بن بقي" و كانا من كبار الوشاحين[3]،

[1]- الحميدي ،المصدرالسابق:40.

[2]-ابن سعيد المغربي،المغرب في حلي المغرب،2 ،تحقيق شوقي ضيف،2 ،ط2، 1964 : 130.

[3]-ابن سعيد،المصدر السابق،2 :18.

برع في الزراعة "ابن بصال" صاحب كتاب الفلاحة[1]، وبرز فيها عدد لايستهان به من العلماء في كل من علم الطب والصيدلة و علم العدد و الهندسة و المنطق و الفلك منهم:"أبو عثمان سعيد بن محمد" (ت444 هـ)[2]،كان بارعا في الطب وعلم العدد والهندسة،كذلك الوزير "أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن واقد (ت 400 هـ) كان مهتما بالفلسفة والمنطق بارعا في الطب وتأليف الكتب و صناعة الأدوية،و لا ننسى العمل الجليل الذي قام به "أبو بكر يحي بن أحمد" المعروف بابن الخياط (ت447هـ) و"مروان بن عزوان "في علم التنجيم،[3]و"أبو إسحاق إبراهيم بن يحي النقاش" كان ملما بكل ما يحيط بأرصاد الكواكب والعلوم و في شتى أشكال المعارف.[4] ،كذلك ."أبو جعفر بن خميس بن عامر بن دمج" اعتنى بعلم الهندسة و النجوم والطب كما اهتم بعلوم اللغة والفقه والشريعة وعلم الكلام.[5]

ومما ساعد عملية التفاعل الحضاري في طليطلة كثرة المراكز خاصة بالتعليم والتدريس وتبليغ العلوم وتوصيل المعارف إلى الأجيال الناشئة بالإضافة إلى عنايتهم بتصنيف الكتب و تدوينها و إنشائهم مكتبات الخاصة والعامة مثل مكتبة الخليفة الأموي الحكم المستنصر التي أنشأها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، مرتبة ومفهرسة بطريقة علمية متقنة،كذلك لا ننسى دور الترجمة في

[1]-ابن سعيد ،المصدر السابق:09

[2]- طبقات الأمم ،لصاعد الأندلسي،ت2 تحقيق حياة العبد بوعلوان،ط1،دار الطليعة،بيروت،1988 :194.

[3]- ابن سعيد ، المصدر السابق،2 : 22

[4]- المصدر نفسه ،4 :194.

6- عن آنخل غونثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الأندلسي، ،ترجمة دوقان قرقوط،منشورات دار المكتبة الحياة،بيروت،لبنان(د،ت):836.

علمية التفاعل الحضاري مما أهل طليطلة أن تكون مركزا الثقافيا[1]،و من بين المترجمين "دومنجو جنثالث" Gonzales domingo ، و" يحنى بن داود اليهودي"[2] الذي كان له دور فعال في حركة الترجمة من العربية إلى غيرها من لغات الأقوام الأخر، ووصلت إلى ذروتها في عهد الملك النصراني "ألفونسو العاشر".

2 _ **قرطبة**:عرفت الحضارة الإسلامية في الأندلس ببعدها الإنساني و سماحتها على مدى قرون مختلفة فحملت إلى النّاس الرقي و السعادة والتنافس في تحصيل العلوم والآداب بترجمة كتب اليونان و اللاتين ،هذا ما مكن الأندلسيين من تكوين أضخم حضارة بالأندلس ارتبطت بها سلسلة لامعة من الأسماء الشهيرة التي أضاءت الآفاق الأدبية والعلمية و السياسية ،و كانت مشعلا للأقطار و الأمم بمنشآتها الزاهية وبفنها ورقتها وجمالها و بإشعاعها الفكري من خلال الدور الّذي لعبه المسجد الجامع في عهد الحكم المستنصر[3]، فكان المكان الذي يرتاده الطلبة للنهل من مجالسه العلمية في جو تسوده الحرية الفكرية والثقة والمحبة المتبادلة في تلك الحلقات العلمية التي كان تتسع وتتقلص بحسب عدد الطلاب وفق نظام علمي ينال فيه العالم مهابة و تقديرا،كما لا ننسى الدور الذي قامت به مكتبة قرطبة في محافظتها على التراث العربي الإسلامي و الّتي كانت كالبحر الزاخر بالمخطوطات النادرة و الكتب النفيسة.

[1]-عن آنخل غنثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الأندلسي:836.

[2]-المرجع نفسه :574.

[3]-المقري،نفح الطيب، المصدر السابق2 : 203.

و ما زادها ثراء ولوع الحكام باقتناء الكتب على اختلافها مثل كتاب "الأغاني" "لأبي الفرج الأصفهاني" لتماشيه مع الذوق الأندلسي، و كان له تأثير كبير في الأوساط الأدبية، وتدريسه في المعاهد العلمية الّتي كانت منتشرة في قرطبة و غيرها من المدن الأندلسية، كما عرفت قرطبة بكثرة أطبائها نذكر منهم:[1] **أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي**:(ت 500هـ /1106م) الذي عاش في قرطبة وأمضى كل حياته فيها،و عرف بمهارته في الجراحة و أغنى الطب بأبحاثه و خاصة التي تتعلق بالأمراض الّتي تصيب الدم وتشوهات الفم و سقف الحنك وقد ترجمت معظم أبحاثه إلى اللاتينية.

*الطبيب الفيلسوف **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد**عاش مابين (520هـ-595هـ/ 1126- 1198م) و لعبت مؤلفاته دورا كبيرا في جامعات أوروبا ،كذلك" **أبو محمد علي بن سعيد بن حزم**" عاش ما بين (384-456هـ/ 933- 1064م)كان أديبا و فقيها وشاعرا وفيلسوفا،اهتم بنظريات المعرفة و من مؤلفاته كتاب "الملل و النحل" و" طوق الحمامة في الألفة والألاف"[2]

3- مدينة المرية:تعتبر مدينة المرية من أهم المدن الأندلسية العظيمة لكونها قاعدة الأسطول الأندلسي في فترة الخلافة الأموية وعصر الطوائف بالإضافة إلى دورها التجاري و البحري والصناعي والسياسي و العسكري في عصر الطوائف،وأقيمت بها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر* منشآت معمارية،وهذا ما ذكره الحميري قائلا:"... **وبين بجانة والمرية خمسة أميال أو ستة أميال، وكانت**

[1]- المقري ،المصدر السابق، 2 :26.

[2]-ليفي بروفيسال،المرجع السابق :233.

بجانة في القديم هي المدينة المشهورة قبل المرية فانتقل أهلها إلى المرية فعمرت وخربت بجانة..".[1]كما كانت مركزا للإشعاع الحضاري حيث نشطت بها الحركة الأدبية في عصر الطوائف رغم التفكك السياسي الذي حل بالبلاد و من بين أدبائها في عصر زهير العامري[2]: قاضيها "أبو الحسن مختارين عبد الرحمن الرعيني"،والوزير الكاتب "أبو العباس أحمد بن زكريا"[3].و يعد عصر "المعتصم بن صمادح"* العصر الذهبي للعلوم و الآداب في المرية لأنه كان محبا للمعارف وقصده فحول الشعراء إلى بلاطه منهم:

* **أبو عبد الله محمد بن أحمد**:الّذي تولى منصب الوزارة لعلو مكانته.

***أبو عبد الله محمد بن عبادة"** المعروف بابن القزار" ،كان بارعا في نظم الموشحات.

***أبو حفص عمر بن الشهيد :قال عنه ابن بسام :" كان أبو عامر يبلغ المعنى ولايطيل سفر الكلام، وإذا تأملته ولسنه،وكيف يجر في البلاغة رسنه ،قلت عبد الحميد في أوانه ،والجاحظ في زمانه ،والعجب منه أنّه كان يدعو قريحته إلى ماشاء من نثره ونظمه في بديهته....."**[4].

أما في عصر المرابطين فبرز الشاعر " أبو مروان عبد الملك " ،والنحوي"أبو الحسن سليمان بن الطراوة. ونجد في العصر الموحدي الأديب "أبو بكر يزيد بن صفلات" و الشاعر الوشاح" أبا الحسن المر يني"، وبرز في علوم اللّغة "عبد الملك بن محمد بن عمر" المعروف بابن ورد التميمي و كان من جلة الفقهاء

[1] ـ محمّد بن عبد المنعم الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار ،حققه إحسان عباس،ط1، مكتبة لبنان ،بيروت،1975 :102.
[2] ـ عن غازي مهدي ،مدينة المرية ،ثغر حربي ومركز إشعاع الحضاري،من مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول ،1933/1414،:54
[3] ـالمرجع نفسه والصفحة نفسها.
[4] ـ علي بن بسام الشنتريني ،الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تحقيق إحسان عباس1/1،دار الثقافة ،بيروت،لبنان ،1417 هـ - 1997 :6.

متقدما في علم الأصول والتفسير ،بالإضافة إلى العالم "أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أسود الغساني،أما في مجال التاريخ و الجغرافيا نذكر منهم :الحافظ أبا القاسم المعروف "بابن حبيش"،كذلك المؤرخ الكبير" ابن خاتمة الأنصاري" الّذي يصفه ابن الخطيب أنه حسنة من حسنات الأندلس، وكان له لغيره من أعلامها دور في دفع عجلة التطور والحركة العلمية في مدينة المرية بالأندلس[1].

وتبقى المرية مؤسسة علمية ثقافية وثغر حربي لاننكر فضلها في هذا القطر من أقطار العالم الإسلامي.

[1]- غازي مهدي ، المرجع السابق:55.

المبحث الخامس: تنقل علماء المغرب الأوسط إلى الأندلس.

من الأحداث العامة في تاريخ العرب والمسلمين الذي غير مجريات واقعهم السياسي و الحضاري بدون شك نجاحهم في فتح الأندلس ،جعلهم يصنعون رجلا واحدا في شمال إفريقيا و في أوروبا وتمكنوا خلال ثمانية قرون أن يكونوا حضارة راقية وشامخة و أن يعطوا أكثر مما يأخذوا ،و لا تزال بصمتهم إلى يومنا هذا تتحدث عن ذلك الزمان في جل الميادين،فكانت مركزا حضاريا يقصدها طلاب العلم من كل الجهات ، وبالتحديد من المغرب الأوسط، فالسؤال المطروح كيف كانت علاقة المغرب الأوسط بالأندلس ما بين القرنين الرابع والعاشر الهجريين/العاشر والخامس عشر الميلاديين؟

كانت ظاهرة هجرة علماء المغرب الأوسط نحو الأندلس متساوية في العدد نسبيا بالمقارنة مع تونس والمغرب إلى أن و توقفت في القرن الخامس عشر الميلادي بسقوط غرناطة،[1] و مرت هذه الحركة بعدة مراحل:

المرحلة الأولى:تبدأ هذه المرحلة من بداية القرن العاشر الميلادي إلى بداية القرن الحادي عشر الميلادي/(615هـ)، وبلغ عددهم ما يقارب احد عشرعالما منهم:

***عبد الرحمن التاهرتي** (ت341هـ/952م):ولد وتعلم ونشأ في تيهرت* ثم رحل إلى الأندلس وجلس للتدريس في قرطبة حيث اشتهر بدروسه في التفسير والحديث قال عنه ابن الفرضي:"**حدث عن أبيه وكتب عنه غير واحد من شعر أبيه.....**".[1]

[1] ـ عن عمار هلال ،العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنيين التاسع والعشرين الميلاديين(13 ـ14 هـ)،(د.ط)،المطبوعات الجامعية،1995 :10.

* **أحمد الوهراني** (ت341 هـ/952م):قاض من علماء الفقه المالكي ولد ونشأ وتعلم في وهران، رحل إلى الأندلس واستقر في قرطبة*.

***إبراهيم عبد الرحمن التنسي** :(ت 387هـ/997م):كان عالما بالفقه المالكي ولد ونشأ في تنس ،ثم رحل إلى الأندلس واستقر بمدينة الزهراء*،وأخذ عن مشاهير علمائها.

***قاسم بن موسى الضبي** (ت 390هـ/1000م): عالم بالحديث من فقهاء المالكية ،ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر ثم رحل إلى الأندلس و جلس للتدريس في قرطبة ،وروى عنه بعض علماء الأندلس و أثنوا عليه[2].

***زكريا بن بكر بن أحمد الغساني** (ت4 هـ/ 10م): و هو عالم فاضل محدث، رحل وأسرته إلى الأندلس سنة 326هـ،فأخذ عن بعض علمائها ،و منها رحل إلى المشرق ،فلقي بمصر أبا الطيب المتنبي و أخذ عنه ديوان شعره رواية ثم عاد إلى قرطبة حيث توفي، قال عنه ابن الفرضي: "**كان حليما ظاهرا و أجاز لنا جميع ما رواه..**".[3]

***أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن أبو فضل**:(ت393 هـ/1010م) عالم بالحديث،حافظ له،من الزّهاد ولد في تيهرت و رحل مع أسرته إلى الأندلس سنة 317هـ،و هناك تعلم و نشأ

[1]- عن عمار هلال ، المرجع السابق :.12.
[2]- ابن عميرة الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،(د.ط)،مدريد،1884،:204.
[3]- عن عمار هلال ،المرجع السابق:13.

وأخذ عن أشهر علماء عصره،ذكره أكثر من واحد من معاصريه و أثنوا عليه و نعتوه بالثقة و الفضل والعلم والصلاح والزهد.[1]

و من أشهر هؤلاء جميعا "**الوهراني عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد**" المعروف "بالتجاني": من كبار فقهاء المالكية في عصره،عارف بالحديث و رجاله له اهتمامات بعلوم عصره،ولد و نشأ وتعلم في وهران،ثم رحل في طلب العلم فأخذ عن علماء تونس و مصر و الحجاز و العراق وخرسان و نيسابور و بلخ، ودامت رحلته هذه ما يقارب عشرين سنة،كذلك أيضا" **أحمد بن علي أبو العباس البغائي**"(401 هـ .1011 م)، فقيه مالكي رحل إلى المشرق و أخذ عن علماء مصر ثم دخل الأندلس سنة 376هـ،و جلس للتدريس في المسجد الجامع بقرطبة،استأدبه المنصور "محمد بن أبي عامر" لابنه ،قال أحدهم" **كان ربانيا في علوم الإسلام،شديد الحفظ وكان بحرا من بحار العلم**"[2].

كذلك **الطبني محمد بن الحسين أبو عبد الله** (394 هـ -1014 م)[3]، شاعر بليغ وأديب بارع ينحدر من بيت أدب،عاش في منطقة زاب و إليها ينسب، رحل إلى الأندلس سنة 323هـ،فكان من شعراء الخليفة الأموي الحكم بن عبد الرحمن الناصر حتى قيل عنه لم يصل إلى الأندلس أشعر منه،توفي بقرطبة و شهد جنازته المظفر عبد الملك بن أبي عامر.

[1]-عمار هلال ،المرجع السابق :15.
[2]- ينظر عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر،ط2 ،بيروت،1980 :59.
[3]- المرجع نفسه:202.

هذا كله عن المرحلة الأولى لحركة العلماء نحو الأندلس و الّتي حصرناها في نهاية القرن الثالث الهجري إلى غاية نهاية القرن الذي يليه، و الملاحظ على علماء هذه الفترة الزمنية أنهم كلهم وفتهم المنية بالأندلس،و ولدوا و نشأوا وتعلموا بالمغرب الأوسط.[1]

المرحلة الثانية:و من علماء الذين تنقلوا إلى الأندلس في هذه الفترة نذكر **الطبني زيادة الله بن علي بن الحسين بن محمد بن أسد التميمي** عاش مابين(336-415هـ/947-1014م)، أديب وشاعرمن الطبقة الراقية نشأ و تعلم في طبنة،*رحل إلى الأندلس و استقر بقرطبة وكان له شأن بين معاصريه ، تميز بحديثه الممتع و حسن البديهة و الرواية وعلو الطبقة في صنعة الشعر[2].

و من معاصريه : **الطبني محمد بن يحي بن الحسن أبو عبد الله** (ت426هـ-1075م) ، ولد و نشأ بطبنة ،و هو أديب و شاعر، رحل إلى الأندلس في أيام ابن عامر*،و كان يتردد على مجلس أبي حزم بن جوهر ت(364-435هـ)وابنه أبي الوليد،كما كان يجالس ابن الشهيد مابين(382-426هـ)،[3] ومنهم من جمع بين العلم و التجارة مثل: **الوهراني عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرو** (ت 429هـ/1038م)،فقيه مالكي وعالم بالحديث وذو معرفة بعلمي الحساب و الطب،ولد و نشأ و تعلم بوهران،قال عنه أحد معاصريه (**قدم الأندلس تاجرا**

[1]- عادل نويهض، المرجع السابق:203.
[2]-الحميدي ،جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،مصر :257.
[3]- عمار هلال ،المرجع السابق:203.

سنة 429هـ و سكن اشبيلية وقت السيل الكبير و كان من الثقات،له رواية واسعة عن شيوخ إفريقية، وكان له علم بالحساب و الطب و كان نافذا فيهما).[1]

_عبد الله الوهراني حسين بن محمد ابن سلمون أبو علي المسيلي(ت 431هـ/1040م) ،فقيه مالكي ،له اهتمامات ببعض علوم عصره ، ولد ونشأ وتعلم في مسيلة*، ،رحل إلى قرطبة ومات بها و دفن في مقبرة العباس ،بالإضافة إلى **عبد الرحمن بن زيادة الله بن علي الطبني** عاش مابين (367-401هـ/977-1010م)، محدث ولد بقرطبة،و كان أبوه قد انتقل إليها واستوطنها[2].

ولا ننسى كذلك بعض العلماء المتأخرين خلال هذه الفترة مثل **عبد الله بن حمو المسيلي أبي محمد**(ت473هـ/108م)، فقيه و عالم وقاض و كاتب، أصله من مسيلة حيث ولد ونشأ و تعلم ثم رحل إلى المغرب الأقصى حيث ولي قضاء سبتة،و منها رحل إلى المرية واستوطن بها للتدريس إلى أن توفي بها .[3]

المرحلة الثالثة:انحصرت هذه الفترة في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وهي مرحلة مميزة ازدهرت فيها الحركة الثقافية والعلمية في الأندلس وفي بلاد المغرب، وبخاصة بعد توحيدها في العهد الموحدي ساعد علماء المغرب على ربط الصلات بينهم و بينها ،والأمر نفسه ينطبق على عهد المرابطين ،و من علماء هذه المرحلة:

[1]- عمار هلال ، المرجع السابق:.202
[2]- المرجع نفسه:19.
[3]- المرجع نفسه : 20

*** موسى بن عيسى بن علي أبو عمران:** المعروف بابن الصقيل المتوفي حوالي (514هـ/1120م)من فقهاء المالكية،محدث، ولد و نشأ و تعلم في تلمسان ثمّ رحل صحبة أخيه يحي إلى الأندلس بعد سنة(490هـ/1097م) و أخذ عن القاضي المحدث أبي علي الصدفي (ت514هـ/1120م)،وفي الفترة نفسها عاش **عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون التلمساني**(ت534هـ/1139م)، فقيه مالكي حافظ للحديث قاض اهتم بعدة علوم في عصره ،ولد و نشأ و تعلم بتلمسان ومنها رحل إلى الأندلس،حيث مكنه علمه الوافر و اطلاعه الواسع تولية القضاء بها ،ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث توفي قيل عنه "**كان يميل إلى الحديث ويحفظ الكثير منه و قد أخذ عنه و استقضي بغير موضع من العدوة إلى الأندلس**".[1]

***يوسف بن صياد السيدراتي الورجلاني أبو يعقوب** :عاش مابين (500-570هـ/1106-1175م)، مؤرخ ومفسر من أكبر الفقهاء عصره،من أهل الورجلان* مولدا و نشأة و تعليما ووفاة،رحل في شبابه إلى الأندلس طلبا للعلم واستقر في قرطبة، عاد إلى أهله و اشتهر بينهم ثم رحل إلى المشرق و زار أشهر حواضره العلمية ملتقيا بعلمائه،وبعد ذلك انتقل إلى إفريقيا و جاب غربها و وسطها ثم عاد ليستقر نهائيا في مسقط رأسه منقطعا لخدمة العلم حتّى وفته المنية.[2]

و من العلماء المعاصرين للورجلاني **ميمون الفرداوي بن جبارة بن خلفون** (ت584 هـ/1189م) ،من كبار فقهاء و علماء عصره،ولد و نشأ و تعلم ببجاية،رحل إلى المشرق العربي

[1] ينظر عمار هلال ،المرجع السابق :21.
[2] - عن عادل نويهض،المرجع السابق:341..

طلبا للعلم،ثم دخل الأندلس وولي قضاء ببلنسية مابين (581/568هـ)ثم عاد إلى بجاية حيث تولى القضاء فيها سنة 584هـ ثم استدعي إلى مراكش و لكن الموت كان أسرع منه،مات و هو في طريقه إليها[1]،بالإضافة إلى **موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري** (ت 539هـ/1193م)، محدث ،أصله من آشير* استوطن دلس* ثم رحل إلى الأندلس طلبا للعلم،و أقام بها مدة خمس سنوات،فأخذ عن علماء اشبيلية وقرطبة و المرية،ثم عاد إلى أرض الوطن،و استقر مدينة الجزائر ،حيث جلس للتدريس. [2]

المرحلة الرابعة:من بين علماء هذه الفترة **محمد بن إسماعيل المتيجي** عاش مابين(555هـ-625هـ/1160-1228م)، عارف بالحديث و رجاله،انشغل بعلوم عصره،من أهل متيجة* إليها ينسب،رحل إلى الأندلس ونزل في مرسية بحيث لقي بعض علمائها،فأخذ عنهم .[3]

***محمد بن عبد الحق الكومي التلمساني** عاش مابين(536-625هـ/1141-1238م)، قاض من كبار الفقهاء في عصره،مقرئ عارف بالحديث و رجاله،ولد و نشأ و تعلم بتلمسان وولي القضاء فيها مرتين،ثم رحل إلى الأندلس،و كان له مرتبة عالية عند السلاطين و الأمراء .

***محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي**: عاش ما بين(548-628هـ/1154-1231هـ): مؤرخ و أديب و شاعر،انشغل بعلوم اللّغة و الفقه و الحديث ولد

[1]- الغبريني،المرجع السابق:206
[2]- ينظر عمار هلال ،المرجع السابق:25.
[3]- المرجع نفسه :26.

و نشأ في البويرة* و تعلم في قلعة بني حماد وبجاية و تلمسان و بعد ذلك رحل إلى الأندلس ،ثم استوطن مراكش إلا أن توفي بها.[1]

***محمد بن سحنون الحاومي الندرومي أبو عبد الله** عاش مابين(580-634هـ/1184-1238)،عالم باللّغة العربية و أسرارها،أديب رقيق،ينتمي إلى قبيلة كومة التي كانت موطنها قرب تلمسان،هاجرت أسرته إلى الأندلس،فولد بقرطبة،و منها انتقل إلى إشبيليةحيث درس الطب على يدأبي الوليد بن رشيد وغيره،و كان من أطباء "الناصر المؤمن محمد بن يعقوب" [2].

***عبد الله بن حجاج بن عبد الله المعروف بابن سكات** عاش مابين(562-641هـ/1166-1243م)، فقيه مالكي تولى القضاء ،أقام في بجاية و بها نشأ و تعلم،رحل إلى الأندلس و لقي بمالقة* بعض علمائها،فأخذ عنهم،ثم عاد إلى بجاية و ولي القضاء مدة طويلة إلى أن توفي بها[3].

المرحلة الخامسة:و تنحصر هذه المرحلة في القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي ،و هي من أغنى و أزهى فترات الحركة العلمية و الثقافية ليس في المغرب الأوسط فحسب،و إنما في كامل المغرب والأندلس، و من علماء هذا العصر:[4]

[1]- عمار هلال، المرجع السابق:26.
[2]- ابن أصيبعة،عيون الأنباء في الأطباء،ج،بيروت،1956 :537.
[3]- عن الغبريني ،المرجع السابق:14.
[4] -عن عمار هلال ،العلماء الجزائريون في المغرب العربي،العدد 4و18 و19صدرت في 20-04-1993 :20.

***الحسن بن الحجاج بن يوسف الهوا ري** (ت589هـ/1202م)، أديب رفيع الطبقة ،كاتب بليغ، من فقهاء المالكية، أصله من بجاية،أخذ عن مشاهير عصره،سكن مراكش والأندلس.

***محمد علي بن مروان الهمداني الوهراني** (ت601هـ/1205م)، فقيه،قاض نشأ بتلمسان ولي قضاء بها ثم رحل إلى مراكش ،ذكره ابن الآبار وعدد خصاله.

***عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر**: المعروف بابن السطح(ت 629هـ/1231م) فقيه لغوي،نحوي، ولد و نشأ و تعلم بمدينة الجزائر و سكن بجاية ،و منها انتقل إلى الأندلس طالبا للعلم،فأخذ عنه بعض علماء إشبيلية ثم انتقل إلى مرسية و بعد ذلك عاد إلى بجاية واشتغل بالتدريس إلى أن توفي.[1]

***علي بن أبي نصر فاتح البجائي** (ت652هـ/1254م)، فقيه مالكي، ولد و نشأ في بجاية ثم رحل إلى الأندلس، ثم رحل إلى المشرق حيث أخذ عن علماء بيت المقدس ومكة و دمشق ثم عاد إلى بجاية فجلس للتدريس بها،و لعل أشهر هؤلاء جميعا **التلمساني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى** (ت690 -1291م)، الأديب والشاعر من كبار فقهاء المالكية،ولد بتلمسان و انتقل مع أسرته إلى الأندلس و عمره ستة أعوام، واستقرت أسرته في مالقة و أكمل دراسته فيها ثم رحل إلى سبتة* و استقر بها إلى أن مات.[2]

[1]- ينظر عمار هلال ،العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية: 28.
[2]-المرجع نفسه:29.

المرحلة السادسة:تنحصر هذه المرحلة زمنيا في القرن الثامن الهجري والرابع عشر الميلادي ، الذي يشهد تقهقرا في الحياة العلمية في الأندلس ذلك جراء الحملات التي شنها الإسبان على المسلمين ،و هو الأمر الذي جعل الكثير من العلماء يمتنعون من الانتقال إليها .

و قد بدا هذا القرن هزيلا من حيث تعداد علمائه ،و كذلك الندرة في نوعيتهم،فاتجه الكثير منهم إلى تونس و المغرب و من أشهر هؤلاء جميعا: **ابن خميس محمد عمر بن محمد**(645-707هـ/1247-1309م)،كان أديبا شاعرا فحلا،ولد و تعلم ونشأ بتلمسان حيث أخذ عن كبار مشايخها، ولعلمه و أخلاقه العالية ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء و أمانة سره، وفي أواخر سنة 703 دخل الأندلس و استقر بغرناطة،حيث جلس للتدريس،بقي ملازما للوزير أبي عبد الله بن الحكيم إلى أن قتل.

***عبد الله بن محمد بن أحمد الإدريسي الحسني** عاش مابين(748-720هـ/1347-1390م): مفسر من كبار العلماء في وقته،حافظ للغة و أخبار العلماء و مذاهب الفرق،له مشاركة في جميع علوم عصره،و من تلمسان رحل إلى الأندلس و دخل غرناطة و جلس بها مدة للتدريس، ثم عاد إلى وطنه فتوفي غرقا في البحر، [1]كذلك العالم الطبيب **محمد بن عبد الله بن حامد البجائي** ،ولد و تعلم ببجاية ثم رحل إلى الأندلس و استقر في المرية حيث ذاع صيته في الطب ،فقصده الناس من كل نواحي الأندلس.[2]

[1]- عمار هلال ،المرجع السابق:30.
[2] - المرجع نفسه :32.

المبحث السادس:تبادل الرحلات العلمية بين تلمسان و الأندلس:

بعد أن أصبحت تلمسان مدينة إسلامية على يد أبي المهاجر بن دينار لتصبح منذ ذلك الوقت مركزا من مراكز الفكر في المغرب الإسلامي،و أصبح لها دور كبير وخاصة بعد عبور المسلمين إلى الأندلس، وكانت رحلات أبناء الأندلس متتابعة إلى تلمسان للتزود من علمائها في شتى أنواع العلوم و الفنون أو لدعم الحركة الفكرية بها،وغايتي في هذا المبحث هو تبيان التبادل الثقافي الذي وجد بين البلدين، وذلك بذكر بعد العلماء الوافدين إليها من كافة مدن الأندلس ومنهم:

***أبو العيس بن عبد الرحمن الخزرجي بن أبي العيش الاشبيلي:**[1]الذي لعب دورا مهما في ازدهار الحركة الثقافية بتلمسان يقول عنه" يحي بن خلدون :" **كان مثقفا ذا علم و خط بارع،خطيب الجامع الأعظم بتلمسان".**

***يحي بن سعيد بن مسعود بن سهيل الأنصاري.**[2]

* **يحي بن علي المرسي كذلك أبو بكر عبد الله الحلوي الإشبيلي**[3]، الذي قال في شأنه يحي ابن خلدون:" **هو أبو عبد الله أخذ عن أبي الحسن،وأبي العباس بن حرب المسيلي وأبي بكر وأجازه أبو بكر بن رزق...كان مجودا للقرآن حافظا محدثا ناقدا نزل تلمسان وعمر بها وتوفي في رجب سنة ستمائة".**

[1]- أبو العباس محمد أحمد بن أحمد التنبكتي،نيل الابتهاج،(د.ط): 1329

[2]- يحي بن خلدون ،بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،تحقيق عبد الحميد حاجيات ،1 :100

[3]- ابن بشكوال ،الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم،1، مطبعة فرانسيسكو موديرة،مدريد،1884 :306.

***أبو بكر محمد عبد الله بن داود الخطيب الغافقي المرسي**[1] :(ت688هـ/1289م)الذي كان من أبرع الكتاب خطا و أدبا من أعرف الفقهاء بأصول الفقه، كتب عن ملوك غرناطة وقربه منه السلطان "يغمراسن" لاهتمامه بالعلوم.

***عبدون بن الحياك** :(ت867 هـ/1463م)الّذي تولى القضاء بتلمسان،و كان خطيبا بارعا ومصاحبا لأمير المسلمين" يغمراسن بن زيان ".

***أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس**: كان شاعرا موهوبا أثنى عليه العبدري في رحلته المغربية أثناء زيارته لتلمسان .

و من العلماء تلمسان الّذين رحلوا إلى الأندلس و استوطنوا فيها و نهلوا منها العلم و المعارف:

***إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى التلمساني**[2]: (ت690هـ/1291م) كان من كبار فقهاء المالكية،ولد بتلمسان ثم انتقل مع أسرته إلى الأندلس و عمره تسعة أعوام و استقر بمالقة وأكمل هناك دراسته.

***علي بن محمد** (ت791هـ/1389م).

***عبد الله بن محمد**: (ت707هـ/1309م) ولد و نشأ بتلمسان و تعلم بها ،دخل الأندلس واستقر بغرناطة حيث جلس للتدريس، و ما لبث أن ذاع صيته، و ما يدل على شهرته في عصره

[1]- ينظر عبد العزيز الفيلالي،تلمسان عبر العصور،2،دار موفم للنشر والتوزيع،الجزائر،2002 :456.
[2]- شكيب أرسلان،الحلل السندسية في أخبار وأثار الأندلس،3،مصر،1355-1358هـ :825.

كثرة ذكره من قبل المؤرخين و المهتمين بالتراجم و السير،قال عنه ابن خلدون:" **كان لا يجاري في البلاغة والشعر...**".[1]

* **أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الإدريسي** :(ت792هـ/1390م)،من كبار العلماء في وقته رحل غرناطة وجلس مدة بها للتدريس.

و مماسبق يتضح توافد الأسر الأندلسية في الفترتين الزيانية و الحفصية و بالتحديد في زمن الأزمات السياسية ،و بعض يرجع تواجدهم في الدولتين يعود إلى زمن الدولة الأموية بحثها عن قاعدة أندلسية أمامية في بلاد المغرب تقف بها في وجه المد الفاطمي و لهذا لجأت إلى الشواطئ المغربية وأسست فيها قواعد لها لضرب مخططات الفاطميين والحد من توسعهم و انتشار مذهبهم[2].

و إنّ العلاقة بين الأندلس و المغرب الأوسط علاقة قديمة ، يسرت التنقل إلى العدوتين للطلب العلم أو المشاركة في تطوير الحركة الفكرية و تقويتها،و بنهاية القرن الرابع عشر وحلول القرن الخامس الميلاديين تدخل الأندلس الإسلامية في دائرة الاضطراب،و بدأت شموع الثقافة العربية الإسلامية تنطفئ فيها الواحدة تلو الأخرى ومعالم حضارتها الّتي عمرت قرابة الثمانية قرون تتراجع بسبب الضغط الأوروبي الممارس عليها و الذي أصبح يشتد شيئا فشيئا إلى حين خنقها و طرد القائمين عليها.

[1]-عن الحنفاوي،تعريف الخلف برجال السلف،ط1، دار الطبع بالاشتراك بين مؤسسة الرسالة ،بيروت،القسم الأول،1982 :233.
[2]- البكري،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،نشره البارون دي سلان،الجزائر، 1911 :61.

والظاهر أن الأندلسيين ظلوا يهاجرون إلى المدن الساحلية، خصوصا في فترة الأزمات السياسية للأندلس، حيث وجدت في بلاد المغرب ظروفا ملائمة للاستقرار والأمن، ونسبة كثافتهم تختلف من مدينة إلى أخرى، حسب أهميتها التجارية وموقعها الإستراتيجي والسياسي، ولعل بعض الأندلسيين قد استقروا بمدينة تلمسان في العهدين المرابطي والموحدي، في ظل الوحدة السياسية، الّتي جمعت العدوتين المغربية والأندلسية، ما بين القرنين الخامس والسابع هجريين أي الحادي عشر والثالث عشر ميلاديين، فقد جاءت وفود عديدة في هذه الفترة، تطلب الأمان والسكينة في مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وإلى مدن وحواضر أخرى في بلاد المغرب، وقد عمل الفقهاء والأدباء والعلماء منهم، إلى جانب الأمراء المرابطين والموحدين وأصبحوا مستشارين لهم، لأنّ الأمراء شجعوهم على الرحلة والهجرة، سواء أكان ذلك طوعا أو كرها، و بصمات المهندسين والفنيين الأندلسيين في مدينة تلمسان، كانت واضحة، ولا سيما في الصناعة والعمران في العهدين المرابطي والموحدي.[1]

وقد كان أول من غادر بلاد الأندلس، من المسلمين سراتها ونخبتها مستبدلين بالأهل أهلا وبالأوطان أوطانا، ففي منتصف القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، نزلت جالية كبير أرض المغرب الأوسط، حط معظمها عصا الترحال، في عاصمة بني زيان حيث وجدوا الترحيب والتعضيد، من قبل الأسرة الحاكمة، وفضل آخرون التوجه إلى مدينتي الجزائر وبجاية، بينما تفرق الباقي بين مدينتي

[1]- عبد المجيد التركي، وثائق الهجرة الأندلسية إلى تونس، حوليات الجامعة التونسية، العدد الرابع ،1967 :23 - 25.

ندرومة وهنين[1].

[1]- عبد المجيد تركي ، المرجع السابق :30.

الفصل الثاني

الهجرة الأندلسية وآثارها في الجزائر في أبعادها السياسية والجغرافية والدينية.

- تمهيد.

المبحث الأول: أسباب الهجرة ودوافعها.

المبحث الثاني: مراحل الهجرة.

المبحث الثالث: موقف الفقهاء من الهجرة.

المبحث الرابع: أشكال الهجرة الأندلسية إلى الجزائر.

المبحث الخامس: أوقاف أهل الأندلس.

المبحث السادس: طرق اتصال الأندلسيين بالجزائر.

المبحث السابع: انعكاسات الهجرة الأندلسية في الجزائر.

شهدت مدن الأندلس في القرن السابع الهجري سقوط جل حواضرها بيد النصارى،ولم يكن أمام هذا الوضع إلا الأخذ بأحد الأمور الثلاثة:

توحيد الجهود والقوى لمواجهة النصارى ولكن هذا الأمر لم يتحقق، فبقيت غرناطة بمعزل عن المدن الأخرى،إما القبول بحكم النصارى والانصهار تحت رايتهم مع الحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي، وإما الهجرة عن الوطن وأرض الأجداد إلى غير رجعة مع ما يصاحبها من بؤس وحرمان وخسارة كل شيء،،فهاموا في كل صوب طمعا في الوصول إلى أماكن أكثر أمنا لعلها تقوم مقام الوطن الضائع، وكان حظ الجزائر من الهجرة أوفر من غيرها ،ماهي أسباب هذه الهجرة ودوافعها؟

المبحث الأول:دوافع الهجرة.

1 . تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأندلس: كان لتدهور الأوضاع السياسية بالأندلس أثر مباشر في الهجرةالأندلسية تجاه المغرب الأوسط بخاصة والمغرب الإسلامي بعامة،لاسيما بعد ضعف الموحدين وانهزامهم في معركة حصن العقاب(609هـ/1212م)[1]،تلك المعركة التي كانت بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس[2]،فتوالت الفتن و الثورات ضد الموحدين،سواء من المسلمين كثورةبني مردنيش[3]،أو من قبل المسيحيين الذين استغلوا تلك الأوضاع فراحوا يصعدون من حدة هجماتهم على المدن الإسلامية، كما اندفعت حركة الاسترداد ونشطت نشاطا لم تشهده من قبل،فسقطت الكثير

[1]- المقري،نفح الطيب،1 :285.
[2]-محي الدين عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ط1،شرحه صلاح الدين الهواري،المطتبة العصرية،بيروت،2006 :122.
[3]- ابن خلدون ،المرجع السابق:198.

من المدن بأيديهم مثل ماردةسنة(627هـ/1228م)،وقرطبة(633هـ/1236م) وبلنسية(636هـ/1238م)...و هو ما دفع الكثير من الأندلسيين إلى الهروب من اضطهاد النصارى إلى المدن التي كانت لا تزال بأيدي المسلمين مثل غرناطة النصرية التي استطاعت الصمود في وجه ضربات النصارى،وفضل آخرون الهجرة إلى بلاد المغرب والمشرق الإسلامي بعد معايشتهم أفول الفردوس،فلم يعد الأندلسيون ينتظرون منها الكثير لاسيما بعد انهزام بني مرين و بني الأحمر في وقعة طريف سنة741هـ/1340م،التي استشهد فيها الكثير من علماء المغرب و الأندلس ،هذا ما زاد من تشجيع الأندلسيين على ترك بلادهم[1].

كما كان لأوضاع الأندلس الاجتماعية أيضا دور في هجرة نحو بلاد المغرب الإسلامي هروبا من الظلم وثقل أعباء الضرائب و الصراع بين طبقات المجتمع الأندلسي،[2] نتج عن هذا النزوح ازدحام غرناطة لكثرة سكانها مماأدى ارتفاع الضرائب الّتي لم يستطع الكثير من السكان تحملها ،كما أرغمت جملة الإجراءات التعسفية التي فرضها النصارى على مسلمي غرناطة مغادرة الأندلس نهائيا وهي إجراءات يكن إجمالها في الآتي: ـ سيطرة النبلاء على مساحات شاسعة من الأراضي و الأملاك التي كانت للأندلسيين.

- فرض الضرائب و منع أداء الشعائر الدينية علنا.

[1]-المقري،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا،إبراهيم الآباري،عبد الحفيظ شبلي،1،القاهرة،(د.ت):203.
2- عن عز الدين أحمد موسى ،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ،ط1،دار الشروق،بيروت،القاهرة،1983 :88.

- محو و قطع صلات المسلمين بتاريخهم و حضارتهم و استعمال أساليب القمع و البطش، والتعذيب.

- إنشاء جماعات تبشيرية تعمل على تنصيرهم و محاولة إغوائهم بالهدايا.

- إرغامهم على مصاهرة الإسبان من أجل القضاء على العروبة والإسلام.

- منعهم من ارتداء ملابسهم العربية التقليدية.

- منعهم من ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية.

- إرغامهم على الزواج وفق عادات المسحيين.

- منع بيع ممتلكاتهم إلا بالترخيص من الحكومة .

- تسليم الكتب إلى السلطات لحرقها.

- منعهم من حمل الأسلحة على اختلاف أنواعها.

- منعهم من الاتصال بمسلمي شمال إفريقيا.

- منعهم من تقسيم ممتلكاتهم على الطريقة الإسلامية.

- طغيان الأنانية التي أدت إلى تمزيق المسلمين و تشتتهم وطردهم من الفردوس بعد ثمانية قرون..[1]

[1]-عن ضيف الله محمد الأخضر ،محاضرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية ،(د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د.ت) : 151.

2. العلاقات السياسية و التجارية بين المغرب الأوسط و الأندلس:

إنّ تدهور الأوضاع السياسية بالأندلس بعد استيلاء النصارى على عديد من المدن جعل بني نصر يستنجدون بدول المغرب الإسلامي، لاسيما بني مرين الّذين كان لهم دور مهم في الجهاد،مما حسن العلاقات بينهما،وكثر تبادل الرسائل بين الجانبين[1]،و لما حقق بنو مرين انتصارات عديدة ضد النصارى في الأندلس أصبح لديهم نفوذ جعل سلاطين بني نصر يتخوفون منهم،لاسيما في عهد السلطان محمد الفقيه(671هـ/701هـ/1272- 1302) ثاني سلاطين بني نصر،الّذي بحث عن طريقة للخلاص من السلطان المريني خوفا على نفسه،فعمل على توثيق علاقاته السياسية مع بني زيان،و سلطانهم آنذاك "يغمراسن بن زيان"،و تمثلت تلك العلاقات في تبادل الهدايا و الرسائل و الأموال و اتفق الطرفان على إغارة يغمراسن بن زيان على بني مرين حتى يصرف يعقوب بن عبد الحق المريني عن الجواز إلى الأندلس[2]،و بالفعل راح يغمراسن بن زيان يغير على حدود الدولة المرينية،بالرغم من طلب يعقوب المريني من يغمراسن عقد صلح سنة (679هـ/1281م) إلا أنّه رفضه فخرج يعقوب لقتاله و هزمه عند وادي تافنة،و لم تقتصر العلاقات السياسية بين بني نصر و بني زيان على عهد يغمراسن بن زيان،بل تواصلت وقويت في عهد أبي حمو موسى الثاني[3]،ومايدل على ذلك تلك الرسائل العديدة التي تلقاها من الوزير لسان الدين بن الخطيب و التي كثيرا ما كان يرفقها بقصائد التهنئة مثل ما جاء في قوله:

[1]-ينظر الطوخي أحمد أمين ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر،(د.ط)،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية،1997 :264.
[2]- ابن الخطيب ،كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تحقيق محمد كمال شبانة،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2003
[3]- ابن الأحمر ،تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان،تحقيق هاني سلامة ،(د.ط)،مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع،بوسعيد،2001 :76.

وَقَفَ الغَرَامُ عَلَى ثَنَاءِ لِسَانِي وَعْيًا لِمَا أَوَلَيْت مِنْ إِحْسَـــانِي

فَكَأَنّمَا شُكْرِي لِمَا أَوْلَيْتَـــه شُكْرُ الرّيَاضِ لِعَارِضِ النّسْيَانِ[1]

و كان أبو حمو موسى الثاني يمنح أهل غرناطة في كل سنة الزرع و المال و الخيل،وهذا ما عبرعنه لسان الدين بن الخطيب في قوله:

لَقَدْ زَادَ الجَزِيرَةَ مِنْك بَحْـــــر يَمُدُّ فَلَيْسَ نَعْرِفُ مِنْهُ جُـــــزْرا

أَعَدْتَ لَنَا بِعَهْدِكَ عَهْدَ مُوسَى سَمّيك فَهُنّ تَتْلُو مِنْهُ ذِكْـــــرَا[2]

و عموما فإن العلاقات السياسية بين بني نصر و بني زيان كانت حسنة،إلا أنّها لم تصل إلى مستوى الذّي كانت عليه مع بني مرين ، نظرا لانشغال بني زيان بثورات القبائل من جهة،و هجمات الحفصيين والمرينيين من جهة أخرى،[3]أما علاقاتها التجارية مع الجزائر الوسطى فكانت متميزة مما عملت على تحسين الروابط الثقافية بينهم،و كانت الأندلس المصدر الرئيس للمغرب الأوسط في مجال المصنوعات الفخارية والعطور و الورق وغيرها من المواد الأخرى ،ليأخذوا بالمقابل من المغرب الأوسط بعض المنتجات الزراعية لاسيما القمح،[4]وكانت العلاقات السياسية و التجارية بين البلدين سببا مباشرا في الهجرة الأندلسية إلى الجزائر لاسيما في عهد "يغمراسن بن زيان" ،الذي أصدر قرارا يمنحهم الحق في السكن و تملك الأراضي الزراعية قائلا:" **واطلع يغمراسن على أغراضهم في**

[1]- المقري ،نفح الطيب، 7 :277.

[2]- المازوني أبو زكريا يحي المغيلي،الدرر المكنونة في نوازل مازونة،تحقيق حساني مختار ،1، نشره مخبر المخطوطات،جامعة الجزائر،2004 :82.

[3]- ينظر الطوخي أحمد أمين،مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني نصر ،(د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،1997 :92.

[4]- المرجع نفسه:93.

اختيار حضرته السعيدة للسكن على سائر البلاد فلاحظ منهم النية وأظهر عليهم مزايا فبوأهم من اهتمامه الكريم و إنعامه العميم جنات ألفافا، ووطأهم جناب احترامه تأنيسا لقلوبهم المنجاشة....."[1].

3 –الازدهار الحضاري للمغرب الأوسط في عهد بني زيان:عرف المغرب الأوسط في عهد بني زيان ازدهارا حضاريا في شتى المجالات لاسيما في المجال الثقافي وهو راجع بالدرجة الأولى إلى اهتمام سلاطين بني زيان به و اشتراكهم فيه كأبي حمو موسى التاني و غيره، و كانت حاضرة تلمسان من أهم مراكز الإشعاع الثقافي الّتي يقصدها العلماء و الأدباء من مختلف الأقطار لوجود العديد من المؤسسات التعليمية و الثقافية ، و لازدهار فن النسخ و الوراقة،[2]إذ تنافس العلماء و الطلبة على نسخ المصاحف و الكتب المشهورة،و التي شارك في نسخها السلاطين الزيانين كأبي زيان الثاني (796-801هـ/ 1394- 1399م)الذي نسخ نسخا من القرآن الكريم،و نسخة من "صحيح البخاري" ونسخة من كتاب "الشفا للقاضي عياض"،و ما يدل على رقي فن النسخ تآليف العلماء في هذا المجال كأبي عبد الله بن مرزوق الحفيد الذي كتب رسالة سنة(842هـ/ 1238م) سماها "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغط الروم" بعد امتناع البعض من النسخ في الورق المستورد من البندقية،[3]كما وجدت بتلمسان عدة مكتبات أسهمت هي الأخرى في إنعاش الحياة الثقافية بها،كالمكتبة الّتي شيدها أبو حمو موسى الثاني بالمسجد الأعظم سنة(760هـ/1359م)،و المكتبة

[1]-ينظر خالد بلعربي،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان،ط1،مطبعة تلمسان،2005 :243.
[2]- التنسي،تاريخ بن زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985 :163.
[3]- المرجع نفسه:164.

الّتي أقامها ابنه أبو زيان الثاني في المسجد ذاته ،أما الجانب الاقتصادي فعرف هو الآخر ازدهارا بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان لاسيما خلال فترات الأمن و السلم، لموقعها الهام،[1] و اهتم الزيانيون كذلك بتربية أنواع مختلفة من الحيوانات وعملوا على استخراج المياه و جلبهم القنوات لاستغلالها في الزراعة.

و أمافيما يخص الصناعة فهي الأخرى عرفت تطورا فاشتهرت بكثرة الحرف و الصناعات،حيث سميت شوارع تلمسان باسم الحرفةأو الصناعة التي تمارس فيها،منهاشارع السراجين،و شارع الفخارين،وطريق المعصرة..[2]الخ،واشتهرت بصناعة النحاس و النقش، مما يدل على رقي الحرف والصناعات في العهد الزياني.

كما عرف الجانب التجاري أيضا رقيا نظرا لموقع المغرب الأوسط الهام الذّي يربط بين الشرق والغرب والشمال و الجنوب،و كانت مدنه عبارة عن ملتقى تلتقي فيها البضائع،و ساعد على ذلك وجود مراسي أسهمت في تنشيط العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط و الأندلس والجمهوريات الإيطالية كميناء :هنين و أرشكول*،و وهران،فغدت تلمسان تتدفق عليها البضائع من مختلف الجهات،و بخاصة الأدوات الحديدية و الأقمشة و الزجاج،[3]أما من بلاد السودان الغربي فكان يجلب الذهب و بعض الحيوانات الغريبة عن بلاد المغرب الإسلامي،و عرف تجار تلمسان بالإخلاص والصدق في تجارتهم و الحرص على تزويد مدينتهم بالمؤونة و المواد الّتي تحتاجها،[4] و لقد شجع هذا

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق،7 :211.
[2]-التنسي،المصدر السابق:163.
[3]- البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،(د.ط)، نشر دوسلان،باريس،1965 :65.
[4]- الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ،ترجمة محمد حجي،محمد الأخضر،دار الغرب،بيروت،1983، 2 :21.

الازدهار الذّي عرفه المغرب الأوسط في عهد بني زيان في المجالات الثقافية والاقتصادية المهاجرين الأندلسيين على التوجه إلى مدنه التي كانت تشبه كثيرا مدن الأندلس فوجدوا فيها تعويضا عما تركوه وراءهم.[1]

4-الأسباب الاقتصادية:شهد القرنان الثامن و العاشر الهجريان ارتفاعا كبيرا في عدد السكان بسبب تدفق المهاجرين الأوروبيين ونزوح أعداد من النصارى المتعربين الذين كانوا يقيمون في الجنوب و ذلك راجع إلى الجفاف و المجاعة، والسعي لتحقيق انتصار آخر ما أدى إلى سقوط الممالك الأندلسية الواحدة تلو الأخرى[2].

5-دور الكنيسة في سقوط غرناطة:عملت الكنيسة على تقديم دعم لإنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية بعد انتقال الحرب إلى الشمال الإفريقي،و بقيت الضريبة المعروفة باسم ضريبة الجهاد مفروضة حتى باتت في القرن السادس عشر المصدر الثاني لمداخيل الدولة ،وحاولت الكنيسة في القرن الثالث عشر إنجاح الحملة الصليبية في المغرب، وإنهاء الوجود السياسي الإسلامي بها.[3]

[1]- ابن سعيد الغرناطي،كتاب الجغرافيا،تحقيق إسماعيل العربي،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982 :139.
[2]- ابن السعيد الغرناطي ،المرجع السابق:140.
[3]-ينظر عادل سعيد الشتاوي، الأندلسيون المواركة،دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة،(د.ط)، موفم للنشر والتوزيع،(د.س):83.

المبحث الثاني:مراحل الهجرة الأندلسية إلى الجزائر.

كانت عملية نفي المواركة الأندلسيين عسيرة و طويلة لم تنتهي إلى غايةسنة 1615م،أي بعد حوالي سبع سنوات من صدور مرسوم طرد الأندلسيين،و سهل على بعض منهم الهروب من أماكن إقامتهم إلى مناطق أخرى في قتشالة و أرغون دون أن تتمكن السلطات من العثور عليهم،كما سمح لعدد منهم البقاء في ممالك فليب الثالث،[1]و بلغ عدد الذين انتقلوا إلى العدوة المجاورة حوال ثلاثة ملايين شخص فاختار بعضهم فحص الجزائر و متيجة على حسب ماجاء في نصوص و وثائق الاستقرار ،و بعضهم الآخر اختار سواحل المغرب الأوسط بجناحيه الشرقي و حاضرته بجاية و الغربي وحاضرته وهران و وسطه جزائر الثعالبة و هو ما أشار إليه ابن خلدون في قوله:" **وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها و من خلفهم من البربر،و تغلبت عليهم أمم النصرانية،فاشتروا في عدوة المغرب و إفريقية من لدن الدولة اللمتونيةإلى هذا العهد،و شاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع و تعلقوا بأذيال الدولة**"،[2] وقد مرت الهجرة الأندلسية بثلاث مراحل:

– **المرحلة الأولى**:تشير بعض الوثائق إلى هجرات أندلسية مبكرة قبل سقوط غرناطة عام 1492م، وقبل الطرد النهائي لبقايا المدجنين عمن كانوا بحي البيازين و ثوار جبال البشرات عام 1610م،و تبدو أول هجرة أندلسية واضحة نحو الجزائر الثعالبية إثر سقوط سرقسطة البيضاء عام

[1]-ينظر عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق:190.
[2]- ابن خلدون ،المقدمة ، 2 :401.

(512هـ/1129م) واستقرارهم في أعالي الجزائر بحي الثغريين ولا تزال الهضبة الّتي استوطنوها تحمل اسمهم إلى اليوم هذا،و يعود لهم الفضل الأكبر في إحياء المنطقة و القضاء على أحراش بوزريعة واستصلاح غابات المنطقة[1].

لقد كان حظ الثغريين من سرقسطة البيضاء إلى الجزائر أيام حكم أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين سنة(537هـ/1143م) يسيرا حيث حملهم الأسطول المرابطي العامل في السواحل و الجزر المرابطية من ميناء المرية إلى الجزائر الثعالبية التي كانت الحاضرة المرابطية الشهيرة،إلا أن تلمسان كان حظها أوفر من المهاجرين الأندلسيين و تكونت بها جاليات أندلسية عديدة،مثل أسرة بن وضاح الّتي رحلت من شرق الأندلس،و كان لها مكانة كبيرة لدى السلطان يغمراسن بن زيان، وأسرة بني ملاح القادمة من قرطبة،والتي اشتهرت بالعلم و الأدب و اختص بعض أفرادها بصك النقود، ومنهم من تقلد وظيفة الحجابة،[2]و منصب صاحب الأشغال لدى السلطان يغمراسن كعبد الرحمن بن محمد بن الملاح[3]،كما كان كذلك لبعض الأسر دور فعال في دفع الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب الأوسط ،كأسرة العقباني التي انجبت عددا من العلماء لاسيما في مجال العلوم الدينية،أبرزهم سعيد العقباني (ت811 هـ/1408م) و قاسم بن سعيد العقباني(ت854 هـ/1450م)،[4]و لا تزال بتلمسان وندرومة و مدن أخرى أسر ذات أصول أندلسية،تعرف باسم الحرفة التي ممارستها في ذلك العهد،أو نسبة إلى المكان الّذي كانت تقطن فيه.

[1]- عن فرنان برودويل،المتوسط والعالم المتوسطي،تعريب وإنجاز مروان أبي سمرا،(د.ط)،دار المنتخب،بيوت،1993 :47.
[2]- ابن خلدون ، العبر،7 ،:204.
[3]- يحي بن خلدون، المرجع السابق،ج1 :205.

[4]-ينظر شاوش محمد رمضان،باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995 :401.

و تواصلت الهجرة الأندلسية نحوالمغرب الأوسط في عهد بني زيان و بلغت أوجها في عهد السلطان عبد الواحد بن أبي عبد الله مابين(814-827هـ/1411-1424م)،و عهد السلطان أحمد العاقل(862هـ/1431م)الذي استقبلهم بحفاوة كبيرة،و أنزل كل واحد منهم بالمكان الذي يليق به،فالعلماء و الوجهاء أنزلهم بالحاضرة،و التجار و الحرفيون في درب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين، ولم تقتصر هجرة الأندلسيين على تلمسان بل قصدوا مدنا أخرى كهنين و ندرومة والجزائر و بجاية.[1]

-المرحلة الثانية:تتمثل في هجرة أهل بلنسية الشهيرة بحيث كانت كثيفة نحو تونس الحفصية،و بجاية وبعض عائلات استقرت بمدينة القل و دلس و منها إلى فحص الجزائر ومتيجة أيام اشتداد الحملات الصليبية الإسبانية على بجاية حيث أسسوا مدينة القليعة فيما بعد،و من الأسباب الموضوعية الّتي أدت إلى استقرار هذه الجاليات الأندلسية من سرقسطة البيضاء والمرية وبلنسية خاصة، رغبة فرع من الثعالبة في خبرة هؤلاء الأندلسيين الزراعية الحرفية، ومما يلاحظ على الهجرات الأندلسيةالأولى ،بحسب ما ذهب إليه جل المؤرخين الجزائريين ،هجرات من الأسر الوجيهة والأعلام الذين كان لهم الأثر القوي في جميع الميادين العلمية و الاقتصادية، فاستقطبتهم بجاية الناصرية ثم الحفصية بصورة بارزة.[2]

كما لاننسى نصيب مدينة القل من هذه الهجرة التي استقرت بها حوال ثلاثمئة أسرة أندلسية مهاجرة من قشتالة ومن ثغور مملكة بلنسية ،وهذا ما أشار إليه مارمول كاربخال قائلا:" **لقد تطورت هذه**

[1]-ينظر شاوش محمد رمضان، المرجع السابق:401.
[2]- عن سيدي موسى محمد الشريف، مدينة بجاية الناصرية،دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية،تقديم محمد بلغيث،(د.ط)،دار هومة للنشر والتوزيع،2007 :125.

المدينة العتيقة التي استوطنها الأندلسيون من شرق الأندلس و حواضره الشهيرة بلنسية ومثاغر جزيرة شقر،والقل بلد غني بالفواكه منها أشجار الليمون و البرتقال،كما أكتسبت المنطقة من خلال خبرة الأندلسيين مهارةعالية في تربية دودة القز،لهذا كانت من أطماع بيدرو الثالث الأرغواني،الذي سعى للسيطرة عليها ثم الزحف على مدينة قسنطينة في مغامرة غير محدودة، بتواطؤ مع ابن الوزير الطامح في عرش تونس الحفصية بمساعدة مملكة أرغون الصليبية".[1]

لقد لقيت الزراعة اهتماما واسعا في المغرب الأوسط من قبل المسلمين الأندلسيين فعملوا على تحسين طرقها من ري وسقي.

-المرحلة الثالثة:ارتبطت نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس بسقوط غرناطة آخر معاقل الإسلام سنة(897 هـ/1492م) وانتهج الإسبان سياسة مد حركة الاسترداد ببلاد المغرب لتعاقب المهاجرين الأندلسيين بها،فاستولوا على العديد من المراكز الساحلية بالسواحل الجزائرية، وفرضوا سيطرتهم على المرسى الكبير سنة 1505م ووهران سنة1509م ومستغانم1511 وتلمسان سنة1512 م[2].

و لتصفية الوجود الإسلامي بإسبانيا ذاتها انتهجت سياسة التنصير الإجباري للمسلمين التي أشرفت عليها الكنيسة الكاتوليكية و تبناها الكاردينال فنقض "فردناند" و "إيزابيلا" العهد الذي أعطي للمسلمين مقابل تسليم غرناطة ، وحرمت الشعائر الإسلامية و أحرقت الكتب العربية و أغلقت المساجد سنة(905هـ/1499م)،واعتبر الدين الإسلامي خطرا على جزيرتهم فمنعوا وجودهم سنة

[1]- ينظر سيدي موسى محمد الشريف،المرجع السابق:125.
[2]- عن الفيكونت شاتو براين، الإسلام في الأندلس آخر بني سراج،ترجمة الأمير شكيب أرسلان، بيروت،دار مكتبة الحياة،1985 :125.

(907هـ/1501م)،ما أدى إلى انتفاضةالمسلمين وقيامهم بثورة جبال البشرات سنة (**976**هـ/1570م)، إلا أنّهم فشلوا بعد سنتين من الجهاد، فأرغموهم على الهجرة إلى السواحل المغربية، فنتجت عن هذه الانتكاسة زيادة الضغط على المسلمين[1]،فاتخذت في حقهم إجراءات قمعية رادعة مهدت لقرار الطرد الجماعي الذي أصدر قوانينه و مراسيمه فليب الثالث ما بين سنتي 1607م-1614م بإيعاز من الكنيسة و تشجيع من الاقطاعيين،فخصصت لهم السفن لنقلهم،ووضعت قوائم السفن التي حملتهم إلى وهران والمرسى الكبير باعتبارهما مركزين إسبانيين يوجه إليهما المهاجرون ،فقد تم نقل ما بين شهرأكتوبر ونوفمبر من عام(1016هـ/1609م) ما يقارب مائة وستة عشر ألفا واثنين وعشرين مسلما من مناطق شرق الأندلس.

و لكن مأساتهم لم تتوقف عند هذا الحد ، بل تعرضوا إلى مأساة ثانية بالجزائر و فاس حيث أغارت عليهم قبائل المنطقة، بحسب ماجاء في رواية المقري التلمساني:" **فخرجت ألوف بفاس و ألوف بتلمسان من وهران....فسلط عليهم الأعراب و من لا يخشى الله تعالى في الطرقات و نهبوا أموالهم و هذا ببلاد تلمسان و فاس و نجا القليل من هذه المعرة**"[2].

ونتج عن هذا الوضع تجند المرابطين و شيوخ الزوايا بالمغرب الأوسط لحمايتهم و الدعوة إلى الجهاد، وطلب الفقهاء و الوجهاء إلحاق المغرب الأوسط بالدولة العثمانية حاملة راية الإسلام سنة (924-918هـ/ 1518 – 1512م)[3]، و تحولت الجزائر بذلك إلى جبهة متقدمة في قوة الدولة العثمانية

[1]- ينظر الفيكونت شاتو بريان،المرجع السابق:129.
[2]- المقري،نفح الطيب،4 :436.
[3]- ينظر ناصر الدين سعيدوني،صور من الهجرة الأندلسية،:213.

لمكافحة النفود الإسباني، الأمر الّذي ساعد على وجود أعداد كثيرة من الأندلسيين واستقرار هم بالمدن و الأقاليم الجزائرية الساحلية وبخاصة في الغرب الجزائري بما فيه وهران و نواحيها و مستغانم وآرزيو وجهاتها و تلمسان و قلعة بني راشد ومازونة و ندرومة واستقرت في الشرق الجزائري جاليات أندلسية ببجاية و جيجل و القل وقسنطينة وبونة و القالة أما الوسط فأختارته بعض الجاليات الثغرية القادمة من سرقسطة البيضاء وبطليوس.

لقد تم نقل ما بين سنتي(1569 -1543م) حوال سبعة آلاف وسبع مائة أندلسي من أهالي بلنسية أيام البحارة المشهورين "صالح رايس"و"إيدن رايس"و"درغوت رايس"و"حسن فنيزيانو"و"مراد رايس"،وكذلك بمشاركة مئات الثوار من جبال البشرات على شواطئ المرية و مربلة ما بين سنتي (1568-1569).[1]

و أشار كتاب غزوات عروج أنه أنقذ ما لا يقل عن سبعين ألف أندلسي و حملهم إلى الجزائر أغلبهم من الطبقة المتوسطة و الفقيرة من الفلاحين وأصحاب المهن و الصنائع و التجار إلاالقليل منهم ممن كان له حظ في العلم أو نصيب في الثقافة عكس المرحلة الأولى للهجرة الأندلسية للجزائر.[2]

فكان للعلاقة الّتي ربطت بين الجزائر و الأندلس دور فاعل في الهجرة،التي تعود إلى زمن الخلافة الأموية بقرطبة الّتي حاولت استمالة العشائر الزيانية بالمغرب الأوسط للوقوف في وجه المخططات

[1]-ينظر ناصر الدين سعيدوني ، الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي، مجلة أوراق ، مدريد، العدد الرابع، المعهد الاسباني العربي للثقافة،1984 :118.

[2]- البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب،(د.ط)،باريس:70.

الفاطمية ثم أصبحت هذه العلاقة أكثر تلاؤما بعد أن تمكن المرابطون ثم المواحدون من ضم أقاليم الأندلس الإسلامية إلى ممتلكاتهم بأقطار المغرب و منها الجزائر،و مما زاد هذه الصلات عمقا و ترابطا استقرار الكثير منهم على طول السواحل الجزائرية ابتداء من منتصف القرن الثالث الهجري،[1] و هذا ما ساعد على تجديد عمران جل المدن الساحلية مثل وهران التي أسسها" محمد بن أبي عون" و"محمد بن عبدون "بمساعدة العشائر المحلية القريبة منها، و تنس التي شيدها جماعة من الأندلسيين سنة(262هـ/876م) و أصبحت بعد ذلك موطنا لأهالي إلبيرة و تدمير.

و من المدن الأخرى الّتي نهضت من خرابها و استعادت نشاطها على يد الأندلسين وبنو جلدسين القريبة من تنس،و يرجع لهم الفضل كذلك في ازدهار مدينة المسيلة التي تعود إلى أوئل الرابع الهجري[2]،بالإضافة إلى أرزيو التي احتفظت هي الأخرى بعمرانها بفضل التجار الأندلسيين الذين كانوا يتولون تصدير ملح سباخها إلى إقليمهم ،و لا ننسى كذلك مدينة بجاية حيث شكلوا نسبة كبيرة من سكانها، وأصبحت قبلة لمسلمي الأندلس في عهد الدولة الحفصية خاصة بعد ضغط النصارى عليهم، وكان في طليعتهم جمع غفير من الفقهاء و رجال العلم الذين استقبلهم الحكام الحفصيون بكل حفاوة وإكرام،وحرص الأمير "فارس بن عبد العزيز الحفصي" على تخصيص المؤونة اللازمة لهم، هذا ما يؤكد لنا النهضة العلمية والازدهار الاقتصادي الذي عاشته بجاية الحمادية و الحفصية ودور الجالية الأندلسية في إشعاعها الحضاري.

[1]- البكري،المرجع السابق:70.

-[2](R)Bruns chuig,La berberie Qrientale les hafside,paris1940.1949 :376.

المبحث الثالث:موقف فقهاء الإسلام من الهجرة الأندلسية.

بسقوط غرناطة فقد المسلمون سيادتهم و أملاكهم فشربوا كأس الذّل السياسي حتى الثمالة،فطعنوا في كرامتهم و فقدوا هويتهم و شخصيتهم التي عرفوا بها مدة ثمانية قرون ،فاصطلح عليهم اسم المريسكيين* و ظلت هذه التسمية متداولة إلى غاية الطرد النهائي سنة 1609م، ثم أصبحت مصطلحا متداولا عند جل المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ المسلمين بعد سقوط غرناطة.[1]

ويتضح من هذه التسمية محاولة اجتثات شوكة المسلمين من إسبانيا،فالهدف سياسي قبل أن يكون لغويا و لكنهم لم يستعملوا هذه التسمية التي عرفوابها و إنما سموا أنفسهم "الغرباء"،لأنّهم حقا أصبحوا غرباء عن دينهم و حضارتهم في الوسط النصراني الذي يعيشون فيه تمثلا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في جوابه عن سؤال من هم الغرباء؟ عن عبد الله بن مسعود قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " **هُمْ الذّينَ يُحِيونَ مَا أَمَاتَ النّاسُ مِنْ سُنَتِي**"،و كذا في قوله صلى الله عليه و سلم:"**إنّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَ سَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبى لِلْغُرَبَاءِ**"[2]،و ظلّوا أكثر من قرن يعيشون في معاناة قبلها الغرناطيون باستماتة[3]،فلما نجد لها نظير عند الأقليات المغلوبة من أمرها لأنهم أدركوا منذ البداية أن الملكين لا يفيان بوعدهما،و اتفاقية غرناطة لا تحترم لأن هدف الكنيسة هو" تنصير المسلمين"،و الانتقام منهم تشتيتهم، فخرقت بنود المعاهدة

[1]-ينظر جمال يحياوي،سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين(د،ط)،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر،2004 :41.
[2]- رواه الترميذي.
[3]-المرجع نفسه:47.

الواحدة تلو الأخرى،فأنشأت محاكم التفتيش بدعوى حماية الدين المسيحي من المسلمين والكفار[1]،فنباهة الشعب الموريسكي و فطنته و براعته في فنون الري و الزراعة والصناعة و الفنون جعل السياسة الإسبانية تخشاه و تضعه نصب أعينها فأرغمته على التنصير، و أمام هذا الوضع الجديد وجد الموريكسيون أنفسهم أمام ثلاثة خيارات:

إما اعتناق المسيحية بصدق،أو رفض التنصير و قبول نتائج ذلك الرفض، أوالقبول بالتنصر ظاهريا والمحافظة على دينهم سرا،[2] فأخذوا بالخيار الثالث ؛ لكنه لم يكن بالأمر السهل في وسط مجتمع نصراني، ما دفع الموريكسيين اللجوء إلى فتاوى الفقهاء لإيجاد الحل الشرعي لنازلتهم و مصيبتهم لترددهم في مسألة الهجرة أو البقاء في الأندلس فعرضوا أمرهم على علماء المغرب،و كانت قضية الهجرة مسألة عسيرة على اجتهاد فقهاء ذلك الزمان فظهرت عدة فتاوى منها:

أ-فتوى الونشريسي الأولى*:قبل سقوط غرناطة سنة 1492هـ كتب الونشريسي فتواه الأولى الّتي تخص الأندلسيين الذين هاجروا إلى المغرب ولم يسعفهم الحظ ولم تهيأ لهم ظروف العيش شاكين له حالهم نادمين على تلك الهجرة بعدما حلوا بدار الإسلام ،و كانوا يترددون ملك قشتالة حتى يطلبوا منه ردهم إلى الأندلس[3]،فرد الونشريسي عليهم قائلا :" **إنّ الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة،و لا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء**

[1]- ينظر جمال يحياوي ،المرجع السابق :48.

[2]- المرجع نفسه:50.

[3]-أحمد الونشريسي المعيار المغربي عن فتاوي عماد إفريقية و الأندلس و المغرب ،2 ،إشراف محمد حجي دار الغرب الإسلامي،1981 :119.

الذين استولى الطاغية . لعنة الله–على معاقلهم وبلادهم"[1]،فيتضح أن موقف الونشريسي كان صارما في حقهم لما ذكروه من قبيح الكلام وسب دار الإسلام و تمنيهم الرجوع إلى دار الشرك والأصنام،و غير ذلك من الفواحش المنكرة،و تبين الونشريسي أن هجرة هؤلاء كانت للدنيا وليس للدين،و رأى الهجرة إلى دار الإسلام واجب شرعي،ومن جهة أخرى عارض حسين مؤنس فتاوى الونشريسي قائلا:" **فهذا الشيخ الّذي تصدى لإبداء الرأي في مصير المسلمين المتخلفين في الأندلس،لم يكلف نفسه عندما جلس يكتب هذا الفتوى عناء البحث عن أحوال من يفتي فيهم و تقصي أخبارهم،و التعرف إلى الأسباب التي تضطرهم إلى البقاء في الأندلس و تحول بينهم و بين الهجرة إلى المغرب،و لم يذكر أنهم أولا و قبل كل شيء بشرضعفاء عسر عليهم مغادرة الأوطان و معاهد الحياة الطويلة التي تقلب فيها الآباء و الأجداد قرونا متطاولة"**[2]،و يضف في موضوع آخر:"....**إ ن ضعاف الناس أكثر من الأقوياء،و أن العاجزين عن الرحلة و الهجرة هم الغالبية العظمى،لقد كان لفتوى الونشريسي وأمثالها أسوأ الأثر على مصير الجماعات الإسلامية الباقية في الأندلس،فقد حكم عليها بالكفر**....."[3]، وعلى الرغم من معارضة حسين مؤنس للفقيه إلا أن الأندلس بعد سقوط غرناطة أصبحت أرض كفر وحرب .

1- أحمد الونشريسي،أنسى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر،و ما يترتب عليه من العقوبات و الزواجر،تحقيق حسين مؤنس ،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية،مدريد،المجلد05،العدد2،1، 1987 : 131.

[2]-المرجع نفسه :132 .

[3]– المرجع نفسه و الصفحة نفسها.

ب–الفتوى الونشريسي الثانية:وجه الونشريسي فتواه الثانية سنة(901هـ/1495م) في شأن أحد الأندلسيين الذي أراد البقاء في الأندلس لمؤازرة إخوانه المسلمين ضد السلطات الإسبانية حيث تكلم عن حكام النصارى و ما يتعرضون له من نوائب الدهر،و كان رده لهذه المسألة واضحا حيث يقول:"....**مساكنة الكفار من غير أهل الذمة لا تجوز و لا تباح،لما تنتجه من الأدناس والأوضار و المفاسد الدينية والدنيوية**"،[1] وبعدما أشار في فتواه إلى صعوبة أداء شعائرهم الدينية في بيئة مسيحية معادية لكل مسلم تبين من هذه النوازل ضرورة الهجرة لارتباطها بالعقيدة الإسلامية والحفاظ عليها من الشرك والتضليل بفعل الضغوطات من قبل محاكم التفتيش.

ج–**فتوى المغراوي**:*بعث هو الآخر فتواه إلى مسلمي غرناطة الذين فرض عليهم التنصير الاجباري و منعهم من تأدية شعائرهم،و كانت فتواه خطابا شاملا في قواعد الإسلام التي تضمنت تصريحا يؤكد على ضرورة التمسك بأركان الإسلام فقال:"**الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله و صحبه وسلم تسليما،إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته،و صبّروا النفوس و الأولاد في مرضاته،الغرباء القرباء إن شاء الله من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته وأرثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق،و إن بلغت النفوس إلى التراق،نسأل الله أن**

[1]-الونشريسي، المرجع السابق:138.

يلطف بنا و أن يعيننا و إيّاكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجًا،و من كل ضيق مخرجًا "[1].

وفي موضع آخر يقول:"**بعد السلام عليكم من كاتبه إليكم،من عبد الله أصغره عبيده وأحوجهم إلى عفوه و مزيده، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني،كان الله للجميع بلطفه وستره ،سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بحسن الخاتمة و النجاة من أهوال هذه الدار و الحشر مع الّذين أنعم الله عليكم من الأبرار و مؤكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام،آمرين به من بلغ من أولادكم،إن لم تخافوا دخول الشر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم،فطوبى للغرباء الدين يصلحون إذا فسد الناس.**[2]

فالمغراوي يدعو إخفاء الإسلام في إطار مبدأ التقية*،فهذه الفتوى سهلت للفقهاء إصدار فتاو تبيح جواز التقية مستندين في ذلك على عدة آيات كقوله تعالى:" **لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ"**[3]، و في الآية أخرى قال تعالى:" **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ**

1- عن محمد بن عبد النعمان،نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين،ط1،مكتبة الخافجي،1987 :343

2- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

*-و تعني في المعنى اللغوي المدارة و الكتمان ،بينما في المعنى الاصطلاحي نعني به الحذر و السرية لحماية دعوته وبواسطته يتمتع المسلم الذي يعيش وسط بيئة اجتماعية عدائية عن ممارسة دينه باعتناق الدين الّذي فرض عليه فرضا .

3- سورة آل عمران الآية 28.

مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[1].

فمن خلال هذين الآياتين يظهر جواز التقية في أوقات و بلدان معروفة[2]،هذا ما دفع المغراوي إلى تقديم حلول مناسبة تساعد الموريسكيين على ممارسة أركان الإسلام خفية من النصارى فقال:"**و إن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى فاعلموا أن الأصنام خشب منجور وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع،و أن الملك ملك الله،ما اتخذ الله من ولد،وما كان معه من إله،فاعبدوه و اصطبروا لعبادته،فالصلاة و لو بالإيماء،و الزكاة و لو كأنها هدية لفقيركم أو رياء،لأن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن إلى قلوبكم،و الغسل من الجنابة ولو عوما في البحور،و إن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم و لو مسحا بالأيدي على الحيطان فإن لم يكن فالمشهور سقوط الصلاة و قضاؤها لعدم الماء و الصعيد،إلى أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به،فاقصدوا بالإيماء، وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فاحرموا بالنية وانووا صلاتكم المشروعة وأشيروا لما يشرون إليه من صنم و مقصودكم الله**[3].

[1] ـ سورة النحل الآية 106.

[2] –ينظر جمال يحياوي سقوط غرناطة:56.

[3] ـ ينظر عبد الله عنان، المرجع السابق:334.

و إن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام،و أن أجبروكم على شرب خمر،فاشربوه لا بنية استعماله،و إن كلفواعليكم خنزيرا فكلوه، ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه،و كذا إن أكرهوكم على محرّم،و إن زوجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب،و إن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه،و أنكم ناكرون لذلك بقلوبكم و لو وجدتم قوة لغيّرتموه،و كذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم،ثم ليس عليكم إلاّ رؤوس أموالكم ، وتتصدقوا بالباقي ،إن تبتم لله تعالى و إن أكراهكم على كلمة الكفر فإن أمكنكم التوبة والإلغاز فافعلوا،و إلا فكونوا مطمئنين القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك، وإن قالوا اشتموا محمدا فإنهم يقولون له مُمَدْ فاشتموا مُمدًا،ناوين أنه الشيطان أو مُمد اليهود فكثير بهم اسمه. وإن قالوا عيسى توفى بالصلب فاننوا من التوفية والكمال والتشريف من هذه و إماتته وصلبه، وإنشاد ذكره وإظهار الثناء عليه بين الناس،و أنه استوفاه الله برفعه إلى العلو ما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به،و أنا أسأل الله أن يديل الكره للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهرا بحول الله ،من غير محنة و لا وجلة ،بل بصدمة الترك الكرام.و نحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به،و لابد من جوابكم،و السلام عليكم جميعا بتاريخ رجب عام عشرة وتسعمائة،عرف الله خيره يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى".[1]

[1]-ينظر محمد عبد الله،عنان،المرجع السابق:334.

و عليه فالملاحظ وجود تعارض في جوهر الفتاوين من حيث المبدأ الفقهي ،فالمغراوي يقدم حلولا مناسبة لمسلمي الأندلس للتكيف مع الأوضاع الراهنة ،بينما الونشريسي حثهم على الهجرة من بلاد الكفر.

المبحث الرابع:أشكال الهجرة الأندلسية إلى الجزائر.

بعدما أفل نجم الأندلس بسقوط جلّ حواضرها لم يبق لسكانها خيار إلا شد رحا لهم والهجرة إلى البلدان المجاورة لعلهم يجدون الأمن والآمان الذي فقد في فردوسهم؛فارين من الأوضاع المأسوية فاندفعت الوفود نحو بلاد المغرب الأوسط ،وخاصة بعدإصدار فتاوى تحرم العيش في بلاد الكفر،فتعددت أشكال الهجرة وشملت جميع شرائح المجتمع الأندلسي،لاسيما أهل العلم والأدب والسياسة الذين أطلق عليهم تسمية الجماعة الأندلسية،[1]وقد تجلت في مظهرين ؛البيوتات والأفراد.

1. **البيوتات**؛ تشمل الأسر الأندلسية التي هاجمت أفرادها وطنها الأم ومن بينها:

***بيت ابن جبل الهمذاني**:استقروا بوهران سنة 511 هـ.

***بيت ابن أبي العيش الخزرجي الإشبيلي**: استفادت تلمسان من علمائها في فن الخطابة والفقه[2].

***بيت بني ملاح**:تولوا المناصب السامية في بلاط بني عبد الواد لمهارتهم وبراعتهم في سك الدراهم[3].

***بيت بني سيد الناس**:ينتسب إلى يعمر بن مالك بن بهثة بن حرب بن وهب يصل إلى معد بن عدنان، كان موطنهم الأول الشام ولكن بعد فتح الأندلس استقروا بكورة جيان لتشابهها مع وطنهم

[1]- ابن خلدون ،العبر، 6،المصدر السابق:113.
[2]- المصدر نفسه ،1 :205 .
3-ابن الأبار،المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ،أبي علي حسن بن محمد ،تحقيق إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب المغربي،القاهرة ،1410هـ/1989م :2

الأصل،وأشهر من ولد في هذا البيت أبو العباس أحمد نزيل بجاية قربه الأمير أبي زكريا الحفصي منه واستدعاه إلى حاضرة تونس للإقامة بها. [1]

***بيت الآبلي**:ينتسب إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة إحدى قبائل قريش[2]، وكان موطنهم آبلة الّتي سقطت بيد النصارى سنة1090م، قدموا خدمات جليلة للمغرب الأوسط في الميدان العسكري [3].

***بيت ابن الأحمر**:نسبة إلى أفراد أسرة بني الأحمر التي انتقلت إلى شمال إفريقيا[4].

***أسرة الرزيني**: هي من البيوتات النبيهة التي أسهمت في إثراء الحضارة الزيانية والحفصية والمرينية خلال القرن السابع الهجري[5].

***أسرة لوقشة**:أصلها لوكَس التي تنحدر من ملوك بني أمية الذين حكموا الأندلس.

* **أسرة الصفار الجيانية**: نسبة إلى مدينة جيان الأندلسية[6].

2. الأفراد:هم الذين تركوا أسرهم وهاجروا بمفردهم ومنهم :

أ- **رجال السياسة**: سيطرت هذه الفئة على المناصب العليا لجمعها بين العلم والعمل السياسي،منافسين أهل البلاد، مما أدى إلى كثرة المؤامرات والدسائس.

1ينظر خليفي رفيق،البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ،إشراف نجيب بن خيرة ،جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية، قسنطينة،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،قسم التاريخ،1428هـ/2007م :26.
[2]-أرسلان ،الحلل السندسية ،1،المرجع السابق:341.
[3]- يحي بن خلدون ،المرجع السابق 1 :120
[4]-أحمد الرهوني ،عمدة الراوين في تاريخ تاطوين،3 :42.
[5]-المرجع نفسه:174.
[6]-المرجع نفسه:228.

ب . **العلماء**:أصحاب الكتب والمؤلفات والتراجم الذين أشرفوا على التعليم والتدريس؛فبعثوا نسيم الحضارة وحركوا عجلة الحركة العلمية بالمغرب الأوسط.

ج . **عامة الناس**: هي شريحة مهمة في المجتمع ضمت الحرفيين والصنائعيين والمهنيين والتجار وغيرهم....[1]

[1]-ابن خلدون ،العبر،المرجع السابق، 6 :433 .

-المبحث الخامس: أوقاف الأندلسيين.

كان للأوقاف تأثير قوي في مختلف أوجه الحياة في الجزائر و ذلك بفضل مردودها الذي كان ينفق على شؤون العباد و التعليم من أئمة و مدرسين و طلبة،بالإضافة إلى سد حاجة الفقراء و المعوزين ،كما عملت على حد مظالم الحكام و تعسفهم و كذلك حافظت على تماسك الأسرة الجزائرية،بالحفاظ على ثروتها ومصادر رزقها عملا بأحكام الشريعة الإسلامية[1].

و نظرا لأهمية الأوقاف في الفترة العثمانية فقد عملوا على تنظيمها بإنشاء إدارة محلية يشرف عليها شيخ الإسلام،كما عرفت نماء ملحوظا بتزايد الهجرة الأندلسية إلى السواحل الجزائرية إثر سقوط حواضر الأندلس بعد إصدار قرار الطرد الجماعي سنة(1016هـ/1609م).[2]

و من أسباب تخصيص الأوقاف لفائدة الجالية الأندلسية الظروف الصعبة التي واجهتها ،و كذلك الأوضاع التي عاشتها الجزائر طوال العهد العثماني بسبب تهديد الإسبان للمدن الساحلية،بالمقابل نجد العديد من العائلات الأندلسية اكتسبت في مواطنها الجديدة، بفعل تعاملها مع الحكام العثمانيين ثروات ضخمة بممارسة التجارة و الصناعة و شراء الأراضي،و تولى كثير من أفرادها مناصب إدارية وعلمية ودينية،أسهمت هي الأخرى في تخصيص الأوقاف للإنفاق على المحتاجين من أبناء الأندلسيين .

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984 :169.
[2]- المقري ، المرجع السابق،4 :528.

أما الوثائق المتعلقة بنشاط الجالية الأندلسية ،فإنها تعود إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي،و من أقدم هذه الوثائق والنصوص:

نص يخص شراء دكان من قبل أحد الأندلسيين يدعى"محمد الحداد"،المؤرخ في أوائل شهر ربيع الثاني من عام 976هـ(1568م، يدل ذلك على تعدد العقود الخاصة بأوقاف الأندلس،و رتبوها حسب السنوات التي تعود إليها،فأرجع عقدين منها إلى عام 980هـ/ 1573م،أما باقي العقود فهي تتوزع على السنوات التالية 981هـ/1574م و 1012هـ/ 1604م و 1013هـ/1605م و 1014 هـ/ 1606م.[1]

و يفهم من هذه النصوص أن أوقاف فقراء الأندلس أصبح لها مردود سنوي محترم استوجب إنشاء إدارة خاصة تتولى توزيع فائضه على المحتاجين من أهل الأندلس،وفي فترة متأخرة من عام (1018هـ/ 1609م) أصبح لها وكيل يقوم بشؤونها يعرف بوكيل الأندلس،و من إنجازات هذه المؤسسة بناء مسجد و مدرسة خاصة بهم،كما شكل حافزا على تخصيص المزيد من الأوقاف لإنفاق مردودها على القائمين بأمورها في المؤسستين الخيريتين[2]،مما أدى إلى تكاثر أوقاف أهل الأندلس في مدة قصيرة.

و توزعت وثائق الأرشيف الجزائري التي تتعلق بقضايا أهل الأندلس على مجموعتين رئيستين:

1 . Devoulx.Notice ;sur les corpotion religieuses d alger acconpagnee de doucements authentique et enedit .alger.jourdan.1912°37.

2-عن ناصر الدين سعيدوني،موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري المجلى التاريخية المغربية،تونس، العدد57-58،جويلية 1990 :180إلى 188.

الأولى :تعرف بسجلات أو دفاتر البايليك و الثانية يمكن تسميتها بمجموعة الوثائق الشرعية التي استرجعتها الجزائر من فرنسا،التي تتضمن عقودا و تركات و عمليات بيع وشراء وإثبات نسب وفصل منازعات و إصدار فتاوى.

كما نجد في سجلات البايليك ما يخص أهل الأندلس وتوزيعها في العلب، ووضع الفرنسيون لها أرقاما موجودة بين قوسين و أرقاما جديدة المعمول بها حاليا بالأرشيف الجزائري مثل ما هو مشار إليه في الملحق.

أما فيما يخص وثائق المحاكم الشرعية التي لم تعرف حتى الآن أي مسح شامل و كامل على الرغم محاولة مصلحة الأرشيف الجزائري مؤخرا وضع فهرس عام لها التي تُبين نشاط الجالية الأندلسية سواء خارج المدن أوداخلها،وعن طريقها تم إحصاء أولي لأوقاف أهل الأندلس سمح لهم بتحديد نوعيتها وتقدير دخلها السنوي و التعرف إلى المصاريف المترتبة عليها،و الأغراض التي كانت تنفق فيها، ماهو الخاص بأهل الأندلس أو المشترك بين الأندلسيين و بين عامة الناس أو بينهم و بين الحرمين الشريفين.

فبلغت الأوقاف الخاصة بأهل الأندلس بمدينة الجزائر و ضواحيها ما يقارب خمسة وثلاثين حانوتا وثمانية عشر دارا و سبعة بساتين،بالإضافة إلى تسعة وعشرين حانوتا بالاشتراك مع مؤسسة الحرمين الشريفين وستة مع عامة الناس،حسب ما ورد في سجلات البابليك في الفترة الممتدة من

(1809إلى1881م)،[1]أما **الصنف الثاني** من أوقاف أهل الأندلس فيشتمل على الأوقاف الّتي يشترك فيها فقراء أهل الأندلس مع الحرمين الشريفين أو مع عامة الناس،و يتميز بكثرة عدده،و تنوع أصنافه ويشمل العديد من الدكاكين و البساتين و الأحواش و المخازن و غيرها.[2]

و لكن مع بداية الاحتلال الفرنسي تراجعت عما كانت عليه و تضاءلت و انقطع مردودها بعد أن تهدمت زاوية أهل الأندلس عام 1841م،و زال أثرها 1843م، و دخلت منذ ذلك الوقت حيز الذكريات التاريخية كغيرها من الأوقاف الأخرى.[3]

و لم يقتصر الأندلسيون في تخصيص الأوقاف على الفقراء و لم يكتفوا بمشاركة الحرمين فيما كانوا يحبسونه،بل عمد الكثير منهم إلى وقف أملاكهم على الحرمين الشريفين،و ذلك للمكانة التي كانت تحظى بها الأماكن المقدسة بالحجاز لدى سكان مدينة الجزائر.

ولقد كانت هذه المجموعة الأندلسية تتميز عن غيرها من المجموعات السكانية بعاداتها المتوارثة وتقاليدها الخاصة، فقد كان يربط بين أفراد هذه الجالية الانتساب إلى أصول واحدة و الحاجة إلى التعاون فيما بينهم في موطنهم الجديد ،الذي ظلوا يعتبرون أرض هجرة و إن كان من أرض الإسلام ممادفعهم إلى تكوين مؤسسات خيرية لفائدة الفقراء و المعوزين منهم،[4] ففي سنة 1033هـ/1623م اشترك أفراد الجالية الأندلسية لبناء مسجد و زواية تكون خاصة بهم دون غيرهم،و هذا ما بينه عقد شرعي ،مرسوم بختم قاضي الجزائر الحنفي،و هذه هي الترجمة الحرفية

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني،دراسات أندلسية :82.
[2]- المرجع نفسه:86.
[3]- عن ناصر الدين سعيدوني ،الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية :233.
4- عن ناصر الدين سعيدوني،دراسات أند لسية:97.

لهذا العقد:"السادة المحترمين و الأفاضل و هم: محمد بن محمد الآبلي،إبراهيم بن محمد بوساحل،المعلم مرسي معلم العيون أحمد الملقب كلاصة ومحمد العنجدون يوسف المدعو عدود ومحمد سميح بن أحمد وعلي بن عمر تاجر الصابون ومحمد بن محمد العادل يحي الخياط و كلهم أندلسيون.

أعلن أعضاء الجماعة المذكورون أعلاه أنهم دفعوا القسط الأكبر من أموالهم الخاصة،و أن ما تبقى قد تم دفعه من طرف أحبائهم من الأندلسيين،و بذلك اشتروا المنزل المذكور بنية هدمه و بناء مدرسة لتدريس العلوم و تعليم القرآن و إقامة مسجد تؤدى الصلوات فيه".[1]

كما جعلوا هذا المنزل الذي حول إلى مدرسة حبسا لفائدة أهل الأندلس بكل ملحقاتها وتوابعها ومكملاتها الداخلية و الخارجية،القديمة و الجديدة،و هذا الحبس مستمر و أبدي وشرعي،لا يمكن بيعه و لا التنازل عنه و لا توريثه و لا استبداله،و لا يمكن المساس به حتّى يرث الله الأرض و من عليها وهو خير الوارثين ،و أسسوا هذه الأحباس حبا في الله تعالى و أملا في الحصول منه على الأجر العظيم[2].

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني،دراسات أندلسية :97.
[2]- عن ناصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية:169.

المبحث السادس:طرق اتصال الأندلسيين بالجزائر.

عاشت الأندلس صراعات مريرة مع الممالك المسيحية ،وبعد أن تفككت دولة الخلافة فيها وقامت دويلات ملوك الطوائف وتساقطها الواحدة تلو الأخرى فاختلفت وجهاتهم وكان حظ المغرب الأوسط أوفر وذلك راجع إلى:

1-القرب الجغرافي:كان للعامل الجغرافي دور مهم في ربط العلاقات بين بلاد المغرب بالأندلس منذ الفتح الإسلامي، ولما استكمل المسلمون فتح بلاد الأندلس أدركوا الصلة الوثيقة بين القطرين،خاصة وأن المظاهر الجغرافية متشابهة،فجبال الثلج في الأندلس هي امتداد لسلسلة جبال الأطلس في المغرب التي أسهمت في تشجيع جيوش الفتح على العبور،و لطالما كانت إقليما تابعا للمغرب[1]،سواء جغرافيا أو سياسيا، ولا يفصل بينهاسوى اثني عشر ميلا ،مما سهل التواصل بينهما وتبادل المنافع،[2]و نظرا لقرب المسافة بين القطرين أطلق على المضيق الذي يفصل بينهما اسم المجاز أو الزقاق،و هذا دليل على ضيق المسافة التي يمكن عبورها في وقت قصير،[3]و نظرا لسهولة الاتصال بين المغرب و الأندلس ارتبط القطران منذ العهود الأولى للفتح الإسلامي بعلاقات متينة في شتى المجالات السياسية والاقتصادية و الثقافية تأكدت بوحدتهما السياسية في عهد المرابطين ثم الموحدين،[4]و ما انطبق على المغرب الأقصى والأندلس،انطبق كذلك على المغرب الأوسط والمغرب الأقصى اللذين لا تفصل بينهما حواجز طبيعية تعيق عملية الاتصال،

[1]- محي الدين عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ط1،شرحه صلاح الدين هواري،المكتبة العصرية بيروت ،2006 :14.
[2]- ياقوت الحموي،معجم البلدان،1،دار صادر،بيروت،(د،ط) :262.
[3]-محي الدين عبد الواحد المراكشي،المرجع السابق:254.
[4]- المقري،نفح الطيب،1 :151.

بينما كان يفضل البعض الآخر الانتقال مباشرة بين المغرب الأوسط والأندلس،انطلاقا من الموانئ المتقابلة كالمرية و هنين...[1]،وكان لموقع تلمسان الجغرافي دور في تسهيل عملية الاتصال بين القطرين،إذ وصفها الإدريسي"**هي قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل و الخارج منها لابد منهاوالاجتياز بها على كل حالة ،والطريق من تلمسان إلى مدينة تنس سبع مراحل تخرج من تلمسان إلى قرية العلويين وهي قرية كبيرة عامرة على ضفة النهر ولهم بها جنات ومياه جارية من العيون**".[2]

2-المراسي:أدت المراسي دورا كبيرا في تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس من خلال تسهيل عملية التبادل الثقافي،و من أهم تلك المراسي مالقة والمريةووهنين وأرشكول والمرسى الكبير.

2-1 مراسي الأندلس:

- مالقة:تقع مدينة مالقة جنوب الأندلس، على شاطئ البحر المتوسط في موقع جميل بين إشبيلية وغرناطة غربا،[3]و هي إحدى قواعد الأندلس المهمة لاسيما بعد سقوط قرطبة وبلنسية و مرسية وغيرهما من المدن،و ذلك راجع لموقعها الحصين الجامع لمرافق البر و البحر[4]،و اشتهرت مالقة بجناتها الأثيرة وفواكهها الكثيرة مثل التين الذي كانت له ميزة خاصة،بالإضافة إلى الموز الّذي كان

[1]- ابن سعيد،كتاب الجغرافيا:343.
[2]-الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،1 :250.
[3]- ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب:347.
[4]- ابن خلدون ،العبر ،5 :205.

يصدر إلى عدة أقطار و الرمان الياقوتي الذي قيل إنّه لا نظير له في الدنيا،[1] و لكونها تقع على ساحل البحر،فقد كان لمرساها الطبيعي دور كبير في ربط بلاد المغرب الأوسط بالأندلس،سواء من الناحية التجارية أو الثقافية ،و بعد سقوطها في أيدي النصارى سنة (892هـ/1487م) انتقل الدور الذي كانت تقوم به إلى مدينة المرية و مرسيها.[2]

. **المرية**:اشتق اسم المرية من المرأى أو المحرس،إذ كانت تتخذ مرأى و محرسا بحريا لمدينة بجانة القريبة منها،و لذلك كانت تسمى بجانة،ثم تحول اسمها فيما بعد إلى المرية، و هي واحدة من المدن التي أحدثها المسلمون في الأندلس،أنشأها عبد الرحمن الناصر سنة (344هـ/955م)،على الساحل الجنوبي الشرقي في موقع دفاعي حصين يمتد بين جبل القبة شمالا و ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوبا.

و قد كانت لها دور فاعل في أحداث الأندلس،إذ كانت من أعظم قواعد الأسطول الأندلسي ومن أهم المراكز التجارية البحرية،يقصدها التجار من مختلف الأقطار و الجهات،مما انعكس إيجابيا على أهلها الذين كانوا من أيسر أهل الأندلس مالا و حالا وقد اشتهرت المرية بصناعةالمنسوجات الّتي كانت تنافس في جودتها مسوجات بغداد .[3]

[1]- ابن بطوطة محمد،تحفة النظار وعجائب الأسفار،تحقيق عبد المنعم العريان،مصطفى قصاص،دار إحياء العلوم،بيروت،1996 ،2 :682.
[2]-ابن بطوطة، المصدر السابق:683.
[3]ينظر مانويل جوميث مورينيو،الفن الإسلامي في إسبانيا ،ترجمة لطفي البديع،عبد العزيز سالم،الدار المصرية للتأليف والترجمة،(د.ط):336.

و وصلت إلى أوج عطائها في عهد بني نصر بعدما من أهم ثغور المملكة،و بعد سقوطها سنة (892هـ/1487م) أصبحت معبرا للدخول و الخروج من الأندلس،هذا ما دفع فراندو الرابع إلى تكريس كل جهوده للاستيلاء عليها سنة (895هـ/1490م).[1]

المنكب:تقع هذه المدينة على ساحل الأندلس بين المرية و مالقة،عرفت بالصيد و صناعة السفن، كان لها دور هام في تثمين الروابط الثقافية بين المغرب الإسلامي بتيسير الرحلة إلى الجزائر وتلمسان بخاصة.

2/2 مراسي المغرب الأوسط:

1/2وهران:هي من مدن المغرب الأوسط تبعد عن تلمسان بـ 140 ميلا اختطت في حدود سنة 210هـ/902م،و من مميزاتها:أن موقعها الحصين لإحاطتها بأسوار و خنادق، وكثرة قلاعها وأبراجهاوجمال طبيعتها و تعدد أسواقها ومراسيها الكبيرة، جعلها قبلة التجار في العهد الزياني من مختلف الأقطار،بالإضافة إلى دورها الهام في تمتين الروابط الثقافية بين الجزائر و الأندلس باعتبارها من أهم الطرق البحرية،و كانت معبرا للكثير من المهاجرين الأندلسين،كما تشير بعض الدراسات إلى أن آخر سلاطين بني نصر أبو عبد الله محمد بعد تسليمه لمدينة غرناطة قصد ميناء وهران متوجها إلى تلمسان.[2]

[1]-ينظر عبد العزيز سالم،تاريخ مدينة المرية قاعدة الأسطول الأندلس،ط1،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1969 :105.

2Henri Leon Fey ;Histoire d' oran avant, pandant et apres la donimation Espanol ;idition dar el gharb ;Oran.2002. :57 .

2/2 هنين:فهي مدينة تقع على شاطئ البحر المتوسط،توجد بها أسواق عديدة،يفصلها عن مدينة ندرومة جبل تاجرة،وعلى رغم من صغر مرساها إلا أنها كانت من أهم مراسي المغرب الأوسط وبخاصة بعد الاحتلال الإسباني لمدينة وهران،و من خصائصها:اهتمامها بصناعة القطن و النسيج واشتهارها بعدة الفواكه كالكرز و المشمش و التفاح و التين...كما كان لها دور كبير في ربط بلاد المغرب الأوسط بالأندلس تجاريا و ثقافيا، و كانت من أهم طرق الانتقال بين الضفتين،و نظرا لموقعها الجغرافي المتميز اعتنى بها سلاطين بني زيان .[1]

3/2أرشكول*:تقع هذه المدينة على شاطئ البحر،تبعدعن مدينة تلمسان بما يقارب **64** ميلا،كانت تجمع بين العمارة و الحضارة، إلا أنها تعرضت للتخريب عدة مرات و خاصة من قبل قبائل مغراوة والصنهاجيين الذين طردوا الأندلسيين منها،وعمل مرساها هو الآخر على تسهيل عملية الانتقال[2].

4/2 المرسى الكبير:يعتبر من أهم المراسي الزيانية بسبب تسهيله لحركة المرور بين الجزائر والأندلس و تشجيع عملية التبادل الثقافي بين القطرين و هو من المراسي القريبة إلى وهران، وبسقوطها في يد الإسبان سنة (911 هـ/1505م)فقدت الدولة الزيانية علاقتها مع الأندلس.

[1]- عن يحي بوعزيز،شخصية عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي ودوره في إقامة الدولة الموحدية الكبرى (484-558 هـ/1095- 1163 م)، أعمال وحدة البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،جامعة وهران،1985 :17.
[2]- البكري، المصدر السابق:31.

5/2 جزائر بني مزغنة:سميت بهذه التسمية نسبة إلى قبيلة بربرية تدعى بني مزغنة،و عرفت بكثرة فنادقها و أسواقها و خصوبة سهولها،و بسبب بعدها عن تلمسان جعلت أهلها ينحازون للدولة الزيانية حينا و لمملكة بجاية التي انفصلت عن دولة بني حفص حينا آخر.[1]

03-الوحدة المذهبية:تعد الوحدة المذهبية عاملا قويا في تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس وتتمثل في المذهب المالكي،لكونه يتماشى مع عقليتهم و طبيعتهم،و لأنّه مذهب عملي أكثر مما هو نظري بالإضافة إلى البساطة و الوضوح و ابتعاده عن التعقيد و لميله إلى البداوة[2].

وعلى الرغم من محاولة الفاطميين نشر مذهبهم الشيعي بقوة على حساب المذهب المالكي إلا أنّ أغلبية الشعب بقوا متمسكين بمذهبهم المالكي السني،كما عرف انتشارا واسعا و خاصة في العهد المرابطي،بسبب عنايتهم بالعلوم الدينية.[3]

إلا أن الموحدين خالفوا المرابطين فحاولوا نشر المذهب الظاهري على حساب المذهب المالكي فلقي هذا الأخير إقبالا من قبل الفقهاء و عامة الناس لاعتماده على ظاهر نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف دون تأويل ،و عدّ سلاطين بني زيان المذهب المالكي مذهبا رسميا للدولة، وأنشأوا له المدارس و جلبوا إليها أكبر فقهاء المالكية ، كما اعتنوا كذلك بالقضاء فاشترطوا على القاضي أن يكون ضليعا من المذهب المالكي لأنه ملزم بالحكم به،والأمر في الأندلس لم يختلف

[1]- ينظر عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث،1،ط1،المطبعة العربية، الجزائر،(د،ت):80.
[2]- ابن خلدون ، المقدمة،2 :497.
[3]- عن عبد الحاجيات ،ملاحظات في عهد الموحدين،مجلة كلية الآداب،العدد الأول،جامعة تلمسان،2000 :103.

عنه في المغرب الأوسط منذ حكم السلطان" الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل" فقد عمل هو الآخر بإرسال جماعة من العلماء إلى المدينة المنورة للتتلمذعلى يد الإمام مالك،و من هؤلاء العلماء "أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي" (ت199هـ/915م) ولكن هذا لم يمنع من وجود مذاهب أخرى مثل المذهب الحنفي و الظاهري و الحنبلي...[1]

و الخلاصة أن قد ظل المذهب المالكي هو المذهب السائد في الأندلس و المغرب الأوسط مما انعكس إيجابيا على العلاقات الثقافية بين القطرين وشجع حركة تنقل العلماء.[2]

المبحث السابع:انعكاسات الهجرة الأندلسية.

كان لهجرة أهالي الأندلس إلى الجزائر إيجابيات و سلبيات ،لكن فوائدها كانت أكبر لأنّ الجالية الأندلسية أسهمت إسهاما فعالا في التنمية الاجتماعية و الاقتصادية و العمرانية.

أ-الانعكاسات الإيجابية:

1-الأندلسيون و النشاط الاقتصادي:استطاع أفراد الجالية الأندلسية بفضل نشاطهم الاقتصادي الواسع تكوين ثروات ضخمة،أسهمت في تنشيط اقتصاد الجزائر و ذلك راجع لممارستهم المهن السائدة في المجتمع الجزائري،و قد شبه أحد المؤرخين نشاط الأندلسيين بأيالة الجزائر النخبة البرجوازية التي تحتكر دواليب الحركة الاقتصادية، وكانت هذه الجالية بمثابة المؤشر

[1]- ينظر الطوخي أحمد أمين،مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني أحمر،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،1997 :343.
[2]- الذهبي شمس الدين ،سير الأعلام النبلاء وهامشه أحكام الرجال في ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تقديم حسين العفاني،تحقيق خزي سعيد،16،المكتبة التوفيقية، القاهرة،(د.ت):53.

المالي للرأسمالية الحديثة في الجزائر العثمانية[1]،و امتد نشاط أفراد الجالية في الجزائر إلى كافة مجالات الأنشطة الاقتصادية ،و استطاعوا أن يلجوا أبواب معظم الحرف المهنية والحرفية ، و يمكن تقسيم الحرف المهنية التي اشتغل بها الأندلسيون في الجزائر إبان العصر العثماني إلى مجموعتين أساسيتين:

-الحرف الصناعية التي ارتبطت في بعض جوانبها بالنشاط التجاري.

-حرف خاصة بالأعمال غير الصناعية كالدلالة و الحياكة.

و قد أوضحت وثائق الوقف الخاصة بسجلات المحاكم الشرعية نشاط الأندلسيين بالجزائر،حيث أعطت لنا فكرة عن المهن و الصنائع،و للوقوف على ماهية هذه الحرف و أهميتها الاقتصادية وضعت المحاكم الشرعية قائمة سجلت فيها أشغال الأندلسيين،و بفحصها اتضح اتصال أصحاب الصناعات الحرفية في الأواسط الأندلسية بالألقاب المهنية مثل:الحياكي ابن محمد الأندلسي، والحداد محمد الأندلسي و صانع الشواشي الحاج علي بن الحسن الأندلسي،و العطار أحمد بن أحمد الأندلسي، وصانع الصابون علي بن عمر الأندلسي.[2]

و من أهم الحرف التي مارسها الأندلسيون بالجزائر في العهد العثماني صناعة النسيج و الملابس وحياكتها وقد بلغ عددهم في ربيع الأول من القرن السادس عشر ما لا يقل عن ثلاثةآلاف صانع،كما اشتهرت مصانع الحرير الأندلسية الموجودة في شرشال و القليعة بجودتها،هذا ما مكنها

1DenisBrahim ;Quelque jugements sur les maures Andalous dans les regences turques ;in -R .H.C.M :Juillet ;1970 :40 .

[2]- ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الثقافي ،2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب،1988 :59.

في تصديرها إلى الخارج[1]، كما عرفت المناطق الغربية من الجزائر بصناعة الزرابي ذات الطابع الأندلسي وخاصة في مناطق هنين و تلمسان وقلعة بني راشد[2]، واهتم الأندلسيون بدباغة الجلود و صناعة الشاشية و الأنسجة الحريرية[3]،واختصت بعض عائلات أندلسية أخرى بصناعة القطيفة[4]،وصناعة الأسرجة و النسيج و الإسكافة وا لحدادة بتلمسان و قسنطينة.

2-الأندلسيون و النشاط التجاري: قدر لأبناء الجالية الأندلسية الذين استقروا بالجزائر في العهد العثماني،أن يكون لهم دور المشاركة الفعالة،و كان أبرز أوجه هذه المشاركة محصورا في التجارة،فقد امتدت المتاجر الأندلسية في مدينة الجزائر و بخاصة في الشارع الممتد ما بين باب عزون إلى باب الواد المنفتح على حومة الأسواق الرئيسية أسفل المدينة،و كانت الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية،تتمركز في شارعين، ففي الشارع الأول نجد كل من سوق الكتان و سوق الزيت،و سوق الشمع و سوق الصباغين و سوق الحديد،و سوق الخضارين وأمافي الشارع الثاني فنجد سوق السمن و سوق القيصارية، وبهذه الأسواق كانت تنتشر المقاهي والحمامات والفنادق.

وقد اتسع نشاط هؤلاء التجار الأندلسيين إلى تجارة بيع الأسرى المسحيين و تمويل مشاريع الجهاد البحري،و هي مؤسسات حيوية و مهمة،ظلّت لمدة طويلة موردا هاما للرزق، و مصدرا للثروة، وعاملا حاسما في تنشيط الحركة الاقتصادية،كما كانت حكرا على أفراد الإدارة العثمانية،و أصبح

[1]- جون .ب.وولف، الجزائر وأوروبا،ترجمة وتعليق أبو قاسم سعد الله،(د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب ،1986 :158.
[2]عن محمد الطمار ،تلمسان عبر العصور ،(د,ط)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984 :283.
[3]- عن ناصر الدين سعيدوني،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984 :141.
[4] Martine(N)Ravillard ;bibiographie des commentee des mourisques ;doucement imprim és de leur origine -a1982 : these inedite ;paris ;1980 ;:146.

للأندلسيين فائض مالي كبير إلى جانب عملهم التجاري ،و كانوا حريصين كل الحرص على هذه المجالات الاستثمارية،وخاصة الثغريون الذين كانوا أكثر تحالفا و نشاطا مع السلطة الحاكمة[1]، وذلك لنوعية النشاط الممارس،و تمركزهم بمدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني مماجعلهم يستفيدون من مداخيل القرصنة و بيع الأسرى و جعلوا من تجارة الرقيق بضاعة وتجارة مربحة على حد تعبير أحد الباحثين الغربيين،لأنهم عاملوا الأسرى الإسبان بسوء وقسوة.[2]

و المتتبع لدور التجارة الأندلسية و بخاصة في مدينة الجزائر يقف مندهشا أمام هذا الدور الّذي لعبه هؤلاء في هذا المجال التجاري،بحيث اشتهروا بتحصيلهم للضرائب ومساعدتهم للأتراك في تنظيم موارد الخزينة العامة،و قد شجعت أيالة الجزائر القرصنة بفضل المريسكيين الذين يتقنون اللغة الإسبانية ويعتبرون أكثر الفئات علما بدخائل الصراع السياسي والعسكري بالبحر الأبيض المتوسط.

إلى جانب استثمارهم للعقارات،فقد قاموا بوقف الكثير منها،إما على أنفسهم طوال حياتهم،ثم على ذريتهم من بعدهم أو على أوجه البر و طلبة العلم،أو على فقراء الأندلس و فقراء الحرمين الشريفين[3].

3. الأندلسيون و الحياة الاجتماعية:لا يستطيع الباحث في تاريخ الجزائر الاجتماعي في العهد العثماني،و في إطار النظم الاجتماعية السائدة آنذاك أن يغفل الدور الكبير الذي لعبته الجالية

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني ،دراسات وأبحاث في التاريخ:146.
[2]- عن جون ب. وولف،المرجع السابق:114.
[3]- عن ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية:82.

الأندلسيةفي الحياة الاجتماعية بالجزائر،لأن اشتغال الأندلسيين بالعمل و الحرف و طلب العلم والتدريس،مكنهم من ربط علاقات واسعة و قوية بمختلف شرائح المجتمع الجزائري و طوائفه في العهد العثماني[1].

و قد اشتهرت العائلات الأندلسية بالتجارة و الصنائع مثل "ابن رامول" و" بني هني" و"ابن زيان"

و "ابن الشاهد" و"ابن خوجة"....و وصفت الجالية الأندلسية بالطبقة الغنية في مجتمع أيالة الجزائر،فهم يسكنون المدن و يقيمون في منازل كبرى و يملكون الثروة و يتعاطون التجارة،و نظرا لحساسية البعد الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي بين أهل الأندلس و الطبقات الاجتماعية المكونة للمجتمع الأندلسي اهتم أغنياء الجالية بتأسيس جمعية،أشرفت بدورها على إقامة مسجد وزاوية في شهر محرم عام (1033هـ/1624م)،و كانت هذه الجمعية الأندلسية مكونة من الأشخاص التالية أسماؤهم:

"محمد الآبلي"و"إبراهيم بن محمد بوساحل"و "يحي الخياط"[2]،و حرص أغنياء الأندلس على تلك الأوقاف داخل مدينة الجزائر و خارجها،لتنفق على شؤون العبادة و تقديم العون لفقرائهم،و كانت تشمل العديد من الأملاك العقارية و الأراضي الزراعية بحيث جعلوا محمد الآبلي مشرفا عليها و الذي أصبح فيما بعد وكيل أوقاف الأندلس،[3]و كان أهل الأندلس يتمتعون بمكانة

[1]-عن ناصر الدين سعيدوني،صور من الهجرة الأندلسية على الجزائر،المجلة العربية، العدد27، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم،سبتمبر 1994 :238.

[2]-عن ناصر الدين سعيدوني،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر1 :40.

-[3]Devoulx Les édifices religieux de l ancien Alger in R.A ,1868 :280 .

خاصة في المجتمع الجزائري خصوصا لدى العثمانيين، حتى إن بعضهم عين على أوقاف الأصناف العثمانيين مثل "حميد الأندلسي"،الذي كان عضوا في لجنة إدارة سبل الخيرات،و مثل "سليمان الكبابطي" الذي عينه "خضر باشا" وكيلا على أوقاف جامع سوق اللوح[1].

04-الأندلسيون و النشاط العمراني:لقد استفاد الجزائريون من الخبرة العمرانية الأندلسية ، و لاحظ سعيدوني أن الجزائر لم تشهد نهضة عمرانية كالتي عرفتها الجزائر بدءا من مطلع القرن الخامس عشر،فقدأسسوا عدة قلاع وحصون، ومدن ساحلية أو قريبة من الساحل مثل القليعة و البليدة وشرشال،أصبح فيها عدد كبير من المنازل الّتي تعود للأندلسيين،تقدر بحوالي اثني عشر ألف منزل، كما عملوا على تنظيم العيون والسواقي ونظموا الري في كل من الجزائر و تنس و دلس و جيجل وعنابة ومستغانم و تلمسان وجاءت هذه النهضة العمرانية و البشرية بعد اختلاط سكانها بأهل الأندلس ،وكان لها أثر إيجابي على الجزائر،في فترة تعرضها لانهيار ديموغرافي،و انكماش بشري،ناتج عن اجتياح الأوبئة والمجاعات واضطراب الأمن مند أواخر القرنيين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

و قد ساعد امتزاج الفن الجزائري بالفن الأندلسي على تشييد مدن شبيهة بالمدن الأندلسيةفي روائعها الفنية و طبيعتها الفتانة،كما برع أندلسيو الجزائر في النقش على الخشب، خاصة على المنابر،تحمل نقوشا و زخارف هندسية رائعة ذات أسلوب مغربي أندلسي.[2]

[1]- ينظرأبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،2 :238.
[2]عن ناصر الدين سعيدوني ،صور من الهجرة الأندلسية :235.

05-الأندلسيون و النشاط الحربي: أسهم الأندلسيون في تدعيم القوة الدفاعية للجزائر من خلال إقبال العديد منهم على العمل في الأسطول الجزائري،للدفاع عن السواحل الجزائرية،و صد الغارات الأوروبية المتكررة[1]،كما أسهموافي تحرير الكثير من المدن الجزائرية ،و قضى عروج على المتعاملين مع العدوان الإسباني ومنهم شيخ تنس بمساعدة مهاجري غرناطة و كان ذلك سنة 1517م،وتمكن الجزائريون بمساعدة مهاجري الأندلس من معرفة نقاط القوة و نقاط الضعف خصمهم الإسباني،لذلك حضروا لهم استراتيجية محكمة.[2]

6-الأندلسيون و النشاط الزراعي:انتفعت الجزائر أيضا من الخدمات الزراعية،فقد طور الأندلسيون النمط الفلاحي و ذلك بعدإدخال تقسيمات زراعية متطورة،فارتفعت نسبة الأراضي المستصلحة في متيجة و عنابة و تلمسان و وهران،التي اشتهرت بإنتاج مختلف أنواع الفواكه،مثل حب الملوك والإجاص،و التفاح،و البرتقال، والعنب إلى جانب زراعة الزيتون و الخضر و الفواكه بمتيجة و زراعة التوت و الأرز و القطن في مستغانم و مليانة وعنابة،و من المناطق التي لقيت عناية مهاجري الأندلس في الميدان الزراعي سهل متيجة ويخص بالذكر فحص مدينة البليدة الذي اقتطعه خير الدين لجماعة من الأندلس تحت رعاية الشيخ سيدي أحمد الكبير الذي استقر بوادي الرمان ، الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم وادي سيدي الكبير،و بذلك غدت البليدة

و أحوازها تتميز طوال العهد العثماني بإنتاجها الزراعي الوفير ولم تقتصر إسهامات مهاجري الأندلس في ميدان واحد فقط، بل شمل جميع المجالات لأنهم كانوا شعبا حيويا و نشيطا ذا

[1]- ناصر الدين سعيدوني ، صور من الهجرة الأندلسية :236.
[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

حضارة راقية و لأنهم امتزجوا امتزاجا كليا مع الجزائريين و كانوا شعبا واحدا عاد ذلك كله بالخير و اليمن على الجميع.[1]

غير أنّه صاحب الجالية الأندلسية بعض الآثار السلبية مثل:تعرض السواحل الجزائرية إلى الاعتداءات المتكررة الأجنبية،فاحتل الإسبان المرسى الكبير في الفترة الممتدة من 1505م إلى 1792م،أي أكثر من قرنين و نصف، و وهران سنة 1509م و بجاية في عام 1510م...

و دفعت الجزائر ضريبة ثلاثة قرون كاملة جراء إيوائها الأندلسيين،من مواجهات عسكرية

و حصارات اقتصادية، ذلك كله لأنها وقفت موقفا تاريخيا شجاعا عندما تضامنت مع إخوانها المطرودين من الأندلس،و كذلك لكونها قاعدة خلفية متقدمة للدولة العثمانية،التي أصبحت تهدد الوجود الأوروبي، كما آوت تسرب عددا كبيرا من اليهود القادمين من الأندلس الّذين احتكروا التجارة و كونوا طبقة اجتماعية و برجوازية متميزة [2].

[1]- عن ناصر الدين سعيدوني ،صور من الهجرة الأندلسية...:236

[2]-المرجع نفسه:237.

الفصـــل الثـــالث

التأثير الأندلسي في حاضرة تلمسان

المبحث الأول : اهتمام حكام تلمسان بمهاجري الأندلس.

المبحث الثاني : التأثير الأندلسي في العمارة.

المبحث الثالث : التأثير الاقتصادي في حاضرة تلمسان.

المبحث الرابع : التأثير السياسي في حاضرة تلمسان.

المبحث الخامس : التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي.

المبحث السادس : التأثير الفني والعلمي والثقافي الأندلسي في حاضرة تلمسان.

المبحث الأول:اهتمام حكام تلمسان بمهاجري الأندلس بعد سقوط الفردوس المفقود.

عرفت مدينة تلمسان تدفقا ملحوظا للأندلسيين بعد النكبة التي شهدتها الأندلس، كان لسلاطين تلمسان دور كبير في التشجيع على الهجرة الأندلسية،و على سبيل المثال؛ السلطان يغمراسن الّذي حيّاهم بعناية فمنحهم السكنات و الأراضي الزراعية المناسبة لنشاطاتهم الّتي فقدوها بالأندلس ،

و كان أغلبهم في الأعلام و أهل البيوتات و من وجوه القوم و أعيان الأندلس[1]، الّذين استعان بهم أمراء بني زيان في تسيير دواليب الدولة و مؤسساتها و أجهزتها و قيادة الجيوش ، خاصة أولئك الّذين كانت لهم خبرة في مجال الإدارة والكتابة و السياسة و التدريس في الدولة الحفصية[2]،و كانت وجهتهم ندرومة و هنين،و هذا ما جعلهم يشعرون بالأمن والراحة.

كما فضل يغمراسن إسكان مهاجري مدينة تلمسان على غرار المدن الأخرى،فحقق لهم كل ما يحتاجونه لتهدئة نفوسهم المصابة من ظلم خصومهم و أعدائهم[3]،و لعل أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان،هي الّتي كانت في عهد الأموي" عبد الواحد بن عبد الله"(814-827هـ/1411-1424م) و خلفه:أبي العباس أحمد الزياني(826-834هـ/1431-1462م) و قد استقبلهم هذا الأخير بحفاوة و وجهم حسب طبقاتهم و حرفهم،فالعلماء و الوجهاء و سراة القوم،أسكنهم عاصمته مدينة تلمسان،و أنزل معهم التجار والحرفيين [4] و أصحاب رؤوس الأموال في درب خاص

---

[1]-ابن خلدون،العبر،683:6.

[2]- ينظر محمد طالبي،الهجرة الأندلسية إلى قرطبة أيام الحفصيين :59.

[3]-ابن مريم الشريف، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،نشره عبد الرحمن طارق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،120:1986

[i]بهم عرف بدرب الأندلسيين[1]،أما عامة النّاس من الفلاحين و غيرهم فقد وجههم إلى ضواحي المدينة لاسيما في وادي الوريط فانتشروا على ضفتيه،فقاموا بتشييد القرى و البساتين و عملوا على تأسيس مصانع عديدة و متاجر كثيرة، و غرسوا الحقول و المزارع بمختلف الثمار و جلبوا للبلاد الخير و النعمة[2]،و هذا ما أشار إليه ابن الأعرج: ."..... **و أظهروا هنالك من صنائعهم و متاجرهم ما عاد بالنفع على البلاد و أهلها و ملؤوا تلك الشعاب من البساتين متنوعة الثمار و أنواع الرياحين و الأزهار....و اتصلت مساكنهم بذلك إلى نهر الصفصيف و أقاموا عمارة خلدت آثارهم بتلك الشعاب العميقة ذات الأدراج و المياه المتدفقة،و الثمار المتنوعة**"[3].

و قد وصلت قرى هذه الجالية الأندلسية إلى جبل يبدر،حيث توجد زاوية الشيخ" أحمد بن محمد المناوي الحسين "المتوفي سنة(895هـ/1489م)و مدشر عين فزة و غيرها من المداشر و المعالم التي ذهب رسم بعضها، ولم يبق إلا اسمها في ضواحي مدينة تلمسان[4].

وقد حددت لكل فئةمن المهاجرين الأندلسيين وظيفتها الّتي تناسب طبائعها و اختصصاتها الحرفية ،فأهل البادية و الزراعة وجهوا إلى المناطق الّتي تكثر فيها الفلاحة و وجه المثقفون والتجار و الحرفيون وأصحاب رؤوس الأموال إلى مدينة تلمسان عاصمة بني زيان.

---

[1]- ابن مريم ، المصدر السابق:127.

[2]-ابن الأعرج زبدة التاريخ ،3 :88.

[3]- ينظر مشرفي عبد القادر الجزائري،بهجة الناظر في أخبار الداخلين في ولاية الإسبانيين بوهران:216.

[4]- ابن الأعرج ،المصدرالسابق 3 :96.

أما أصحاب الملاحة و الصيد البحري فاستقروا بالمدن الساحلية و قال ابن الأعرج في هذا الشأن:"**نفذ قضاء الله على أهل الأندلس بخروج أكثرهم في هذه الفتنة الأخيرة،افترقوا ببلاد المغرب من بر العدوة حتى بلاد الإفريقية،فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي إلى ما اعتادوه و دخلوا على أهلها وشاركوهم فيها،فشقوا المياه و غرسوا الأشجار و أحدقوا الأرض و علموهم مالم يكونوا يعلمون ولا رأوه فصلحت أحوالهم**"،[1]فكان للأندلسيين أدوار حضارية مهمة في حاضرة تلمسان أسهمت في دفع عجلة التطور والرقي،وبخاصة بعد اعتناء الحكام بهذه الفئة.

[1]- المقري ،نفح الطيب ،3 المصدر السابق :156.

المبحث الثاني:التأثير الأندلسي في العمارة.

استند المسلمون في بدايتهم الأولى على مهندسين من الروم،فاعتمدوا على الزخرفة و الكتابة الذهبية،كما أكثروا من المتدليات المؤلفة من الأقواس الصغيرة على شكل نخاريب النحل فيظفي عليها منظرا جميلا مثلما هو موجود في قصر الحمراء الّذي بلغ فيه الفن الأندلسي غايته و أوج عطائه [1]،وقد ا نقسم إلى ثلاثة أقسام المشور: و هو مكان مخصص للموظفين الذين يساعدون السلطان في إدارة الأعمال و الديوان وهومخصص للاستقبالات الرسمية و كان يتكون من قاعة البركة و قاعة العرش و القسم مخصص للسكة.

و كان لقصر الحمراء أثر كبير فيما بعد في الكثير من المباني المغربية[2]، و ذلك راجع إلى الازدهار الكبير الّذي عرفته الأندلس في المجال المعماري و بالتحديد في عهد سلاطين بني الأحمر بسبب ولوعهم ببناء القصور و إنشاء المساجد التي انتشرت بكثرة في مختلف قرى الأندلس ومدنه،و من أهم ما خلفه الأندلسيون في هذا المجال مسجد قرطبةوالمسجد الجامع بغرناطة[3]،و قد انعكس هذا الازدهار المعماري ايجابيا على بلاد المغرب الإسلامي بعامة و المغرب الأوسط بخاصة، راجع لهجرة عدد كبير من الفنانين والحرفيين إليه[4].

و بما أن الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط قديمة، فتأثيراتها المعمارية هي الأخرى قديمة،حيث تعود جذورها إلى عهد دولة المرابطية التي سيطرعليها الطابع البربري ،وبعد انضمام الأندلس إليها ولعوا

1- عن عز الدين قراج،فضل علماء المسلمين على أوروبا،د.ط،دار الفكر العربي [1]:191

[2]-المرجع نفسه: 192.

[3]-القلقشندي،صبح الأعشى،5،المطبعة الأموية،القاهرة،1997:214.

[4]-ابن مريم،المصدر السابق:127.

بالعمارة وأولوها العناية الفائقة،وامتزج فنهم بالفن الأندلسي منتجا فنا معماريا ممزوجا بالطابع المغربي وهذا التأثير يظهر جليا في كل المباني الأثرية لمدينة تلمسان الّتي لاتزال بعض المنشآت الدينية شاهدة على ذلك في عصرنا الحاضر[1].

كما عمل أمراء المرابطين على جلب مهندسيين و صناع من الأندلس و اعتمدوا عليهم كل الاعتماد في بناء منشآتهم المعمارية ،[2]و بالرغم من الاضطرابات الساسية و الإجتماعية الّتي عرفتها الدولة الزيانية إلا أنّ المباني الدينية شهدت نشاطا ملحوظا ،فقد أقبلوا على تشييد المؤسسات العلمية و الجوامع و الزوايا والمدارس،هذا ما نتج عنه امتلاك تراث معماري حضاري يعكس مدى غنى و تفوق هذه العمائر في كافة النواحي الفنية و المعمارية[3]،و أصبحت منارة من منارات العالم الإسلامي تعلم فيها الكثيرون عبر أجيال مختلفة، جامعة بين الحضارتين المغربية و الأندلسية.[4]

و بسبب التواصل الحضاري و الاحتكاك بين مسلمي المغرب و مسلمي الأندلس عرف الجانب الفني والمعماري تطورات ملحوظة تتمثل في الابتكارات الجديدة في فنون العمارة و الزخرفة التي أسهم فيها الفنانون و المعماريون الّذين جلبوامن قرطبة،و ظهر التأثير بشكل كبير في الجامع الكبير بتلمسان و كذلك كل المباني المعمارية الدينية الّتي شيدت في العصور التالية بتلمسان[5].

---

[1]- عن عبد الله عنون،النبوغ المغربي،1،ط2،دار الكتب اللبناني بيروت،137:1961.

[2]- ينظر إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ ،ط1،دار الرشاد الحديثة،34:1984.

[3]-عمارة عمورة، موجز في التاريخ الجزائري،ط1،دار الريحانة للنشر و التوزيع، الجزائر79:2002 .

[4]-ابن الأحمر،تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان،تحقيق هاني سلامة،ط1 مكتبة التقافة الدينية للنشر و التوزيع:186.

[5]- عن عبد العزيز عبد المعطيات الفن الإسلامي في المغرب،مجلة المنال،عدد03،سنة 1975 :54.

أ- **العمارة الدينية** :تأثر المرابطون برقة الحياة الأندلسية ممّا أدى إلى انغماسهم في الترف الذي أسمت به الأندلس[1]، و ابتداء من القرن الخامس الهجري عرف التيار الحضاري الأندلسي المغربي تسربا إلى الجزائر ولاسيما تلمسان،فتبنى المرابطون ثم الموحدون من بعدهم أساليب الفن الأندلسي الجميل،

ب- و استمرت هذه العملية ثلاثة قرون،متخذة شكلها النهائي في عهد بني زيان ، حيث أصبحت صلة تلمسان بالأندلس أقوى و أمتن ممّا كانت عليه من قبل،وذلك بفضل ما أبدع من روائع تبوأت مقاما عاليا في تاريخ الفن الزخرفي المعماري الإسلامي،هذا ما دفع بني مرين إلى التنافس فضاهت ما شيد بفاس وغرناطة روعة و إبداعا[2].

1-**مسجد تاجرارت***: هومسجد تلمسان الأعظم ما زال محافظ على شكله الأصلي الّذي يعود إلى عهد المرابطين الّتي تبلغ مساحته ثلاثة آلاف متر مربع،و هو بناء مستطيل الشكل متكون من بيت الصلاة وصحن مربع تتوسطه فوارتان، أما فيما يتعلق بالتأثير الأندلسي فتتمثل في القبة التي تتقدم المحراب و هي آية من آيات الفن الأندلسي المغربي و لها منظر رائع شبيه بقبة جامع قرطبة التي صنعها النحاتون الأندلسيون،أما فيما يتعلق بشكلها فهي تتكون من اثني عشر عقدا تتقاطع فيما بينها تاركة قبيبة مقرنصة

[1]- عن السيد عبد العزيز،قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية، 1986 :50.

[2]- ينظر محمد بن عمرو الطمار،تلمسان عبر العصور ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986 :286

و الفرغات الناشئة عن تقاطع العقود تزين بتوريقات مفرعة في الجص تتخللها شمسيات صغيرة[1]، تظف عليها جمالا يجعلها من أروع ما تشاهده العين من الزخارف النباتية[2]،و هذه القبة هي الأولى الّتي شيّدت بالمغرب، وهي شبيهة إلى حد بعيد بتلك التي تزين جامع قرطبة[3]، كما تتجسد هذه التأثيرات المعمارية القرطبية بوجه خاص في محراب المسجد الجامع بتلمسان في اللوحتين الرخاميتين اللتين تكسوان واجهة محراب جامع تلمسان تقليد واضح لمحراب جامع قرطبة،بالإضافة إلى طراز الكتابة الموجودةفي أطر محراب الجامع الكبير [4]،كما يتألف من ثلاثة عشرة بلاطة تتجه عموديا إلى جدار القبلة و يحدها اثنا عشر سقفا من الدعائم المربعة ، و يفصل بين أساكيب بيت الصلاة صف من العقود الموازية لجدار القبلة تقسمها إلى مجموعتين تحتوي كل واحدة ثلاثة أساكيب ،و هذا يوحي باستمرار توافد التأثيرات الأندلسية في عصر دولة بني زيان[5]، وبالتحديد في المئذنة الّتي شيدها يغمراسن فيما بعد وهي تقع في منتصف الجدار الشمالي للجامع على محور المحراب[6]،وتيجانه شبيهة بتجان جامع قرطبة[7] .

2-**مسجد أبي بومدين**:أمر ببنائه السلطان أبو الحسن المريني سنة(739هـ/1339م)و يتبين من الكتابة الموجودة على اللوح ،و سمي باسم العالم الصوفي أبي مدين الغوث، يتميز بهندسة معمارية

---

[1]- عن شقرون جيلالي ،تلمسان مركز إشعاع الحضاري،أستاذ بجامعة سيدي بلعباس ،قسم التاريخ ،مجلة الفقه والقانون، المملكة المغربية:60.

[2]-محمد عبد العزيز مرزوق،المرجع السابق:86.

[3] -Rachid bourouiba ;l’art religieu musulman en algerie p110.

[4]- عن السيد عبد العزيز سالم،قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،2 :59.

[5]- ينظر عبد الكريم عزوق،تطور المآذن في الجزائر،(د،ط)،.مك.زهرة الشرق(د،ت):83.

[6]- ا لمرجع نفسه: 54.

[7]- عن رشيد بورويبة ،جولة عبر مساجد تلمسان،مجلة الأصالة،عدد26، صدرت عن وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر :1975 : 171.

رائعة مفعمة بالفن الأندلسي الّذي يتضح في مدخله الأنيق و بابه البرونزي و سقفه المزين بالقبة المزخرفة بالمقرنصات ،وخاصة التوريقات و الزخارف الهندسية التي تكسو الجدران جميعا موزعة في تقسيمات رائعة مماثلة لزخارف قصر الحمراء بغرناطة[1].

3-**مسجد أبي الحسن**: يقع مسجد أبي الحسن بالقرب من المسجد الأعظم الذي قام بتأسيسه السلطان الزياني يغمراسن سنة (696هـ/1296م)، تخليدا لذكرى "الأمير إبراهيم يغمراسن" و هذا ما تؤكده الكتابة المنقوشة في الجدار الغربي من بيت الصلاة،و هو صغير الحجم إذا قارناه ببعض المساجد التلمسانية، مربع الشكل لا صحن له يتألف من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة و الوسطى أكثر اتساعا من البلاطين الجانبيين،و يتوسطه محراب جميل و هو شبيه بمحراب جامع تلمسان و محراب جامع قرطبة ،و هذا مؤشر يوحي باستمرار التأثيرات الفنية الأندلسية في العمارة والفنون بتلمسان في فترة بني زيان[2]، المستلهمة من الهندسة المعمارية و الفن والزخرفة الغرناطية الّتي تتمثل في سواريه المنحوتة من الرخام الذي استخرج من منجم "تاقبالت"،إلا أنّه تعرض للتخريب و حول بعد الاستعمار إلى متحف، و بقي منه سقفه الخشبي المزخرف الّذي يعد من أجمل سقوف المساجد ذات الطراز الأندلسي المغربي[3].

4-**مسجد المولى إدريس بأقادير**: شيدت مئذنته في عهد السلطان يغمراسن الّتي ظلّت شامخة تتحدى الزمن و تزين سماء تلمسان و عمرانها،و استخدم في بنائها الحجر المنقوش المجلوب من بقايا

---

[1]- عن عبد العزيز سالم،قرطبة.عاصمة الخلافة في الأندلس:61.

[2]- عن عبد الكريم عزوق ،المرجع السابق :59.

[3]- المرجع نفسه:60.

مدينة بوماريا الرومانية،ثم استكمل الجزء الأعلى منها بالآجر الأحمر و كانت هندسة الصومعة وزخرفتها متأثرة بالفن المعماري الأندلسي و زخرفته[1].

5-**مئذنة مسجد تاقرارت**: مئذنته شبيهة بمئذنة مسجد أقادير التي بلغ طولها خمسا و ثلاثين مترا مبنية هي الأخرى بالآجر ذي اللون البني المائل إلى الاحمرار،بما فيها الزخرفة القاعدية و الجدران المتأثرةبالعمارة الأندلسية[2].

6-**مئذنة جامع المنصورة**:جاءت تقليدا للنظام الذاخلي لمآذن الموحدين بجامع الكتيبة و جامع حسن الخامس بالرباط و جامع خيرالدا،و أقيم القسم العلوي من واجهتها بنفس نظام جامع قرطبة وإشبيلية،وزينت واجهات المئذنة بحشوات ذات تشبيكات من الآجر البني رصعت بقطع من الفسيفساء الخزفية البراقة،الّتي تناسقت مع الترصيعات الخزفية الخضراء والبيضاء والبنفسجية مماأعطاها حلة جميلة، أماطريقة توزيع الزخارف على الواجهات فهي شبيهة بتوزيعات الشبكات الزخرفية بمئذنة الخيرالدا* بإشبيلية.[3]

07-**زخرفة مدرسة العباد**:زخارفها شبيهة بزخرفة الجامع المشيد قبلها بثمانية أعوام، و أشكالها الهندسية ورسوماتها شبيهة برسومات الزهرية الموجودة على الباب الجوفي من الجامع،و تأثير الأبنية

[1]-ابن مريم ،البستان:79.

[2]-المصدر نفسه:61.

[3]- عبد الكريم عزوق، المرجع السابق:81.

الأندلسية واضح يتجلى في استعمالهم الرسوم النباتية المتمثلة في المراوح النخلية الموضوعة بعضها فوق بعض .[1]

ب-**العمارة المدنية**:تأثرت مدينة تلمسان بالمنتزهات والحدائق و مناظر الاستجمام و القصور الّتي وجدت بالأندلس، و بخاصة بعد هجرة الأندلسيين الّذين حملوا معهم كل ما كان لديهم من خبرة، هذا ما جعل مدينة تلمسان تشتمل على مرافق للتنزه و التسلية و لاسيما تلك التي توجد خارج أسوارها و منها:

-منتزه واد الصفصيف وساقية الرومي؛ التي تسمى اليوم ساقية النصراني ،و شلالات الوريط،و غدير الجوزاء[2]؛ هذا ما ذكره الشاعر ابن الخميس قائلا:

لِسَاقْية الرُومِي عِنْدِي مْزِيـــــة و إِنْ رغمت تِلْكَ الروَابِي الرَوَاشح

إِنْ أَنْسَ لاَ أَنْسَى الوْرِيطَ وَوَقْفَة أُنَافِحُ فِيهَا رَوْضَة وأُنـــــــــاوِح

و يقول محمد القيسي*:

و بِرَبْوَةِ العُشّاقِ سِلْوَة عَاشِق فَتَلَتْه أَلْحَاظ الغَزّال الأَكْحَل[3].

ومن أهم أماكن الاستجمام:

4- عن الحاج محمد بن رمضان شاوش،المرجع السابق:307 .

[2]- عن رشيد بورويبة،المرجع السابق:179.

[3]-المقري نفح الطيب، 3 :332.

1-**المنزه:** يعرف هذا المنزه بكهف الضحاك ،كان من أعظم الأماكن و أحسن المنتزهات الطبقة الحاكمة و أعيان المدينة و شيوخها،بالإضافةإلى بساتين السلاطين و الأمراء والوزراء والأغنياء،كانوا يقصدونها في فصل الصيف لهوائها الطيب و فواكهها المختلفة[1].

2-**المنازل**:تميزت أماكن تجمعات الأندلسيين بطابع عمراني خاص ،و ذلك في استخدامهم القرميد الأجوف الأحمر المائل إلى الزرقة،بدل السطوح المستوية الّتي كانت شائعة قبل حلولهم بالمغرب الأوسط ،أما المنظر الخارجي للمنازل الأندلسية فتميز بطلائه الأبيض الناصع ،و سميت المناطق الّتي طغى عليها هذا الطابع"بلد الجير"و أدخلوا أنماطا جديدة في عمارة المدينة يتمثل في اعتمادهم على الساحة العامة و منها تنطلق الشوارع المستقيمة[2]،و عددالباحث التونسي "سعداوي" مميزات المدينة الموريسكية بالمغرب الأوسط في الفضاءات العمرانية التالية:

- تخطيط منظم للطرقات و العمل على توسيعها بشكل مستقيم.

- إقامة ساحة عامة في وسط المدينة تنطلق منها الشوارع.

- طغيان البعد الديني لنشاطهم العمراني من خلال بناء المساجد و المنازل و إقامة الحمامات والأسواق. وتوصل الباحث التونسي أثناء بحثه في الفضاء العمراني الموريسكي أنّها نموذج يعمل على

[1]- **المقـري** ،المصدرالسابق، 4 :333.

[2]- ينظر حنيفي هلايلي،التاريخ الأندلسي الموريسكي:86.

إقصاء النمط العمراني البدوي الّذي عرفه المغاربة ، وماشيده المريسكيون شبيهة في نهضتها الجديدة بما أنجزه الرومان سابقا في شمال إفريقيا[1].

ويعد السلطان أبو تاشفين الأول أكثر السلاطين عناية بالتعمير ،متخذا من العمارة الأندلسية أنموذجا في ذلك من خلال استعانته بالصناع الأندلسيين،الذين استقدمهم من كلّ جهة ، وكان أثرهم واضحا في بناء القلاع والحصون،وكذا في النهوض بفن العمارة إتقاناوتحسينا[2].

[1]-حنيفي هلايلي،المرجعالسابق:87.

[2]- عن عبد العزيز سالم ،قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس :56.

المبحث الثالث:التأثير الاقتصادي الأندلسي في حاضرة تلمسان.

المركز الجغرافي لتلمسان جعلها قبلة للتجار و ساعدها على الاتصال بالأندلس، وكان لأسواق أغادير دور كبير في تطور الاقتصاد ،بحيث كانت القوافل غادية رائحة بينها و بين الأندلس عن طريق أرشقول و هنين الّتي تعمل على نقل المنسوجات الصوفية والفخار المطلي و الحلي الذهبية و الفضة و أواني النحاسية والخشب المنقوش المرصع بالعاج،و المصنوعات الحديدية كالأسلحة والأقفال و الملح و العطور و البخور وقد نتج عن هذا النشاط التجاري تطور صناعات كل من النسيج والزربية و الجلود و النحاس و الخزف[1].

و من بين المنتوجات الّتي كانت تجلب من الأندلس زيت الزيتون و اللحوم و القطن والتمور والعسل والسكر والمرجان والورق والجلود و ماء الزئبق الّذي كان يستخدم في صناعة الذهب،وكانت مدن المغرب الإسلامي عبارة عن أسواق للبضائع الّتي يعاد توزيعها في المشرق أو إلى صقلية والأندلس[2]،

و هذا التبادل شهدته تلمسان في القرن العاشر و الحادي عشر الميلاديين بالإضافة إلى تطور صناعة الأواني ؛ يتضح ذلك من خلال عثور الأستاذ"بال" في جولته الّتي قام بها في ضواحي المدينة، عندما كان مديرا بمدرسة من مدارس تلمسان، على أوان مطلية مزخرفة بالرسوم هي شبيهة بالشقف الّذي عثرعليه في مدينةالزهراء وفي"قلعة بني حماد "فالأولى تعود إلى القرن العاشر و الثانية إلى القرن الحادي

[1]- عن محمد الطمار،تلمسان عبر العصور،ديوان المطبوعات الجامعية،(د،ط)الساحة المركزية بن عكنون الجزائر،38:2007.

[2]- ينظر عيسى قوراري،مجلة العلوم الإنسانية،السنة الرابعة،العدد 31،تشرين،2006،02 :15

عشرممّا يدل على تأثرها بالحضارة الأندلسية[1]،و هناك عوامل أخرى أسهمت في تطوير اقتصاد تلمسان تتمثل في الآتي:

- اختلاف الانتاج الزراعي و تنوعه من منطقة إلى أخرى[2].
- كثرة المراكز التجارية ما دفع الناس إلى زيارتها للتزود بمختلف السلع و البضائع.
- الخبرة التجارية الّتي تميز بها السكان الأصليون و تأثير بعض الأجانب في تنشيط الحركة التجارية[3].
- وفرة طرق المواصلات المسهلة لعلميات التبادل التجاري بين الدولة الزيانية ودول المغرب والأندلس.[4]
- الاستقرار و الهدوء الّذي عرفته الدولة و كثرة الأموال مما ساعدهاعلى القيام بالمشاريع الإدارية
- و الدينية و الاجتماعية و الفنية و العسكرية.
- **صناعة النحاس:**بعد وفود الصناع الأندلسيين الّذين جلبوا معهم تقريبا كل الأساليب الفنية الّتي كانت مزدهرة كالنحاس بأنواعه والقصدير و الفضة، فأبدع الفنانون في صنع التحف و زخرفتها ،مما جعل الإقبال على شرائها كبيرا، وقد أشار بعض الرحالة الذين زاروا الجزائر إلى وجود صناعة معدنية نحاسية متطورة ذات جودة عالية،فعملوا على صناعة الصواني و الأباريق ذات المقبض

[1]- عن بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان،ط1،مطبعة تلمسان،2005 :170.

[2]- المرجع نفسه:177.

[3]- ينظر حاجيات عبد الحميد،الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي،ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب،1984 :478.

[4]. شريفة طبان ،الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني،أطروحة لنيل دكتوراه في الآثار الإسلامية،معهد الآثار بالجزائر،2007 :83.

- و الطاسات ومختلف الأواني المنزلية؛ بالإضافة إلى ما كان يصنعه القصادرة من صفائح و فوانيس و سكريات و مصابيح والأبواب المغطاة بالنحاس المنقوش مثلما هو موجود في جامع سيدي بومدين ،و الجامع الكبير، واشتهرت كذلك بصناعة السيوف و السكاكين و السروج والركاب
- و اللجام[1]،و كانت مراكز الصناعة عبارة عن حوانيت ضيقة يشتغل بها عدد من الصناع
- و التجار، و لكن ابتداء من القرن 7هـ/13م أنشأ الزيانيون مصانع لسبك النحاس و المعادن[2]،
- و هذا ينفي الادعاء الذي يقول إن صهر النحاس في تلمسان لم يعرف ازدهارا،لأن ما يلاحظ على المجتمع التلمساني هو اهتمامه الواضح بالصناعة النحاسية محققا اكتفاء ذاتيا،[3] غير أن هذه الصناعات تراجعت، و تدهورت بحاضرة تلمسان في جميع المجالات ، و ذلك بسبب هجرة سكانها ذوي النفوذ الاجتماعي بسبب احتلال الإسبان لوهران في القرن 10هـــ/16م،و لكن هذا الوضع لم يدم طويلا فقد عادالاستقرار إلى تلمسان في عهد "محمد عثمان باشا"؛ فنشطت صناعة الأسلحة ،و يرجع هذا الازدهار إلى الأندلسيين النازحين إثر الاضطهاد الإسباني المسيحي مما دفعهم إلى الاندماج في المجتمع الذي نتج عنه تزاوج بين الأندلسيين والتلمسانيين أثمر جيل " الحضر" فكثر بذلك الصناع و عمرت الأسواق[4].

---

[1]- أبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر، 2 :363.

[2]-المرجع نفسه:171.

[3]- عن محمد عمرو الطمار ،المرجع السابق:238

[4]-المرجع نفسه والصفحة نفسها.

- **صناعة الطرز**:كان الطرز أحد الصناعات التقليدية الرائعة،على حسب ماجاء في قول فانتوردي باردي قائلا:"إن الذوق الجزائري يبدو جليا في المطروزات"،و هي قديمة تعود جذورها إلى عهد الدولة الرستمية، بسبب وجود بعض الأندلسيين امتهنوا الخياطة في مدينة تيهرت.[1]

وكانت المطروزات تظهر على الحرير و على قماش الملف بالألوان المنسجمة،و كان اللون البنفسجي بالخصوص يستعمل في الطرز على الحرير،أما الألوان الأخرى فكانت تستعمل للإضافات و اللباس المطروز لم يكن خاصا بالنساء فقط بل حتى الرجال،و كان ذلك من ميزات الثروة و الأبهة و الذوق، وينسب البعض أن التلمسانيين هم الّذين أدخلوا الطرز إلى تلمسان،و لكن ما هو معروف أن الأندلسيين هم الّذين برعوا في هذا الفن و يمكن أن تكون لهذه الصناعة علاقة بالشام حيث كان لها علاقة وطيدة بالأندلس و فنونها[2]،و عليه صناعة النسيج و الملابس وحيا كتهامن أهم الحرف الّتي اشتغل بها الأندلسيون بتلمسان صناعة الزرابي والقطيفة ذات الطابع الأندلسي[3]،ومن أسباب ازدهار هذه الصناعة توفر المواد الأولية التي استعملت في انتاج الأقمشة و الأغطية و البرانيس ،و هذا ما ذكره يحي بن خلدون قائلا:"...**في غالب تكسبهم الفلاحة و حوك والصوف يتغايون عمل أثوابه الرقاق،فتلفي الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق، و الأحرام من خمس، بذلك عرفوا في القديم و الحديث، ومن لدنهم يجلب**

2- عن حنيفي الهلايلي، الموريسكيون في المغرب الأوسط: 87

[2]- أبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،2 :359.

[3]-المقري ،نفح الطيب،4 :07.

إلى الأمصار شرقا و غربا."[1] و حفاظا على هذه الصناعة من الاندثار في هذا القرن خصصت مدارس للصناعات التقليدية ، بغرض استعادة الأساليب القديمة في الطرز و صناعة الزرابي والسجاد و الأغطية و قد عرفت كل من تلمسان وشرشال و قسنطينة وغرداية نماذج من هذه الورشات[2].

-**الصناعة الجلدية**:من بين الصناعات التي تميز بها سكان الجزائر بعامةوسكان تلمسان بخاصة ؛صناعة التجليد وصناعة الأحذية و السروج و السندال و الطبال و الدفوف،و كان للأندلسيين أثر قوي في ارتقاء هذه الصناعة لذوقهم رفيع في اختيار الألوان و التذهيب و أنواع الجلود ،وتواجدت قرب المساجد و في البازارات و الأسواق الشعبية [3]، وصارت هذه المصنوعات الجلدية تصدر إلى خارج الدولة مثل السودان الغربي ،وكانت تشترى بالجملة و تباع بالتجزئة[4].

-**صناعة الفخار و الخزف**:اشتهرت تلمسان بالصناعة الفخارية وعرفت تطورا و تجديدا أعطى للحضارة الإسلامية صبغة فنيةمميزة،لأنّ للخزف و الفخار محطة هامة في تطور الفن الإسلامي لما وصل إليه الفنانون و الحرفيون من مستوى الإبداع و الابتكار غير أن عانت من قلة الدراسات العلمية والعناية الكافية ،وقد وجدت قطع فخارية و خزفية دلت على ثراء هذا الفن من حيث النوع و الكم في المغرب الأوسط، متأثرة بالخزف المشرقي و الأندلسي الّتي تستند على رسم زخارف تحت طلاء زجاجي تفصل الألوان بالطلاء البني المنغنيزي المبلل بالذهن لمنع الطلاءات

---

[1]-يحي بن خلدون،بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد،تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية للنشر،الجزائر،1980، 1 :92.

[2]-أبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،2 :308.

[3]-المرجع نفسه:73.

[4]-ينظر خالد بلعربي،المرجع السابق :168.

من التسرب ووجدت هذه الصناعة كذلك بالقليعة و بجاية التي تعود إلى الفترة الموحدية، و لكن لا يمكن تأريخ للصناعات الخزفية لهذه الفترة إلا بعض منها تختزنه متاحف تلمسان و بجاية فقط[1].

-**صناعة الخشب**:هي من الصناعات التقليدية الّتي كانت رائجة في ذلك الوقت،و البعض يضعها في الدرجة الثانية من حيث الأهمية،و هذا ما أشار إليه "حسن الوزان"،و"مرمول" و" هايدو الّذي قال:" **إنّ الجزائريين كانوا لا يستعملون الموائد و السفرات ،و ليس لهم خزائن،و ذلك باستنادهم على صندوق أو علبة تكفيهم لسد حاجاتهم**"،و لكن البعض أنكروا هذا الادعاء أشاروا إلى وجود خزائن الكتب والملابس ونوافذ المساجد في عهد الدولة الزيانية، و الأرائك و المناضد وحاملات المصاحف وغيرها،زينت بزخارف وخطوط بطريقة فنية بديعة[2].

و نظرا لقرب تلمسان من السواحل ، اندفع بعض الأندلسيين إلى صناعة السفن و القوارب لأنّهم كانوا على دراية بهذه الحرفة ،و ذلك لتيسير التنقل بين سواحل العدوتين[3].

-**صناعة الحلي**:للحلي و المجوهرات قيمة نوعية في تاريخ الشعوب و بناء شخصية الإنسان، يتخذها بعض الباحثين وسيلة لمعرفة الأحوال الشخصية و الاجتماعية و الاقتصادية على مر

---

[1]-ينظر في مرزوق محمد عبد العزيز،الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس،(د،ط)،بيروت:133

[2]-أبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، 2 :363.

[3]- ينظر بحاز إبراهيم بكير،الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية،ط2، 1414هـ/ 1993م نشر من طرف جمعية التراث الجزائر :165.

العصور، وبوساطتها يمكن التعرف إلى نواحيها الجمالية و الفنية في كل مجتمع و هي ضرب من ضروب الزينة عرفت المرأة باستعمالها منذ أقدم العصور و أصبحت من الأساسيات و تعد الجزائر من بين الدول الّتي تزخر بموروث ثقافي متعدد،فهو يحمل عدة أدوار ،منها ما هو اجتماعي و فني و منها ما هو اقتصادي ؛فالحلي كما يقال" زينة و خزينة و يسمى أيضا المتاع الذي خف حمله و غلا ثمنه" و هذه العادة لاتزال شائعة إلى يومنا.[1]

ومن أنواع الحلي التي وجدت؛ الخواتم و الأسوار و الأقراط و العقود الذهبية و الخلاخل بالإضافة إلى أشكال أخرى كانت تستعمل في المناسبات مثل الريحانة والصرمة وخيط الروح و الأوسمة التي كانت تزين السلاح،واشتهر بصناعتها صائغو تلمسان وقسنطينة ،غير أنّ الصناعة انتقلت إلى يهود الأندلس بعد هجرتهم إلى الجزائر، فقد كانوا محل ثقة الباشوات في اختيار العملة الرسمية و أصالة الجواهر و المذهبات التي ترد إلى الدولة في الهدايا و الغنائم.[2]

-**حرفة النقش و الخياطة**:كان للجزائريين إسهام كبير في الفنون الجميلة التي كان لها دور في انعاش الاقتصاد ،ومع تقدم العلم و الفن واتصالهم واحتكاكهم بالدول المجاورة ونزوح الأندلسيين إلى المدن الجزائرية خاصة تلمسان و معسكرعرفت تطورا ملحوظا كمثل النقوش و الزخرفة

[1]- مرزوق محمد عبد العزيز، المرجع السابق:122

[2]-أبو قاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، 2 :.357

2- عن مرزوق محمد عبد العزيز،المرجع السابق:.123

3-أبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، 2 :420.

الموجودة في ضريح سيدي بومدين،[1] بالإضافة إلى الزاوية التيجانية بقمار ؛التي رسمت عليها نقوش كثيرة و زخارف متأثرة بالطراز المغربي الأندلسي التي بهرت عددا كبيرا من الموهوبين و الفنانين[2].

-**الزراعـــة**: عكف عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الفلاحين بأراضي المغرب الأوسط على تشييد القرى و البساتين،و عملوا على تأسيس مصانع و مناجم كثيرة ،و اهتموا بالحقول والمزارع ؛و ذلك راجع لخبرتهم في مجال المياه و السقي،و هذا ما عاد بالنفع على الفلاحةالبلاد[3] ،فعملوا على تجديد أساليب وطرق الزراعة في ضواحي المدينة و بخاصة على ضفتي واد الوريط و هذا ما أشار إليه ابن الأعرج: " **قلدهم الناس في فلاحتهم،و اعتنائهم بغرس الزيتون و سائر الفواكه حتى صارت البلاد و أهلها في حالة زاهية وعيشة راضية** "،وكانت أسرة بني ملاح من الأسر الأندلسية التي اهتمت بالجانب الفلاحي[4]، واستصلحت أراضي شاسعة فازدهرت زراعة الأشجار المثمرة[5].

و يرجع إليهم الفضل كذلك في إدخال أنواع جديدة من المزروعات إلى المغرب الأوسط في العهد الزياني مثل الليمون و البطاطاو الفلفل و الطماطم و الباذنجان و السبانخ والزعفران والجلبان والكرنب وغيرها[6]، وانتعشت كذلك زراعة البساتين و انتشرت معها مزروعات جديدة كالقطن لما له

---

[3]- بوحسون عبد القادر ،العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس و السودان :132

[4]- ينظر عبد العزيز الفيلالي،تلمسان في العهد الزياني، 1 :176.

[5]-حنفي هلايلي الموريسكيون في المغرب الأوسط:61.

[6]- عن خالد بلعربي ،المرجع السابق:163.

من أهمية في صناعة النسيج[1]،واختصت كذلك بعض العائلات الأندلسية العريقة الّتي استوطنت تلمسان بصناعة تجفيف الفواكه، وتحضير المربى، و تقطير ماء الورد، وكان لهم الفضل في استنبات مزروعات أخرى كالذرة الصفراء والطماطم و اللوبياء الخضراء و الفلفل الأحمر[2] .

إن تطور الزراعة في تلمسان راجع إلى تطور الزراعة الأندلسيةالتي شملت زراعة الحبوب في المناطق الجافة كطليطلة و تخصيصهم مساحات شاسعة لأشجار الزيتون، أما المناطق التي يتوفر فيها الماء فكانت تخصص لزراعة الكروم وزراعة الكرز و التفاح والرمان و قصب السكر و الموز ،وكذا زراعة الأعشاب العطرية والقطن والزعفران و الكمون واعتناءهم بتربية دودة القز و الخيول و البغال و الماعزوالنحل، واستغلال المعادن الموجودة بالمنطقة ،من ذهب و حديد و نحاس و استثمارهم في الملح الصخري والصيد البحري[3].

وهي تجربة وظفها الأندلسيون في تطوير الحياة الاقتصادية في حاضرة تلمسان ؛هذا ما جعل تلمسان تعرف بكثرة صناعاتها ،حتى إنّها وجدت بها أكثر من خمس مائة حرفة، ووصل عدد دكاكينها إلى ثلاثة آلاف دكان داخل أزقتها و شوارعها العريضة ،يظهر تجارها بهيئة جيدة وملابس نظيفة.

و بالرغم من الظروف التي عرفتها هذه الصناعات إلا أنّها بقيت تحافظ على تقاليدها الأندلسية المغربية بفضل تحكمهم في تقنية الصناعة التي كانت متطورة في بلنسية و إشبيلية و سرقسطة

---

[1]–حسن الوزان،وصف إفريقيا تر؛ محمد حجي،محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،ط2، بيروت،1983، 2 :386.

[2]– عن لوي كارديك،الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون،تعريب عبد الجليل التيمي منشورات المطبوعات الجامعية،(د.ط)،1983 :122 .

[3]–ج ،س كولان،الأندلس،المرجع السابق:104.

فوضعوا ورشات ومصانع صغيرة للنجارةو الحدادة و الخياطة و المعدات العسكرية و طرز الملابس الجلدية و القطيفة، والحرير،و صناعة الأثاث و النقش على الأبواب وصناعة الذهب و المجوهرات و أدوات الفلاحة و فنون المياه،كما عرفت تلمسان لمسات عثمانية تتجلى في محتويات المتحف الوطني للفنون و التقاليد الشعبية بالجزائر العاصمة ،من الأواني النحاسية التلمسانية التي تعود إلى القرن 13 هـ/ 19م،و من بين هذه القطع قدور بمختلف أعماقها و أحجامها وطنجرات و دلاء و أبارق قهوة و صوان ذات طابع أندلسي[1].

[1]-ينظر جمال يحياوي،آثار الهجرة الاندلسية على تلمسان،مجلة الوعي،العدد المزدوج(3-4)أفريل-ماي،2011 :93.

المبحث الرابع:التأثيرالسياسي والإداري والعسكري الأندلسي في حاضرة تلمسان .

عرفت حاضرة تلمسان تدفق عدد كبير من الأندلسيين حظوا بعناية خاصة و مكانة رفيعة، لاتباع ملوك بني زيان سياسة حسن الجوار إزاء حكام الأندلس[1]،فتنوعت اهتماماتهم في مجالات مختلفة، و تقلدوا عدة مناصب كانت من طموحاتهم التي أرادوا الوصول إلى تحقيقها وبخاصة المناصب القيادية و ممارسة السياسة كالوزارة أو الحجابة أو الاستشارة، و قد تواصلت هذه الخدمات الأندلسية إلى فترة عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/ 1281-1303م) و ابنه أبي حمو موسى الأول (707- 718هـ / 1307 – 1318م) الذي أعطى للدولة عناية كبيرة .

و من بين الأسر الوافدة؛ أسرة بني الوضاح من شرق الأندلس في عهد أبي يحي يغمراسن الذّي قربهم إلى مجلسه و أنزلهم منزلة الخلة و الشورى، فتدعمت بهم أركان الدولة و كانوا قادة و عمدة توازنها.

- **أسرة بني ملاح**[2]: منهم محمد بن ميمون بن ملاح الذي تولى منصب الوزارة و الحجابة ثم ابنه الأشقر من بعده ،و هو الآخر عين ابنه من بعده و اشترك معه في الوظيفة علي بن عبد الله بن ملاح ،و ظلّت هذه الأسرة تتقلد مناصب إدارية سامية إلى أن نكبهم أبو تاشفين الأول بن حمو، عندما ثار على ابنه وقتله مع خاصته و خلصائه من بني الملاح في تلمسان سنة (718هـ/1318م).[3]

---

[1]-عن حنيفي هلايلي ، المريسكيون في المغرب الأوسط :118.

[2]-عبد الرحمن بن خلدون،العبر، 1: 218.

[3]-المصدر نفسه،1 :214.

- **ابن خطاب المرسي(ت636هـ/1239)**:هو محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب الغافقي يكنى أبا بكر، من أهل مرسية ،الأديب و الكاتب المشهور ،إذ وصف بخاتمة أهل الأدب في عهده ، و له مشاركة في أصول الفقه، وعلم الكلام ،انتقل إلى غرناطة حيث عين في الكتابة السلطانية ليرجع مرة أخرى إلى مرسية، و غادرها بعد أن اختلت أمورها قاصدا مدينة تلمسان[1]،

- و نزل على سلطانها يغمراسن بن زيان الذي كان يولي اهتماما بالغا بالعلم و أهله،فأحسن إلى ابن الخطاب و قربه من مجلسه، و جعله كاتبا له[2]، و نظرا لعلمه و براعته في الكتابة و الشعر ، بعث إليه المستنصر بن أبي زكريا الحفصي بمال كثير يستقدمه و لكنه رفض الطلب،[3] و بقي كاتبا ليغمراسن إلى أن توفي سنة (636هـ/1239)،[4] وصدرت عنه الكثير من الرسائل إلى عدد كبير من الأمراء و السلاطين أثناء خدمته في الكتابة السلطانية، كما تولى منصب الوزارة وكان يرافق السلطان عند خروجه للحرب[5].

-**لسان الدين الخطيب (710-776هـ/1310-1374هـ)**: هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد الغرناطي،أبو عبد الله لسان الدين، و يعرف بابن الخطيب ،ذي الوزارتين ،ولد بمدينة لوشة ،درس بها على يد عدة علماء أبرزهم أبو عبد الله المقري الجد وابن الفخار[6]،

---

[1]-يحي ابن خلدون، العبر ، 1 :129.

[2]-المصدر نفسه،1 :208.

[3]-ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة،ط1،مطبعة موسوعة مصر،1901، 2: 276.

[4]-ابن مريم،المصدر السابق :227.

[5]-عن بوزيان الدراجي ،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1993 :115.

[6]-ينظر محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق:402.

و ألحقه الوزير أبو الحسن بن الجياب بديوان الإنشاء، ثم عين وزيرا في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف،ثم لم يلبث أن استعمله في السفارة جامعا في ذلك بين الوزارة و السفارة و بقي الأمر على حاله بعد وفاة أبي الحجاج سنة (755هـ/1354م)[1]،وبعدذلك فرّ ابن الخطيب إلى المغرب سنة (761 هـ/1360م) ثم زار تلمسان أيام المحنة التي تعرض لها و أعجب بها فقال فيها" تلمسان،قاعدة الملك و واسطة السلك، وقلادة النحر و حاضرة البر والبحر حسناء تسبي العقول بين التقنع و السفور، والأطماع والنفور،شمخت بأنف الحصانة والإباية و تبححت بوفورالعمارة و دور الجباية"[2]، وأثناء إقامته بتلمسان شرع في كتابة كتابه" أنواء النسيان في أنباء تلمسان"،و لكنه لم يتممه و ارتحل إلى فاس[3].

-**دورهم في سك النقود**:اتخذ بنو عبد الواد أسرة بني الملاح القرطبية الذين نزلوا تلمسان،[4] أمناء على بيت المال و فوضوا إليهم ضرب السكة من دنانير و دراهم ،و تشير معظم الدراسات التاريخية إلى الدور الذي قام به الأندلسيون الموريسكيون في المرحلة الثانية من تأسيس الحكم العثماني في الفترة الممتدة ما بين (1614-1830م) في الجانب الإداري ، فاشتهروا بتحصيل الضرائب و جمع موارد الخزينة العامة ،متبعين تعليمات الإدارة العثمانية بالجزائر، و بفضل خبرتهم المالية استطاعوا ممارسة أعمال القرصنة والنخاسة و مبادلة الأسرى و المشاركة الفعالة في تمويل

[1]-التبنكتي،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،مطبعة الفحامين،مصر:264.

[2]-ابن الخطيب،كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تحقيق محمد كمال شبانة،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2003 : 8685.

[3]-المقري نفح الطيب ،8 :316.

[4]-ينظر محمد بن رمضان شاوش ،المرجع السابق :402.

مشاريعها[1]،فهذا التأثير الأندلسي قديم يعود إلى فترة الدولة الرستمية، في استفادتهم من خبراتهم في مجال البناء والصناعة والزراعة وعلم التدبير؛فقد كان "عمر بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي"من مرشحي الإمام عبد الرحمن بن رستم للإمامة الإباضية في تيهرت قبل وفاته،كماساعدت سياسة السلاطين في بلاد المغرب على ازدياد النفوذ الأندلسي بالمنطقة،فتولوا الحجابة، وكانت الوظائف الإدارية من نصيبهم ، هذا ما جعل الوافدين إليها يجدون مجالا واسعا لاستثمار مواهبهم في جميع القطاعات[2].

أما **العامل الثاني** الذي جعل الجاليات الأندلسية تنزح إلى تلمسان و بجاية مكانتهما العمرانية وكذلك إشعاعهما العلمي و الحضاري،بالإضافة إلى الاستقرار الذي عن طريقه تمكنوامن تطبيق خبراتهم العلمية والسياسية و العسكرية و الاقتصادية[3].

والعامل الثالث يتمثل في سقوط عدد كبير من الثغور الأندلسية و اكتظاظ الساحتين المغربية والتونسية بالأندلسيين فبحثوا عن أماكن شاغرة لاستثمار مواهبهم السياسية ما جعل الإمارة الزيانية تستقبل جاليات أندلسية أكثر من المرحلة السابقة و هذا ما أشار إليه "راشيل أريي R.Arié " عندما تحدث عن التأثيرات الأندلسية المتسربة إلى مملكة بني عبد الوادفي فترة حكم أبي حمو الأول في بداية القرن الثالث ،فأوضح أن الأمير الزياني أبي حمو موسى الثاني كان يختار

[1]–عن حنفي هلايلي،أبحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي و الموريسكي،(د،ط) ،الجزائر،2010 : 82.

[2]–حنيفي هلايلي ،المرجع السابق:11.

[3]– المرجع نفسه : 12.

مساعديه الرئسيين من حاشيته الأندلسية[1]،لحنكتهم و كفاءتهم و خبرتهم داخل الإمارة ما جعل بعض الأمراء يشجعون العائلات الأندلسية بتقديم المزيد من الامتيازات داخل الإدارة[2].

و يتضح مما سبق أن الجالية الأندلسية شكلت طبقة سياسية متميزة، و لاسيما في النصف الأول من القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي،بحيث تكتلت فيما بينها،و أصبحت تمثل مصدر القوة في البلاط الزياني،مما دفعها في بعض الأحيان إلى إثارة الدسائس،و مقاومة معارضيها بمختلف الوسائل للاحتفاظ بالنفوذ و الامتيازات السلطانية والوصاية السياسية و الحضارية على أهل تلمسان[3]،و هو نفوذ سياسي و إداري جعل بعض شيوخ بني زيان و بعض علماء تلمسان يضيقون به ذرعا[4]،و خاصة في عهد الأمير عبد الواحد بن عبد الله(514-827هـ/ 1411-1427م) الّذي طالت مدته وساءت سمعته[5].

- **عسكريا**:كان للأندلسيين دور فعال في الجانب العسكري، وجدوا في صفوف الجيش الزياني كجنود و ضباط في الفرق العسكرية منهم إبراهيم الآبلي و أخوه أحمد اللذان عينهما أبو يحي يغمراسن في السلك ثم عين إبراهيم الآبلي عاملا على مدينة هنين[6].

---

[1]-حنيفي هلايلي ، المرجع السابق : 17.

[2]-المرجع نفسه : 18.

[3]- ابن خلدون،العبر،6 :654.

[4]-عن أمين الطيبي، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس،دار العربية للكتاب ،ليبيا،تونس،1984 :288.

[5]-المرجع نفسه : 288

[6]-ابن خلدون، التعريف بابن خلدون :33.

المبحث الخامس:التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي.

تشكل المجتمع الزياني من عناصر مختلفة و من بينها:**البربر** ، يمثلون غالبية السكان،خاصة قبيلة زناتة ،قال ابن خلدون" و الأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى إنّه نسب إليهم و يعرف بهم فيقال وطن زناتة"[1]،و كانت لقبيلة زناتة مكانة مهمةلاحترافهم الصناعة و التجارة[2]،فاختلطوا بالأعراب فأصبحوايمتلكون لغتهم مزجوهابألفاظ و عبارات زناتية[3]،أما**العرب** :استقروا بالمغرب الإسلامي في فترة الفتح ،وبالتحديد القبائل المضرية و اليمنية،بالإضافة إلى قبائل أخرى قدمت من العراق و الشام والحجاز و مصر[4]، بالإضافة إلى**العنصر الأندلسي** :وهو العنصر توافد أفراده على بلاد المغرب الأوسط بعدما استولى المسيحيون على أملاكهم و ديارهم،فوجدوا أرضا كأرضهم و أهلا كأهلهم فاستوطنوها فيها و أسهموا في إثراء حياتها الاجتماعية و ذلك بإدخال عنصرين رئيسين:ـ مضاعفة الكفاح ضد الاسبان في البحر و الثغورو. نشر أنماط حضارتهم بين سكان المجتمع التلمساني نتيجة احتفاظهم بمميزاتهم[5]،وخصوصيتهم الأندلسيةبعض عاداتهم و تقاليدهم[6] مثل

---

[1]- ينظرابن خلدون ، العبر ،6 : 04.

[2]- ينظر عبد العزيز الفيلالي،تلمسان في العهد الزياني، 1 : 171.

[3]-محمد بن رمضان شاوش،المرجع السابق:385.

[4]-عن خالد العربي ، المرجع السابق:197.

[5]-أبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، 2 : 154.

[6]-.عن خالدبلعربي، المرجع السابق: 202.

اهتمامهم الكبير بشكلهم وأناقتهم حتى قال فيهم لسان الدين بن الخطيب " **كأنّهم الأزهار المتفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة**[1]."

ففي اللباس استطاع الأندلسيون فرض أذواقهم على غالبية مدن الجزائر و خاصة مدينتي تلمسان القليعة وفي العديد من الألبسة مثل:القمجةوالطوق والفستان والمحرمة والقفطان و الصدرية أو البدعية التي نقلها الأندلسيون إلى شمال إفريقيا ،و استعملت لفظة الصدرية بدل البدعية، كذلك البنيقة*حيث دخل هذا اللباس إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة ويستعمل للحفاظ على زينة الشعر والوقاية من البرد عند الخروج من الحمام،بالإضافة إلى "البليغة"؛و هي عبارة عن نعل استعمل في الأندلس مزينة ومرصعة بالذهب[2]،و" الملف" وهو قطعة من قماش تلف حول نصف الجسد الأعلى،ويطرح طرف منها على الكتف وهي ملونة وتختلف ألوانها بحسب الثروة و المكانة، بالإضافة إلى ارتدائهم اللباس المغربي المعروف اليوم بالجلابة[3].

أما النساء فكنّ يبالغن في التفنن في زينتهن و يتنافسن في اقتناء الحلي و أنواع الجواهر ،و كان لهن دور كبير في تكملة جمال المرأة التلمسانية متأثرة بشقيقتها الأندلسية، و أصبحت جزء لا يتجزأ من حياتها، كاستعمالهم للشاشية و هي لباس توضع على الرأس ذات شكل مخروطي وهي

[1]-ابن الخطيب،الإحاطة في أخبارغرناطة، 1 :35.

[2]- ينظر حنيفي هلايلي،أبحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي :67.

[3]- ينظر حسين مؤنس ،غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ،مجلة العربي،العدد89،الكويت :80.

نوع من الطائيات مزينةبزخارف من الفضة أو من الذهب و في بعض الأحيان تكون مرصعة بالأحجار الكريمة، بالإضافة إلى حلي العنق و الصدر و حلي الأيدي[1].

كما عرفوا كذلك بنظافة أجسامهم وعنايتهم بثيابهم[2] ،لدرجة أنّه كان البعض منهم يبيع كل ما عنده ليشتري به صابونا يغسل به ملابسه،و حسن الاحتياطهم و التدبيرهم في المعاش و حفظ ما كان بأيدهم خوفا من ذلّ السؤال و لذلك كثيرا ما كانوا يوصفون بالبخل[3]،لاستنادهم في تغديتهم على القمح و الذرة[4]،بالإضافة إلى الأرز و العدس و الثريد و الكسكس و السمك و أنواع من الحلوى[5].

و من الأمور التي كان يتباهى بها الأندلسيون دلالة على أصالتهم ؛تميزهم بالطبخ الرفيع

و عرضهم مأكولات أندلسية من حلويات و أطباق ما يسمى " بالطواجين" التي يتطلب إعدادها حذقا كبيرا و إنفاقا كثيرا لا تقدر عليه إلا العائلات الميسورة ،لتقدمه في مناسباتها وأفراحها مع تغليب الفاكهة[6].

وقد تأثر سكان المغرب الأوسط بتلك العادات منها الأكل و اللباس ،آخذين عنهم طرق طبخ العديد من الأطعمة و الحلويات[1].

---

[1]–ابن الخطيب الإحاطةفي أخبار غرناطة،1 :38.

[2]–أبو حامد الأندلسي تحفة الألباب و نخبة الإعجاب،تحقيق إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري،1989،:62.

[3]–المقري نفح الطيب، 1 :183.

[4]–ابن الخطيب،اللمحة البدرية في الدولة النصرنية،القاهرة،1374هـ :28.

[5]–عن الطوخي أحمد أمين، المرجع السابق:92.

[6]–ينظر حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي:67.

كما تأثرت المدن الكبرى مثل بجاية و شرشال و تلمسان بلغة التخاطب التي تميزت بها الجالية الأندلسية بلهجتها الغرناطية التي كانت سائدة في حواضر الأندلس نظرا لرقة مخارج حروفها و سهولة التلفظ بها[2].

و مما يلاحظ كذلك انتشار استعمال مفردات إسبانية مع شيوع تعابير لغة الفرنكا* و وجدت منذ التوافد الأخير للموريسكيين،التي يغلب عليها الطابع الإسباني بخاصة في مجال العلاقات الخارجية والأعمال التجارية،و ظلت بعض العائلات الأندلسية محافظة على لغتها و هذا ما أكده بعض الرحالة و القناصل و رجال الدين الأوروبيين الذين زاروا الجزائر أثناء القرن الثامن عشر من أمثال لوجي دي تاسيde tassy laugien،(ت1725م)، والطبيب شاو D.Shaw (ت1732 م) وكوندامينCondamine (ت1731) التي بقيت متداولة في تلمسان نذكر منها[3]:

اللفظ باللهجة العربية	مدلول	اللفظ باللسان الإسباني
بابور	باخرة	Babor
براكة	كوخ	Barroca

[1]- ينظر صادق خشاب،تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، تلمسان أنموذجا،رسالة لنيل شهادة ماجستير في الفنون الشعبية جامعة تلمسان،2001 :288 .

[2]- ينظر عبد العزيز الفيلالي،تلمسان في العهد الزياني ،1 :68.

[3]- عن حنيفي هلايلي،دراسات وأبحاث في التاريخ:163.

بلاصة	ساحة	Plaza
بلوزة	لباس	Blusa
بندير	دف	pandera
برافو	ممتاز	Bravo
بلاكة	لافتة	Placa
بلكون	شرفة	Balcon
دورو	نقد اسباني	Puro
كانتينا	الحانة	Cantina
كبوط	معطف	Capote
كارو	عربة	Carro
الكوشة	الفرن	Cocha
الكيف	النشوة[1]	KIF

[1]- عن حنيفي هلايلي ، دراسات وأبحاث في التاريخ:163.

لامبة	مصباح	Lan baror
لاطة	قطعة من الحديد الأبيض	Lata
الماريو	خزانة الملابس	Armoir
الماركة	النوع- الصنف	Marca
صالة	قاعة فسيحة	Salon
صندال	نعل	Sandal
صباط	حذاء	Sapato
غالطة	خطأ	folta
فبريكة	معمل	Fabrica
فنطزية	المختال	Fantazia
قرداش	آلة تستعمل لمشط الصوف	Cordas

سمانة	أسبوع[1]	Semano
نانة	كلمة تستعمل لنعظم المرأة،و في الاسبانية تستعمل للجدة و الحاضنة.	Mamon
كوزينة	المطبخ[2]	COCINA

وهي ألفاظ ،وغيرها كثير ،تؤكد الأثر اللغوي الذي تركته الجالية الموريسكية في المغرب بعامة والجزائر بخاصة.

[1]- عن حنيفي هلايلي،دراسات وأبحاث في التاريخ:163.
[2]- المرجع نفسه:163.

المبحث السادس:التأثير الفني والعلمي والثقافي الأندلسي في حاضرة تلمسان.

عرف المغرب الأوسط حركة علمية و ثقافية نشيطة في الفترة الزيانية،و ذلك راجع لاهتمام ملوكه بالعلم

و العلماء،هذا ما أهَلَه أن يكون مركزا للإشعاع الحضاري في بلاد المغرب فتعددت مؤسساته التعليمية، [1] وبرز عدد كبير من الشخصيات في شتى العلوم وبخاصة بعد توافد الجاليةالأندلسية المحبة للعلم واهتمامها الكبير به،[2]وهذا مابينته العديد من المصنفات قالالقلقشندي (ت 629 هـ/1231م): " إن الاجماع حصل على فضل الأندلسيين،و قد نشأ فيهم من الفضلاء و الشعراء بما اشتهر في الآفاق"[3].

و وصف كذلك ابن خلدون ذكاءهم و اعتناءهم البالغ بالشعر الذي بلغ التنميق فيه الغاية، ما أثر في سكان تلمسان[4]،لأنّ طلب العلم عند الأندلسيين كان يحرك بباعث ذاتي لحرصهم على التعلم ما دفع الكثير منهم إلى ترك عمله الذي يقوته ، للتفرغ لعلم و المعرفة، و هذه الصفات كان لها أثر

---

[1]–ابن خلدون،المقدمة:دار الجيل،بيروت:54.

[2]–المقري نفح الطيب،4،:181.

[3]–أحمد أمين،ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 3 :10.

[4]–ابن خلدون،المقدمة:246.

في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط بالأقاليم الّتي نزلوا بها الأندلسيون[1]،و من بين المجالات العلمية التي كان للأندلسيين فيها حضور وتأثير:

- **طريقة التعليم**: حيث أدخلوا عليها أمورا جديدة مقارنة مع المنهج التعليمي المتبع بالمغرب الأوسط الذي يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم و علومه[2]،ثم بعد ذلك ينتقل إلى علوم أخرى،و أبدى بعض العلماء تحفظا من هذه الطريقة على غرار أحمد بن إبراهيم الأبلي (ت 757هـ/1356م)بحيث يصبح ذهن الطالب مجرد وعاء يملأ بمعلومات غزيرة في شتى المعارف[3]،ونقد ابن خلدون هذا المنهج لأنّه يعتمد على حفظ عدد كبير من المؤلفات،و ما كتب عليها من شروح وحواش و مختصرات ما يعيق عملية التحصيل و اقترح التدريج والمرور بالمراحل الثلاثة[4].

أما منهج الأندلسيين فكان يختلف إذ إن الطفل يبدأ بتعلم القراءة و الكتابة ثم النحو و اللّغة والحساب و بعدها ينتقل إلى دراسة المنطق و علوم الطبيعة ثم يليها علم الأخبار،ثم ينتقل إلى دراسة علوم الشريعة[5]،و قدم تعليم اللغة العربية على سائر العلوم حتى يتمكن الطفل من إجادتها لأنّها وسيلة اكتساب العلوم ثم علوم الشريعة التي كانت تأتي في الأخير ليسهل فهمه، وهي طريقة نوه بها عبد الرحمن بن خلدون و غيره[6].

---

[1]-القلصادي،تمهيد الطالب و منتهى الراغب بأعلى المنازل المعروفة بالرحلة،تحقيق محمد أبو الأجفان،الشركة التونسية للتوزيع تونس،1978 :26.

[2]- ينظر لخضر عبدلي، المرجع السابق :9.

[3]- ينظر نصرالدين سعيدوني،التجربة الأندلسية:87.

[4]-عن لخضر عبدلي،المرجع السابق:95.

[5]- ينظر أحمد شيبون ،منزلة العلم و التعلم من خلال رسائل مراتب العلوم لابن حزم،ندوة الأندلس،ط1،مكتبة الملك عبد العزيز،الرياض،1996 :9.

[6]-ابن خلدون،المقدمة، 2 :598.

و عملوا على تنظيم حلقات التعليم بالمدارس و المساجد و منهاالمسجد الجامع بتلمسان ،الّذي أصبح معهدا للتدريس يضاهي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس كما أسهموا بقسط كبير في دفع حركة التعليم بالمغرب الأوسط،لخبرتهم في هذاالمجال، كذلك عملوا على نشر الخط الأندلسي في المناطق التي حلوا بها[1].

و لقيت المصنفات التي نقلت من الأندلس إلى المغرب الأوسط اهتماما كبيرا لاستنادهم إليها في عملية التعليم[2]،و من العلماء الذين برزوا في العلوم الدينية و كان لهم تأثير بالمغرب الأوسط:

- **أبو عبد الله بن إبراهيم الآبلي**:من مواليد سنة (681هـ/1280م) أصله من آبلة،نشأ بتلمسان، وتعلم على أبي الحسن التنسي، تم ارتحل إلى المشرق ليعود إلى تلمسان بعلم غزير[3]،ثم فرّ إلى فاس بعد ما أراد أبو حمو موسى الأول إكراهه على العمل،حيث تصدر هناك للتدريس ثم عاد إلى تلمسان بعد ما استولى عليها أبو الحسن المريني،و حضر موقعة طريف[4]، توفي بفاس سنة (757هـ/1356م) و قد قال فيه يحي بن خلدون:" فاق أهل زمانة في العلوم النقلية، و لا أعرف بالمغرب و إفريقية فقيها كبيرا إلا و له عليه مشيخة[5]"،و على الرغم من علمه الغزير إلا أنّ مؤلفاته

[1]-عن ناصر الدين سعيدوني،التجربة الأندلسية بالجزائر:88.

[2]- عن بوحسون عبد القادر،المرجع السابق :125.

[3]-المرجع نفسه:87.

[4]- ينظر الحنفاوي أبو قاسم محمد،تعريف الخلف برجال السلف،القسم الأول مؤسسة الرسالة مكتبة العتيقة،تونس،1988 :94.

[5]-يحي بن خلدون،المصدر السابق،1 :120.

قليلة و ذلك يتجلى في قول لسان الدين بن الخطيب:" إنما أفسد العلم كثرة التآليف و أذهبه بيان المدارس"[1].

كذلك العالم **أبو الفضل محمد المشدالي**:(820-868هـ / 1418- 1460م) اهتم بالعلوم النقلية و العقلية و من مؤلفاته شرح الجمل للخونجي[2].

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التجيبي**: ولد بمرسية حوالي سنة 455هـ، أخذ العلم عن القاضي أبي عبد الله بن عبد الرحيم،و عن ابن شيكوال،و عن أبي الحجاج يوسف بن إبراهيم العسري وغيرهم، و رحل إلى المشرق،حج و استفاد عن الكثير من العلماء،كما عني برواية الحديث و بالتاريخ ،ثم عاد إلى المغرب سنة 594هـ ثم استقر بتلمسان ، و روى عنه الكثيرون منهم: أبو الحسن القلعي و محمد بن إبراهيم الغساني و ابن أبي العيش الخزرجي وأبو زيد الفازازي،و له كتب في الوعظ و الرقائق و توفي في جمادى الأولى سنة 610هـ.

- **أبو العيش محمد بن أبي زيد بن محمد بن أبي العيش إشبيلي الأصل**: روى عن أبي بكر بن يوسف ابن مقدح بن سعادة الإشبيلي،و أبي عبد الله بن عبد الحق و أبي عبد الله التجيبي،و أبي محمد بن حوط الله، و كان أديباو شاعرا،وأصوليا،ألف كتابا في تفسير القرآن،و آخر في العقائد و أصول الفقه، ونظم في التصوف و التوحيد،و توفي بتلمسان إلا أنّ تاريخ وفاته مجهولة[3].

---

[1]-ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة 2: 148.

[2]-أبو حمو موسى الزياني،حياته و آثاره،دخائر المغرب العربي،تأليف عبد الحميد حاجيات،الشركة الوطنية للنشر و الطباعة،الجزائر،1982،ط2 : 40.

[3]- عن عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق:41.

- **العلوم اللسانية و الاجتماعية**:حظيت العلوم اللسانية عند أهل تلمسان باهتمام كبير من قبل العديد من الكتاب و الشعراء مستندين على عدة تآليف منها كتاب "سيبويه"، الإيضاح "لأبي علي الفارسي" والجمل" للزجاجي" و العقد الفريد "لابن عبد ربه"،و الآمالي" للقالي" و العمدة "لابن رشيق"،والمقامات "للحريري"،و الجغرافيا "للزهري "و كتاب المسالك و الممالك "للبكري "و هذا راجع إلى تطور الحركة الفكرية في الأندلس و هجرة علمائها إلى تلمسان [1]ومنهم:أبو بكر بن محمد بن داود بن خطاب الغافقي المرسي،نزل تلمسان ،نشأ بمرسية وقرأ العربية والنحو على أبي بكر محمد المعافري القرشي،و درس الأدب على أبي علي الحسن بن عبد الرحمن الكناني ، والحديث و الفقه على أبي بكر محمد بن محرز الزهراوي ،والأصول على أبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخز و مي ،ثمّ رحل إلى غرناطة و بها عين كاتبا للسلطان،ثم عادبعد ذلك إلى تلمسان واستقر بها،و تولى منصب الكتابة في بلاط يغمراسن إلى أن توفي في عاشوراء سنة636[2]هـ.

– **العلوم الطبيعية و الرياضيات** :عرفت هذه العلوم ازدهارا كبيرا بتلمسان في الفترة الزيانية و ذلك راجع إلى تقدم الميدان الاقتصادي و توافد الكثير من العلماء الأندلسيين إلى تلمسان و استقرارهم بها،بالإضافة إلى الصلات الوثيقة التي كانت تربط بين أقطار المغرب الإسلامي ؛هذا ما شجع الرحلات العلمية إلى سائر أنحائها،[3]و من تلامذةعلماء الأندلس:

1–عن عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق:.47

2 ـ المرجع نفسه:50.

ـ [3]ـ المرجع نفسه:52.

- **أبو عبد الله محمد بن علي بن النجار التلمساني:** ولد و نشأ بتلمسان و أخذ عن الآبلي ثمّ بعد ذلك رحل إلى المغرب الأقصى و استفاد من علمائها من أمثال عبد الله محمد بن هلال شارح"المجسطي" ، وكذلك أخذ عن أبي العباس بن البناء،ثم بعد ذلك التحق ببلاط أبي الحسن المريني أيام استيلائه على المغرب الأوسط ثم صحبه إلى إفريقية و توفي بتونس بمرض الطاعون سنة (749هـ) ومن تلامذته المقري[1].

-أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري (الآبلي): أصل أجداده من آبلة بالأندلس، ولد بتلمسان سنة 681هـ،شب على حب العلم و الدرس على يد أبي الحسن التنسي،و عندما تعرضت تلمسان للحصار، غادر إلى المشرق لأداء فريضة الحج ،و استفاد من علماء عصره،ثم عينه أبو حمو الأول في ضبط الجباية ،ثم بعد ذلك غادر تلمسان و رحل إلى المغرب الأقصى ، و اتصل بأبي العباس بن البناء بمراكش وأخذ عنه، ثم التحق بشيخ قبيلته ،و أقام عنده مدة قضاها في التدريس ثم استقر معه بفاس، واتصل بأبي الحسن المريني فألحقه بمجلس العلماء ببلاطه، وصحب الآبلي السلطان المريني مع غيره من العلماء في حركته إلى الأندلس، و حضر معركة طريف ثم غادر بعد ذلك إلى تونس سنة (748هـ)، وبعد استيلاء على المغرب الأوسط رحل إلى بجاية ثم غادر إلى تلمسان و نال عناية كبيرة فيها إلى أن توفي سنة (557 هـ)[2]،ويعد الآبلي من أشهر رجال عصره في العلوم الطبيعية ،أسهم في تكوين جيل من العلماء الكبار في المغرب، وتتلمذ على يده مجموعة من

[1]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق :53.
[2]-المرجع نفسه والصفحة نفسها.

العلماء أمثال عبد الرحمن بن خلدون و أخيه يحي، والمقري،وأبي عبد الله الشريف،و ابن مرزوق الجد و سعيد العقباني[1].

– الأدب:عرفت الحركة الأدبية ازدهارا ملحوظافي العهد الزياني لما لاقته من تشجيع الحكام مما جعل البلاط الزياني يعج بالأدباء والشعراء والكتاب، بالإضافة إلى نزوح المهاجرين الأندلسيين نحوتلمسان فكانت لهم العديد من القصائد والرسائل[2] ،وقدشاع أسلوب السجع و غيره من المحسنات البديعية وتأنق فن التعبير شعرا ونثرا.

أ. النثر :أصبح النثر في تلمسان مشابها للنثر الأندلسي نتيجة امتزاج الثقافة المغربية بالثقافة الأندلسية في العهدين المرابطي والموحدي وتحديدا في عهد بني عبد الواد وخاصة بعد توطيد الروابط الثقافية بين المغاربة والأندلسيين،[3] ومن بين أسماء الكتاب الذين ذاع صيتهم في تلمسان نذكر منهم:

- **أبو بكر الخطاب الأندلسي** : (ت688 هـ .1289م) كان له اسهامات في فن الكتابة فتألق في فن الترسل أكثر من الشعر متفوقا على معاصريه في المغرب والأندلس لأنّه كان مشرفا على ديوان الرسائل في غرناطة ،هذا ما دفع السلطان يغمراسن أن يجعله صاحب القلم الأعلى في بلاطه وأصبح مثالا يحتذى به قال ابن خلدون عنه:"**إنّه كان مترسلا،بليغا كاتبا مجيدا**

[1]–عبد الحميد حاجيات ،المرجع السابق:54.

[2]- ينظر محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري،د.ط، دار الثقافة، الجزائر،2007 :123.

[3]- ينظر الطاهر توات ،ابن خميس شعره ونثره، ط2 ،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ،الجزائر:233.

فاستكتبه،صدر عنه الرسائل في خطاب الخلفاء الموحدين، بمراكش وتونس في عهد بيعاتهم ما تنقل وحفظ".[1]

غير أنّ أغلب رسائله ضاعت إلا القليل منها حفظ في مصنف صاحبه مجهول ،وتتلمذ على يده مجموعة من العلماء الجلة منهم : ابن مرزوق الخطيب المقري الجد والشريف التلمساني والآبلي ومحمد بن هدية القريشي و أبو عبد الله المسكوري صاحب ديوان الرسائل في عهد أبي حمو موسى الزياني وابنه تاشفين الأول ويحي بن خلدون ومحمد بن يوسف الثغري ، في عهد أبي حمو موسى الثاني،وعلي بن مسعود الخزاعي الملقب بذي الوزارتين وأبو عبد الله بن مدورة ومحمد بن علي العصامي ومحمد بن صالح بن شقرون و أبوالقاسم بن ميمون السنوسي وأبو الحسن علي بن العطار....[2]. وانقسمت الرسائل إلى عدة أقسام، منها ماهو ديواني ومنها ماهو أدبي ومنها ماهو إخواني ولكنّ جلّ هذه الرسائل تعرض إلى الإتلاف وضياع[3].

- **الرسائل الديوانية**: اهتمت بمصالح الأمة وقوام الرعية وأحوال الأسواق ،وتضمنت كذلك أوقات السلم والهدنة كمثل الرسالة التي أرسلها السلطان أبو تاشفين إلى الحاكم أراغون* جاء فيها:"**سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله العظيم والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسوله المصطفى الكريم والرضا عن أصحابه الخلفاء التابعين له، عليه السلام على المنهج القويم والصراط المستقيم،والدعاء لهذا المقام العلي**

[1]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر1 : ،163 .
[2]- ينظر عبد العزيز الفيلالي،تلمسان في العهد الزياني، 2 :459.
[3]- ينظر الطاهر توات ، المرجع السابق :234.

التاشفيني السني بالنصر العزيز، والفتح العميم فالكتاب إليكم ،كتب الله لكم أصحاب الأعمال وأزكاها وبلغكم من التوفيق أهنى الأماني وأقضاها ،من حضرتنا بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى على خير التام والسير العام والحمد لله كما هو أهله وعن الوعي بجانبكم والاغتباط بمصاحبتكم ، والعمل على مايؤكد أسباب مواصلتكم ،وبمقتضى وجهنا إليكم ولدكم الزعيم الأنجد الأنهض الأجد المكرم لدينا الأثير عندنا حاكما مع ثقتنا الشيخ المكرم الأمين الحاج أبي يعقوب يوسف بن الحواء،يرسم عقد الصلح بيننا بينكم على حسب ما في العقود الواصلة صحبتنا إليكم ، يلقيانه إليها مايلقاه من معاني ذلك كله إليكم ،ويقررانه على الكمال وإتمام لديكم إن شاء الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى ،وكتب في سابع عشر رجب الفرد المبارك عام سبعة وعشرين وسبعمائة....".[1]

- وهناك رسائل أخرى سياسية كمثل الرسائل التي أنشأها الكاتب ابن الخطاب باسم يغمراسن لنظيره السلطان علي بن إسحاق الحفصي بتونس يدور موضوعها حول ولاء بني زيان لبني حفص ومنها": **المستند إلى ظل حرمتها (الخلافة) الموالي شكر جزيل إحسانها وعظيم منتهى..... سالك من العبودية لها سننا واضحا موال في خدمتها ، ونصيحتها عملا يعتقد،صالحا رابحا شاكرا لإحسانها،الذي لم يزل غاديا عليه رابح،لايزال يدب على ذلكم ليله ونهاره ،وينظر إلى مايوافق رضاها فيتتبع آثاره... والرضا عن الإمام المهدي المعلوم السابق في الدرجة النبوية ..... ووببركة الاستناد إلى الحضرة الكريمة ،أيدها الله تدرك**

[1]- ينظر عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني ،2 :459.

المنى وتنقاد لطالبها الدنا وترتقي المراتب العلى....."[1]،حملت هذين الرسالتين قيما سياسية ودينية وتاريخية،وبينت كذلك طبيعة العلاقات بين تلمسان وغيرها من الدول .

- **الرسائل الإخوانية**:شملت مواضيع عديدة منها الوصف والعتاب والشكر والتعزية والشفاعة والتهادي وغيرها من المواضيع ، ومن بين الكتاب الذين برعوا فيها ابن خميس كمثل الرسالة الّتي كتبها إلى مشرف مدينة فاس أبي فضل محمد بن يحي بن العبدري ،وهي التي ذكرها ابن الخطيب في مؤلفه" الإحاطة في أخبار غرناطة" وأخرى في مؤلفه"أزهار الرياض"سنةاثنتين وثمانين وستمائة للهجرةالتي وجهها إلى المغيلي قاضي مدينة فاس المعزول بعد رجوعه من محاكمته من طرف محكمة الفقهاء بفاس [2]، ومن بين الخصائص الفنية التي امتازت بها رسائل ابن خميس:

* كثرة المحسنات البديعية من سجع وطباق وتورية وجناس : أي الصنعة اللفظية خاصة في المواضيع الفلسفية لأنّه كان له اطلاع واسع على علم اللغة مثل قوله:" **أمتع الله ببقائك ،وأسعد بلقائك،وأراها بما تؤمل من شريف اعتنائك،وترجوه من جميل احتفائك ماتعرف به من احتدائك،وتعترف له ببركة اعتفائك،كريمة الأحياء،وعقلية الأموات والأحياء..... على أنّها حليفة آلام وأوصاب ،وأليفة أشجان وأطراب"**،[3] وكذلك في قوله:"**أطلت على دارات العرب فحيت أطلالها، ودعتلزيارة أختها اليونانية أذواء حيمر وأقيالها،أطعمتها بلمعية ألمعيتها الأعجمية،ومثلها يطمع ،وجاء بها من قدماء الحكماء** ...."[4]،وعرف كذلك بمهارته

[1]- عبد العزيز الفيلالي ، المرجع السابق:460
[2]- ينظر الطاهرد توات ، المرجع السابق:245.
[3] - ابن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة،المصدر السابق،2 : 557 .
[4] - ينظر الطاهر توات ،المرجع السابق:268.
*سورة طه(8 -9)

في فن الاقتباس مريدا بذلك تقوية معانيه متجاوزا القيود والحواجز ومن التعابير والألفاظ الّتي اقتبسها من القرآن مثل في قوله:"فما أنست ناره" التي جاءت في القرآن :"**وهَلَ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى،إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِه اِمْكُثوا إِنّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**"*،وفي قوله كذلك:"كافحت عن دينها الحنيفي فما كهم حسامها،ونافحت عن نبيها الأمي فأيدت بروح القدس سهامها"،[1] وجاءت هذه التعابير من قوله تعالى:"**قُلِ إِنَّنِي هَدَانِي رَبّي إِلَى سِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ،دِينًا قَيّمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَاكَانَ مِنْ المُشْرِكِينَ**".*

تأثره بالمدرسة الأندلسية وانتهاج طريقتها: يبدو جليا في تشابه رسالة ابن خميس مع رسالة ابن زيدون الهزلية التي يستهلها بذم ابن عبدوس وجاء في قوله:"أما بعد أيّها المصاب بعقله ، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ،فإنّ العجب أكذب، ومعرفة المرء نفسه أصوب.....".[2]

* سهولة اللغة ووضوحها في عصره وهذا ماأتبثه ابن خلدون في قوله:" وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة،وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية وفرعوا له ألقابا ونوعوا أنواعا،وزعموا أنّهم أحصوها من لسان العرب، وإنّما حملهم على ذلك ولوعهم بتزيين الألفاظ،وأن

[1]- ابن الخطيب ،الإحاطةفي أخبار غرناطة ،2:.588
[2]- ينظر الطاهر توات ،المرجع السابق:267.
* سورة الأنعام (161).

علم البديع سهل المأخذ. وصعب عليهم مآخذ علم البلاغة والبيان لغموض معانيها فتجافوا عنه"[1].

*توظيفه في رسائله الأمثال العربية وشرحها مثل في قوله:"**لاخطأ تتوقعه ولاخطل**....." .[2]

*سرد رسائله قضايا عصره ، مما جعلها من الوثائق التاريخية التي لايمكن الاستغناء عنها عند التأريخ لهذه الفترة الزمنية.

ب . الشعر : كان للأندلسيين أثر بين في جيلهم أثناء إقامتهم بتلمسان،[3]مما جعل الأدب الزياني يتميز بطابعه الأخلاقي لأنّ شعرهم كان متصلا بالقيم الأخلاقية مثل ما وجد عند ابن عبد ربه(ت392هـ) عندما تحدث عن الكرم و العزة و الصبر و الرفق و ربطها بمختلف فنون القول وذلك في مثل قوله[4]:

أَحَقًّا يَقُولُ النَّاسُ فِي وُجُود حاتِمٍ و اِبْنُ سَنَاء كَانَ فِيهِ سَخَـاء

عَزِيزٌعَلَيهُمْ أَنْ تَجُودَ أَكُفُّهُـــــم عَلَيهُمْ مِنَ اللَّه الْعَزِيزِ عِفَـاء

و مَا أَقْرَبَ الْيَأْسُمِنْ رَجَـــــائِيٍّ وَمَا أَبْعَدَ الصَّبِرُ مِنْ بُكَـائِيّ[5]

كذلك ابن شهيد(ت392هـ) تميز هو الآخر بنزعته الأخلاقية حيث يقول:

---

[1]- ينظر في الطاهر توات :267.

[2]- الطاهر توات ،المرجع السابق:274.

[3]- ينظر أبو قاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي،1:.48

3- ينظر عبد الرحيم مولاي بودخيلي النزعة الأخلاقية في الشعر الزياني رسالة لنيل شهادة الدكتوراه نتحت إشراف محمد مرتاض،كلية الآداب ،جامعة تلمسان:86

4-ديوان ابن عبد ربه ،تحقيق وشرح محمد رضوان الداية ،مؤسسة الرسالة ،دمشق،سوريا،1979 :16.

وَزَادَنِي فِي كَرَمِي عَمّنْ وَلِهَتٍّ بِــه وَيْلِيُّ مِنَ الْحُبّ أَوْ وَيْلِيَّ مِنَ الْكَرَم

جَزَّاهُمْ بِمَا حَازُوا مِنَ الْجَهْل حَلَمَهُ كَرِيمٌ إِذَا راء الْكرَامِ جَاءَهَـــــــــا[1]

ابن زيدون هو الآخر تحدث عن القيم الأخلاقية كالوفاء،و الصبر و اليأس حيث يقول:

لَمْ لَيْسَ لِي صَبْرُ جَمِيـــــــــلُ غَيْرَ أَنّنِي أَتَجَمّـــــــــــــــلْ

ثمَ لَا يَأْسَ فَكَمْ قَـــــــــــدْ نِيل أَمْر يُؤَمَّـــــــــــــــــــل[2]

و نجد ابن خفاجة يعقد رباطا بين الفلاح و التقوى مؤكدا أنّ العمل الصالح لا يكون إلا إذا ينتهج صاحبه منهج تقوى بالله، و يقول :

لَعَمْرِي لَوْ أَوْضَعْتَ فِي مَنْهَجِ التُّقَى لَكَانَ لَنَا فِي كُلّ صَالِحَةٍ نَهْجُ

للهِ أَيُّ خَلِيلِ صِدْق مُخْلـــــــــص أَهَوى بِهِ ركنٌ وَ مَال عِمــاد[3]

و من شعراء تلمسان الذين تأثروا بالنزعة الأخلاقية المقري محمد(ت759هـ)الّذي تفانى في ذكر الخصال الحميدة مثل العزة و الرفعة:

وَ بَدَلْتُ بالتَلْوِينِ تَمْكين عــــــزّة و مِنْ كُلّ أَحْوَالِ قامات رِفْعــــة

و يشير الشاعر في موطن آخر إلى فقره و عبر عن قناعته و صبره يقول:

وَ فَقْرِي مَعَ الصّبْرِ اصْطَفَيْتُ عَلَى الغِنَى مَعَ الشُكْرِ إِذْ لَمْ يَحْظَ فِيهِ مَثُوبِي[1].

---

[1]- ديوان ابن شهيد،جمعه شارلز بلاط،دار المكشوف ،ط1،لبنان ، 1963 :14.
[2]- ديوان ابن زيدون،شرح وتحقيق كرم البستاني ،دار بيروت للطباعة والنشر،1399م/1979 :58.
[3]- ديوان ابن خفاجه،دار الصادر للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان،1381هـ/1961 :46.

محمد بن أبي جمعة التلاليسي: حيث نسج عدة صور شعرية عبّر فيها عن نزعته الأخلاقية كتلك الصورة الّتي رثى فيها السلطان أبا يعقوب معددا مناقبه ،وحرصه على اليتامى والأرامل قال عنه:

رُدُّوا الذّي حَازَ المكَارمَ والعُلاَ بَحْرَالنّدَى يَحْيَ بِهِ المعْمُور

بَكَتْ الأَرَامِلُ واليَتاَمَى بَعْــدَهُ إِذْ مَالَهُ بَيْنَ المرَامِ نَظِـــــيرُ

وشارك حسن بن إبراهيم بن سبع شعراء عصره في التعبير عن النزعة الأخلاقية متحدثا عن العدل أبي حمو موسى الزياني وجوده وحمايته.[2]

2ـ **شعر الحنين:** شاعت الغربة المكانية عند الزيانيين إمّا طلبا للمال أو العلم أو لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية فعبروا عنها بحنينهم وأشواقهم إلى وطنهم وعن آلامهم التي عانوها في غربتهم آملين العودة إلى أوطانهم وذكرياتهم فيها وهذا ما نلمسه في شعر ابن خميس:

سَلِ الرّيحَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السُّفْنَ أَنْــواء فَعِنْدَ صَبَاهَا مِن تِلمسَانَ أَنْبَـــــــاءُ

و إِنّي لأَصْبو للصّبَا كُلّمَا سَـــــــرَتْ و للنّجْمِ مَهْمَا كَانَ للنّجْمِ إصبـــــــاءُ

و يَا دَارِي الأولَى بِدَرْبِ حَـــــــــلاَوَة وَ قَدْ جدّ عيثٌ في بِلاَهـــــا و إِرْدَاءُ[3].

يتضح من هذه الأبيات أن الشاعر ابن خميس لم ينس أبدا موطنه، ومسقط رأسه بل اشتد شوقه وحنينه الجارف إليه وهوفي الأندلس ،كأنّه يناجي الريح لعلها تأتيه بأخبار الأحبة وبلده فتخلصه من

---

[1]- ينظر سيدي عبد الرحيم مولاي بودخيلي المرجع السابق:98.

[2]ـ ينظر في سيدي محمد مولاي بوخيلي،المرجع السابق:76.

2. المقري ،نفح الطيب ، 7 :296

الحرقة والشوق[1]،وفي موطن آخر نجد الشاعر يشخص بلده ويصور حالها ويشبهها بحال المريض المشرف على الهلاك كما في قوله:

وأُهْدِي إِلَيْهَا كُلّ يَوْمٍ تَحِيـــــــــةً وَفِي رَدِّ إِهْدَاءِ التَحِيَّةِ إِهْـــــــدَاءُ

وَأَسْتَجْلِبُ النّوْمَ الغرارَ ومَضْجَـــعِي قَتَاد كَمَا شَاءَتْ نَواهَا وسَـــــلاَءُ

لَعّلَ خَيالاً مِنْ لَدُنْهَا يَمُـــــــــرّ بِي فَفِي مَره مِنَ جَوَى الشَّوق إِبْـــــرَاءُ

وكَيْفَ خُلُوص الطَّيْف مِنْهَا ودُونَهـا عُيُون لَهَا فِي كُلّ طَالِـــــــــعَةٍ رَاءُ

وإِنّي لَمُشْتَاقُ إِلَيْهَا ومُنْبِـــــــــيء بِبَعْضِ اشْتِيَاقِي لَوْ تَمَكّن إِنْبـــَـــاءُ[2]

وفي أبيات أخرى يعرج ابن خميس إلى عالم الخيال مفصحا عن مدى اشتياقه وشوقه لأخبار بلده و معبرا عن لوعة الفراق والحنين فيقول :

يَطِيرُ فُؤَادِي كُلّمَا لاَحَ لاَمِـــــــعٌ ويَنْهَلُ دَمْعِي كُلّمَا نَاحَ صَـــــــادِحُ

فَفِي كُلّ شَفْرٍ مِنْ جُفُونِي مَاتِـــــح وفِي كُلّ شَطْرٍ مِنْ فُؤَادِي قَـــادِحُ

فَمَا المَاء إِلاّ مَاتَسُحّ مَدَامِعِـــــــي والنّار إِلّا مَاتُجّنَ الجَوَانـــِــــــحُ

كَتَمْتُ هَوَاهَا ثم بّرِحَ بِي الأَسَـــى وكَيْفَ أُطِيقٌ الكَتْم والدّمْعٌ فَاضِـحُ[3]

---

[1]- ينظر الطاهر توات ،المرجع السابق:141

[2]-المرجع نفسه :143

[3]- المنتخب النفيس من شعر عبد الله بن الخميس، جمعه عبد الوهاب بن منضور ،ط1، مطبعة ابن خلدون ،تلمسان ،1365ه:62 -63.

3-**الدعاء في الشعر الزياني**: الإنسان يهرع إلى ربه في كلّ الحالات لما يجده المرء عنده من رحمة وخير

و فضل و عفو و لا يكون إلا بالدعاء،و هذا ما وجد في الشعر الزيّاني حيث تضمن مطولات كثيرة خاصة به دون أن يزاحمها فن شعري آخر،فالدعاء هو خطاب مختلف غير خطاب الإنسان مع الإنسان،إنّه تواصل مع الله سبحانه و تعالى وهو موجودضمن الأغراض الأدبية و لم يتطور هذا الفن إلا في سياق الزهد .

و يبدو جليا في أشعار أبي حمو موسى الزياني الذي وقف يناجي ربه بما قد من به على الأنبياء والرسل من خير راجيا من الله أن يرزقه مثل ذلك قائلا:

إنّي دَعَوْتُكَ جُنْحَ اللّيْلِ يَا أَمَلِـــــي دُعَاءَ مُبْتَهِل بالعَفْوِ مُنْتَهِـــــــــــــجِ

يَا كَاشِفَ الضُرّ عَنْ أَيُوبَ حِينَ دَعَا قَدْ مَسَّنِي الضُّرفاكْشِفْ كُرْبَ كُلّ شَجِي

أَنْتَ المُنْجّي لِنُوحٍ فِي سَفِينَتِـــــــه و مُخْرِجُ يُونُسَ مِن ظُلْمَةِ اللُّجَـــــــجِ

يَا مَنْ وَقَى يُوسُفَ الصّدّيقَ كلّ أَذى لمّا رَمَوْه بِجُبّ ضَيّقٍ حَـــــــــــــرِجِ

أجَابَ يَعْقُوبُ لمّا أَن بَكَى وَشَكَـــا وَ جَاءَه مِنْهُ لُطْفُ لَمْ يَخِلْهُ يَجِـــــــي

و عَادَ بَعْدُ بَصِيرًا حِينَ هَبَّ لَـــــهُ نَسِيمُ نَشْرِ القَمِيصِ الطَيّـــــبِ الأَرَجِ[1]

و الشكر و الثناء و الحمد هو شكل من أشكال الدعاء الطلبي غير المباشر،و هو اعتراف بكرم الله على عباده و يقول كذلك في موطن آخر يطلب الاستغفار معترفا بتقصيره:

[1] ينظر عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق :362.

مِنِي الإِسَاءَةُ و الإِحْسَانُ مِنـْـــــــــكَ مِنِّي الذُنُوبُ و كُلّ الفَضْلِ مِنْكَ رَجِـــي

كَمْ وَجَدْتُ بالفَضْلِ و الإِحْسَان مِنْكَ وَ كَم سَتَرْتَ بالفَضْلِ مِنْ أَفْعَالي السَمَـــح[1]

خصائص شعر الدعاء :

*تجربة دينية و لحظة اتصال بين الإنسان و ربه متأثرين بما جاء به القرآن و الحديث و أقوال الشعراء و من أقوال أبي حمو موسى الزياني في هذا الشأن:

يَا مَنْ يُجِيبُ نِدَا المُضْطَرُّ فِي الدّيجِ وَ يَكْشِفُت الضُرَّ عِنْدَ الضّيقِ وَ الهَوَجِ.

وهذا البيت مأخوذ من قوله تعالى:"**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذاَ دَعَاهُ و يَكْشِفُ السُّوءَ و يُعْطِيكُم خَلْفاَء الأَرْض**..."* ونسج على منواله ابن مرزوق قائلا:

مُمِيتٌ بَعْدَ الحَـــــــيَاةِ وَ مُنْشِئُ العِظَامِ و مُحْيِ الرّمَم

*الإكثار من الأمر و النهي لأن العلاقة بين الداعي و المدعو قائمة على الطلب:تدل على حاجة الإنسان إلى ربه كاشفا عن خضوعه و انكساره و رجائه ،و يقول أبو حمو في هذا الشأن موظفا فعل الأمر"أَنلْني":

يَا رَبّ أَنِلْنِي مِنْكَ رِضَى فَرِضَاكَ الفَوْزُ نْغتَنَـــــــــــم.[2]

*توظيف التكرار و المحسنات البديعية:للإلحاح على الشيء و الارتقاء بالعواطف لمخاطبة ربه يدفع الداعي إلى الإكثار من المحسنات و التأكيد، فيصرف النظر عما يلهيه عن الاتصال، و يقول أبو حمو موسى:

---

[1]- عبد الحميد حاجيات ،المرجع السابق:342.

2- ينظر مسعود الحزازي،نصوص الدعاء في الشعر الجزائري القديم دراسة فنية ،مجلة الوحات للبحوث والدراسات ـالعدد16،الجزائر، 2012 :73.

مِنِي الإِسَاءَةُ وَ الإِحْسَانَ مِنْكَ بَدَا مِنّي الذُّنُوبَ وَ كُلُّ الفَضْلِ مِنْكَ رَجّي[1]

فكررت كلمة مني و الطباق موجود بين الإساءة و الإحسان بالإضافةإلى جزالة الألفاظ و العبارات و قوتها و كثرة التشبيهات البليغة و الاستعارات مثلما ما جاء في قول أبا حمو موسى مناجيا ربه:

أَنْتَ مَلاَذِي و الأَنَامُ بِمَعْزِلِ وَ هَلْ مُسْتَحِيلٌ فِي الرَّجَاءِ كَوَاجبِ

ففي البيت تشبيه بليغ يصف خالقه بالملجأ الّذي يأوي إليه و يحقق له الأمن و الأمان،و لا يخفى على أحد الأثر البالغ الذي يتركه التشبيه في النفس،إذ بين أن الأمن لا يتحقق إلا إذا فوض أمره لله.

و من الاستعارات المكنية التي جاءت في قول ابن مرزوق:

وَ قَدْ جَاءَ أَنّ البَلاَ وَ المِحـــنَ يُنِيلاَن فَضْلَ الثَّوَاب الأَعـــمَّ

و أَنَّهُمَا يَمْحُوَان الذّنـــــوبَ و أَنّهُمَا يُجْزِلاَن القِسَـــــــمَ[2]

فقد صور البلاء و المحن شخصا يمنح الثواب و يمحو الذنب و يجزل العطاء فجاءت عذبة على سبيل الاستعارة المكنية فحدف المشبه به (الإنسان)و أشار إلى لازم من لوازمه ينحو ليبين حال الداعي المبتلي الصابر على البلاء و الغرض منها، إبراز ما للصبر حسنات.

*و شعر الدعاء لم يخرج عن النسق التقليدي في موسيقى الشعر إلا بعض مظاهر التجديد الذي فرضته الموشحات و الأزجال،فاعتمد شعر الدعاء على البحور المتداولة و خاصة البسيط و الكامل والوافر،لأنّها تناسب الوضعية النفسية التي يكون عليها الشاعر لغرض تمديد الاتصال بالخالق[3].

2- مسعود الحزازي، المرجع السابق:77.
*سورة النمل الآية 62.
[2]- ينظر مسعود الحزازي ،المرجع السابق:79.
[3]- ينظر المرجع نفسه :80.

*استحضار النمط الصوتي الجميل:حتى تستعذبه الأذن و هذا ما نجده في جيمية أبوحمو موسى الزياني:

يَا مَنْ يُجِيبُ يَدَا المُضْطَر فِي الدّيَج و يَكْشِفُ الضُرّ عِنْدَ الضَّيْقِ و الهَوَجِ[1]

و يبقى شعر الدعاء فنا فيه الكثير من الجلال و الأدب لاختصاصه بمخاطبة الله تعالى.

4-شعر المولديات:يهتم هذا الشعر بمدح الرسول صلى الله عليه و سلم و ذكر مناقبه و إحياء سنته في ليلة ميلاده، وقد برز أبو حمو موسى الزياني في هذا الشأن و أولى عناية كبيرة بالاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف شأنه في ذلك الشأن بني الأحمر بالأندلس ،و شعر المولديات راعى في هيكله العام التقاليد الفنية الموروثة في بناء القصيدة العربية المركبة ،و ساعدت وحدة المشاعر على ترابط أجزاء القصيدة فالعواطف الجياشة و المكابدات الوجدانية هي أساس الخطاب الشعري المولدي و هي أشبه بتجربة الحب العذري يرسم فيها الشاعر شوقه ومحبته و معاناته و غربته وحرمانه من الرسول صلى الله عليه و سلم و يقول أبو حمو موسى في هذا الشأن:

فَمَالِي عَلَى هَجْرِ مَنْ قَـــــدْرِهِ فَقَدْ آذَ جِسْمِي و أَفْنَى القُلُوبَــا

وَقَفْتُ رَجَائِي بِكُم فارْحمُـــــوا وُقُوفِي عَلَى بَابِكُم مُسْتَرِيبـــــــا

غَرِيب فَرِيدُ أَنَا بَيْنَكُـــــــــم و حَاشَاكُم تُفْرِدونَ الغَرِيبَـــــــا

و مَالِي ذَنْبٌ سِوَى حُبــّــكُم وَ تَا الله عَنْ حُبِكُم لَنْ أتُوبَـــــا[2]

[1]- مسعود الحزازي ،المرجع السابق:81.
[2]- ينظر حاجيات عبد الحميد،المرجع السابق:366.

و من مظاهر التشابه بين الحب العذري و بين الحب المحمدي هو العاطفة و الحب الصادق و يعترف في قوله:**لا تَنْكِروا حَالَ قَيْسٍ فِي مَحَـبَّتِه إنّ الهَوَى لَمْ يَزَلْ لِلْحرّ مُنْتَسَبــَا**[1]

فشاعرنا يتخذ من رسولنا صلى الله عليه و سلم حبيبا يناجيه و يخاطبه ليكون عاشقا و الرسول معشوقا

كمايتحدث في موطن آخر عن يأسه و سقمه قائلا:

كَمْ نَفحْة بَعْدَ قَطْعِ اليَأْسِ نَافِحَة تَهْدِي لَنَا عَاطِرا مِنْ ثغْرَةشنِبـــــــَا

و كَمْ أُعْلَلُ قَلْبِي بَعْدَ فُرْقَتِهِـــــــم إنّ تُعْلّل لِلْأَحْبَابِ فِيهْ نَبـــــــــــا

وَ قَدْ تَعَلَمْتٌ مِنْ حُبِي لَهُـــــــــم وَ خَيْل رَاحَتنَا تَجْري بِنَاخِبنَـــــــــــا[2]

فالعلاقة بين المحبوب و المحب علاقة انفصال و غياب و هي علاقة يرفضها المحب،لأنّ المحبة جزء من إيمانه وقد اتخذ موضوع الحب المحمدي في المولديات عدة مظاهر تتمثل فيمايلي:

*مظهر العذاب النفسي كما في قول أبي حمو الزياني:

وَ قُلْ ذَلِكَ المُضْنَي المُعَذَّب بالْهَوَى يَمُوتُ وَيَحْيَا فارْثِ لِلْمَيّتِ الحَيّ

و بُثّ لَهُم وَجْدِي وَ فرْطَ صَبَــابَتِي وَ رَوّوا حَدِيثِي فَهُوَ أَغْرَب مَرْوي[3]

*مظهر التجلد و الصبر على المحبة دلالة على صدق التجربة الغرامية يتجلى في قوله:

أُهِيمُ بِمَغْنَاكُم و أَنْدب رَبْعَكم وَ يَشْتَاقُكُم قَلْبِي مَسَاءَ صَبَاحـــا

---

[1]- المرجع نفسه:373.

1- خميس رضا ،بنية المولديات في شعر أبي حمو موسى الزياني الثاني،تحت إشراف حبار مختار ،مذكر ماجستير في الأدب الجزائري القديم ،كلية الآداب والفنون ،جامعة وهران:23.

[3]- ينظر عبد الحميد حاجيات ،المرجع السابق:387.

أُكَافِحُ دَهْرِي بالتَجّلد فِيكُـمُ و أُفْنِي زَمَانِي بالغَرَام كِفَاحـــــــا[1]

*مظهر التحية بحب الحبيب دلالة على على صدق المحبة يقول:

سَعْدٌ و بُعْدٌ وَ أَشْوَاقٌ تُلاَ زِمُنّي وَ كُلّهَا لِعَذَابِي قَدْ غَدَا سَبَبَـــا

أُكَابِدُ اللّيْلَ بالتَسْهِيد مُفْتَكِـرا و لا أُبَالِي بِهِ إِنْ طَالَ أَوْ قُرَبــَا[2]

*مظهر التذلل و استعطاف الحبيب استجداء لشفقته و رحمته حيث يعترف الشاعر بمرارة الانفصال،يقول:

وَ قُلْ لَهُمْ يَرْحَمُون المُحِــبّ فَمَا أَخْتَارُ غَيْرَهُم مَطْلبــَا[3]

و عليه نّ موضوع الحب المحمدي في المولديات يتشابه مع مواضيع الحب العذري من خلال تحدث الشاعر عن محبوبته فيشكو إليه لوعة الفراق و الشوق و الوصال،و لكن المحبوب في شعر المولديات هو النبي صلى الله عليه و سلم –لم يجد شاعرنا المحب ما يهديه إياه في عيد ميلاده سوى التعبير عن محبته،هذا التعبير يؤججه الإيمان و تؤرقه علاقة البعد و الغياب[4].

5. المدح:تمجيد الملوك والخاصة من الناس ومدحهم عادة قديمة، لا تخلو منه أي حضارة ،تعود جذوره إلى العصر الجاهلي ووصل إلى ذروته في العصر العباسي مع المتنبي وأبي تمام في المشرق إلا أنّه تسلل إلى بلاد المغرب مع جموع المسلمين الوافدين إليه وبخاصة مع التوافد الجماعي للأسر الأندلسية ولجوئها إلى المدن المغربية بعد نكبتها ،مما أدى إلى حدوث تلاقح بين القرائح والمواهب،فظهر بأبهى حلله في العصر الزياني ووجد لنفسه مكانا بالرغم من كثرة الحروب والصراعات، لأن كان من طبيعة

[1]- عبد الحميد حاجيات ،المرجع السابق:353.
[2]- المرجع نفسه:372.
[3]- ينظر في خميس رضا،المرجع السابق25.
[4]- المرجع نفسه:26.

ملوك بني زيّان استقطاب الأدباء والشعراء من كل وصوب وإدراجهم في المجالس العلمية، مما أدى إلى اشتداد المنافسة بينهم وهذا يتضح من خلال استحضار بعض النماذج نذكرمنهم ابن خميس الّذي كان يغمراسن معجبا بقصائده، الذي يقف شاكرا ومادحا آل زيان في:

أَرَّقَ عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أَثـــــــالْ كَأَنَّهُ فِي جُنْحِ لَيْلِي ذُبَـــــــــالْ

أَثَارَ شَوْقا فِي صَمِيمِ الحَشـــى وعبرتي فِي صَحْنِ خَدّي أَســـال

هُمْ خَوّفُوا الدَّهْرَ وهُمْ خَفَّفــوا عَلَى بَنِي الدُّنْيَا خُطَاه الثّقَـــال[1]

أَلْفَيْتُ مِنْ عَامِرهم سَيـّـــــدًا غَمْر ردَاء الحَمْد جَمّ النـّــوال

وكَعْبَةً للْجُودِمنْصوبـــــــــةً يَسْعَى إِلَيْهَا النّاسُ فِي كُلّ حَــال

خَذْها أَبَا زَيّان مِنْ شَاعِـــــــرٍ مُسْتَعذَب النَزْعة حُلو المَقـــَال

يَلتقطُ الأَلْفاظ لَفْظَ النُّـــــــوَى ويَنْظمُ الآلاء نَظْم الّـــــــلآل[2]

6. **شعر الطبيعة**:ارتبط الشاعر منذ العصر الجاهلي ببيئته فراح يصور كل ما وقعت عليه عيناه كأنّه رسام ينسج لنا لوحة فنية وسار على دأبه من جاء بعده فتغنوا بجمال الخالق واستنطقوا الجماد ووصفوا البساتين والرياض والبرك وبخاصة في العصر العباسي، كتلك القصيدة التي جاء بها البحتري في وصف بركة المتوكل والتي مطلعها:

يَا مَنْ رَأَى البِرْكَة الحَسْناء رُؤْيتـها والآنِسَات إِذَا لاَحَتْ مَغَانِيـها

بحَسْبها أنّها فِي فَضْلِ رُتْبَتِـــها تُعَدُ وَاحِدة والبَحْر ثَانِيـــــهَا[1]

---

[1]- خميس رضا ، المرجعالسابق:26.
[2]- المنتخب النفيس من شعر ابن الخميس:114.

ولكن البيئة المغاربية هي الأخرى كان لها عشاقها الذين تعلقوابجمالها واندمجوا فيها ، على نحو صنيع ابن خفاجه في وصف الجبل: **وأَرْعَنَ طَمّاحِ الذُّؤَابة بــَاذِخ يُطَاوِل أَعْنَان السّمَاءِ بِغَــارِبِ**[2]

و تسلل هذا الغرض إلى البلاط الزياني فراح شعراؤه يصفون جمال الطبيعة، كتلك القصيدة التي قالها التلاليسي في وصف منتزهات باب الجياد وما كان يحيط بها من حدائق:

وبرُوجٍ مُشَيدّات المبَــانِي بَادِيَات السّنَى كَشُهْب بَــوَادِ

رَقّ فِيهَا النَيب مِثْلَ نَسِيبِــي وَصَفَا النّهْر مِثْلَ صَفْــو وَدادِي

وانبرى كُلّ جَدْوَل جــَدْوَلٍ كُحُسَام عَار الغِمْد سُنْدُسِيّ النّجادِ

وظِلاَلُ الغُصُون تَكْتُبُ فِيــهِ أَحْرفًا سُطّرتْ بِغَيْرِ مِــــــــدَادِ[3]

فيعبر الشاعر بوصفه عن حالة الذوبان الوجداني في الطبيعة ويعكس لنا نفسيته وشعوره إزاء هذا الجمال كتلك الأشعار التي كانت تنقل لنا انهمار الماء من أعالي الوريط لحظات من الذهول والذوبان في سحر المكان ،فلم يخلو شعرهم من تصوير اختلاجات نفوسهم نحوها وانجذاب عواطفهم إليها وشغفهم بمحاسنها،ولاننسى القيمة التاريخية والفنية لهذا الشعر الذي عن طريقه يمكن الوقوف على الرقي والبذخ الذي كانت تنعم فيه الحضارة الزيانية.

7. **فن الموشحات والأجال**:عرفها ابن خلدون فقال:" **وأما عن أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا**

---

[1]- البحتري أبو عبادة ،الديوان ،تحقيق حسن كامل الصيرفي،دار المعارف ،ط3،مصر 2001 ،5 :2416.
[2]- ابن خفاجه إبراهيم بن أبي الفتح ،الديوان، دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان:215.
[3]- ينظر محمد الطّمار،المرجع السابق:164,

سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا[1] **،يكثرون من أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا ويلتزمون عند القوافي في تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة نوأكثر ماتنتهي إلى سبعة أبيات،ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، ينسبون ويمدحون كما في القصائد، وتجاروا في ذلك إلى الغاية واستطرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقته،وكان المخترع له بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريري".**[2]

مكوناتها: تتألف من أقفال وأبيات ،فالقفل هو ماتفق وزنا وأجزاء وقافية،والأبيات هي ما اتفقت وزنا وأجزاء واختلفت قافية،والأندلسيون لم يلتزموا في الموشح بقافية واحدة أووزن واحد،فتارة يوافق الأوزان العربية وتارة يخالفها،وكان في أول الأمر ينظم للغناء والطرب والترفيه وكل ما يتصل بالمعاني الوجدانية ؛ولكن فيما بعد شاع نظمه في أغراض أخرى كالفخر والمدح والرثاء الهجاء والتهنئة والوعظ....[3].

وإثرنزوح أهل الأندلس إلى تلمسان تأثر الزيانيون بالموشحات وأعجبوا بها فراحوا ينظمون على منوالها وخاصة بعد انتشار المدائح النبوية وتسرب التصوف إلى الأدب الزياني ومن شعرائها:

*. **التلاليسي**:أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة ،طبيب السلطان أبوحمي موسى الزياني الثاني، امتاز ببراعته في قرض القصائد التي كان ينظمها في المناسبات كمثل الموشحة الّتي قالهافي المولد[4]:

---

[1]- ابن خلدون،العبر ،1 :817

[2]-المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3]- ينظر محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري:123.

[4]- محمد الطمار ،المرجع السابق:187.

لِي الدَّمْعُ هـَـــــــــتّان يَنْهَلُ مِثْلَ الـــــــــــدّرَرْ

قَدْ صَرّ الأَجْـــــــــفَانَ مَا آنَ لَهَا مِنْ أَثَـــــــــــرْ

حَقا لَهُ يَجْـــــــــرِي دَمًا عَلَى طُولِ الـــــــــدَّوَامْ

مُنْجِد فِي السّـــــــــيرِ نَاس إِلَى خَيْرِ الأَنَـــــــــام

وعَاقـــــــــني وِزْرِي ياصَاحّ عَنْ ذَلِك المَقـَـــــام

وشَارَتْ الأَضْغَـــــــانُ يُحْدَى بِهَا فِي السّحـْــــــرْ. [1]

ويقول كذلك في قصر المشور مادحا السلطان أبا حمو موسى الزياني:

يَاوَيْحَ صَبّ بَانَ عَنْهُ الشّبَابَ وَأَوْدَعُوا لَهِيب وجد عِنْدَمَا وَدّعـُـــــوا

أَوْدَى بِه الوَجْد وفَرْطُ الجَوَى

وهد مِنْهُ السَبب كُلّ القوى

ولابه ممّا اعتـــــــراه دَوَا[2].

* **أبو عبد الله محمد بن البناء** (ت608)يقول:

مَن اطلع فَوْقَ مَايْس الرّيحَان بَدْر الأُفـُــــــــــــق

يَهْتَز منعما عَلَى الكُثبـَــان تَحْت الغســــــــــــقْ

[1]- ينظر عبد العزيز الفيلالي،تلمسان في العهد الزياني ،2 :466.
[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

مَن نَمق خَده بِروض أنُـــف بَادي القـــــطـــــــــف [1]

التصوف: شهد العالم الإسلامي في مستهل القرن الثاني الهجري حركة دينية لم يعهدها المسلمون على أيام الرسول صلى الله و أصحابه،فهذا الاتجاه رأى أنصاره الدين رؤية جديدة وفهموا فهما جديدا غير مألوف، فتقربوا إلى الله على طريقتهم ،وانتشرت أفكارهم في ربوع العالم الإسلامي قاطبة،ولقد لقي أصحاب هذه الحركة جهدا و عناء كبير و وصل الخطر بهم إلى حد القتل مثل ما حدث مع الحلاج و السهروردي، ورغم الرفض إلا أن الله قدر لها أن تنتشر و تتطور و تزدهر فقعدت مبادئها وأسست أصولها وأرست أقطابها فذاعت في ربوع العالم الإسلامي كأي دعوة أو فكرة أو فلسفة إنها الحركة الصوفية التي كان من أبرز مشايخها و أقطابها في شمال إفريقيا القطب الربّاني سيدي أبو مدين شعيب ابن الحسين الأندلسي.

1-**تعريف الشعر الصوفي** :شعر أفاضه الله على قلوب أوليائه ،و تجلى به على قلوبهم بالأسرار العرفانية ، وبأسمائه وصفاته، فظهرت لهم مكنونات الأسرار الربانية ، وأنعم عليهم بحمل آلائه وخفايا نعمائه،ففاضت تلك الأنوار على ألسنتهم شعرا رقيقا،عبروا به بلغتهم الخاصة عن وجدانهم ومواجيعهم وعن هيامهم وفنائهم،فهم بين الخوف و الرجاء و القبض و البسط،فهجروا الأوطان ، استوحشوا ذلك للاستئناس بمخلوقهم،[2]و لو لا هذا الشعر الروحي لفقد الشعر العربي جزء مهما من أجزائه لما يتضمنه من رموز و إشارات وحكم،و هو جميل في عباراته مشرق في أسلوبه و أفكاره،عبروا في قصائدهم عن أذواقهم و أحوالهم وأشواقهم و اختلفت فلسفتهم في الحب على اختلاف مراتبه و تجلياته،و عبروا فيها

[1]- عبد العزيز الفيلالي ، المرجع السابق:466.

[2] 1 - ينظر رضوان محمد سعيد عجاج إيزولي ،تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي ،أبو مدين التلمساني أنموذجا ،مجلة إكاف ،2013، :244.

عن حبهم بلغة ظاهرها حب معلوم و باطنها حب خاص حملوه على مقصدهم ومصطلحهم لتصبح لغة خاصة بهم، وكان لشعر الخمرة حضور قوي في الشعر الصوفي مترجمين تلك اللغة التي اعتمدوها إلى لغة روحية يصورون مشاعرهم و أخيلتهم و لا يعرف هذه اللغة إلا من خاض هذه التجربة الصوفية و عليه فالعلاقة بين الصوفي و العذري هي علاقة مشابهة في الإخلاص والتوجه إلى المحبوب،فكلاهما يصل إلى درجة الفناء في محبوبه، وكلاهما نهج النهج نفسه.[1]

2-**تعريف أبي مدين شعيب**:علم من أعلام الصوفي و قطب من الأقطاب الربانية،عرف بسلطان الوارثين،و شيخ الصديقين، الوارع،العارف الزاهد التقي النقي،[2]،أصله من الأندلس أقام بفاس وسكن بجاية وعرف بكثرة أتباعه حتى خافه السلطان"أبو يوسف يعقوب المنصور"،و تلقى أبو مدين علمه عن الشيخ الفقيه علي بن حرزهم توفي سنة (559هـ/1164م) و كان آخر كلامه "الله حي"ثم فاضت نفسه.[3]

تخرج على يده مئات الشيوخ و العلماء وله الفضل في نشر التصوف في شمال إفريقيا و إليه تعود جذور الطريقة الشاذلية،و قال الغبريني عنه:"استمر به المقام في بجاية و كانت حالته تزداد سموا ورفعة و يرد عليه طلاب العلم من كل حدب و صوب،و عدَّ من جملة علمائها كبار فقهائها وأئمتها،مهيبا،معظما مكرما،مشهودا له بالخير،و كان أهل زمانه عموما وسكان بجاية خصوصا يعتقدون أن كل من قرأ عليه ساد و نبغ في العلوم،و انساق إليه العلم والجاه والنعمة و الثناء،و كان

[1] - رضوان محمد سعيد ،المرجع السابق:248.
[2] - عبد الله بن عبد القادر النليدي ، المطرب بمشاهير أولياء المغرب،3، دار الأمان للنشر والتوزيع ودار البشائر الإسلامية ،الرباط،ط،2003 :64.
1- ابن قنفد أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ،الوفيات معجم زمني للصحابة والأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة11-807هـ،حققه وعلق عليه عادل نويهض ،دار الأفاق،بيروت، 1983 :283

الآباء يوجهون أبناءهم لحضور مجلسه والاقتباس من معارفه و أسراره فظهرفضله على كثير من الناس".[1]

الحب الإلهي عند أبي مدين:

خاض أبو مدين التجربة الصوفية و تعلق بالذات الإلهية تعلقا أفناه عما سواه،و صعقته تجليات الذات فتراه لا يتصور حياة دون مطالعة أنواره و استشراق عرفانه و دوام اتصاله،فالبعد موت والقرب حياة فهو لا يمكنه أن يتخيل لحظة غياب أنوار الذات التي يراها،هي رؤية متواصلة في منامه ليلا، وفي قلبه نهارا،ولو لا تلك المشاهدات التي يعيشها الشاعر لمات اشتياقا.

و ذكر الحبيب يصيبه بالرعدة و الاهتزاز و عدم الاستقرار لعدم القدرة على التحمل[2]،تعبيرا عن وجده قال أبو مدين شعيب في هذا الشأن:

تَضِيقُ بِنَا الدُنْيَا إذَا غِبْتُمُ عَنـّـــــا و تَذْهَبُ بِالأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَا مِنَّـــــــا

فَبُعْدُكُمْ مَوْتٌ وَ قُرْبُكُمْ حَيَـــــــا فَإنْ غِبْتُمُوا عَنَّا و لَوْ نَفَسًا مِتْنَـــــــا

نَمُوتُ بِبُعْدِكُمُ وَ نَحيْـَا بِقُرْبِكُّـــــمُ وَ إِنْ جَاءَنَا عَنْكُم بَشِيرُ اللّقَا عِشْنَـــا

وَنَحيًا بِذِكْراكُم إذْ لَـمْ نَراكُـــــــمُ إلاَ أنّ تَذْكَار الأَحِبّة يُنْعِشُنَـــــــــا

فَلَوْلاَ مَعَانِيكُم تَرَاهَا قُلُوبُنَـــــــا إذَا نَحْنُ أيْقَاظٌ وَ فِي النَّوْمِ إنْ غِبْنَـــا

لَـمُتْنَا أَسَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَ صَبابَـــــة لَكَانَ فِي مَعْنَى مَعَانِيكُم مَعْنـًـــــــا

يُحَرِكُنَا ذِكْر الأَحَادِيثَ عَنْكُـــــم وَ لَوْلاَ هَوَاكُم فِي الحَسا مَا تَحرّكْنَـــا

1- ينظر الطاهر علاوي ،العالم الرباني،سيدي أبو مدين شعيب،ط1،دار الأمة للطباعة والنشر،الجزائر،2004 :22.

2ابن عجيبة،عبد الله أحميدي ،مهواج التشوف إلى حقائق التصوف،تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي (د.ط)مركز التراث الثقافي المغريبي،دار البيضاء:32.

فَقُلْ للّذِي يَنْهَى عَنْ الوَجْدِ أَهْلَــهُ إذَا لمْ تَذُقْ مَعْنَى شَرَابِ الهَوَى دَعْنــا[1]

فمن هذه الأبيات الشعرية يتضح مدى تعلق العاشق الوله الفاني بمحبوبه،فلا يرى في الوجود سواه فحياته بذكر محبوبه و هو غايته المطلوبة يعيش مستغرقا استغراقا تاما حتى يبقى قريبا منه على الدوام ويبقى على اتصال معه،ففي كل لحظة و كل شكل و كل حركة و سكون يرى محبوبه،و عبر أبو مدين شعيب في باب آخر عن فنائه في الذات الإلهية واصفا جمالها قائلا:

فالعَارِفُونَ فَنَوا ولَمَّا يَشْهَـــــدُوا شَيْئًا سِوَى اَلْمُتَكَبّرِ المُتَعَـــــــــالِ

وَرَأَوا سِوَاهُ عَلَى الحَقِيقَةِ هَالِكًـــا فِي الحَالِ وَ المَاضِي و الاسْتِقْبَـــالِ

تَجِدُ الجَمِيعَ يَشِيرُ نَحْوَ جَلَالـــه بِلِسَانِ حَالٍ أَوْ لِسَانِ مَقَـــــــــالِ[2]

فهو يبن لنا حنينه و شوقه لمحبوبه و عدم استقراره و هو مرض العاشق وعبّر عن هيامه في مقطع آخر:

وإنّي لَتعْرونِي لِذِكْـــــــــرَاكَ هَزّةٌ كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُور بلّلهِ القَــطَرْ

فَيَا حبّهَا زِدْنِي جَوَى كُلّ لَيْلَـــــةٍ ويَا سَلوَةَ الأَيَامِ مَوْعِدُكِ الحَشْـــرْ

فَمَا هُوَ إلاّ أَنْ أرَاهَا فُجَـــــــاءَةً فأَبْهَتْ لاَ عُرْ لَدَيّ ولا نُكْـــــرُ

تكاد يَدِي تَنْدَى إذَا مَالَمَسْتـــــهَا وتَنبُتُ فِي أَطْرَافِهاَ الوَرَقُ الخُضْــرُ[3]

ثمّ تحدث أبو مدين عن فناء الذات التي تزول من هيبة النور المتجلي قائلا:

أُحِبُّ لُقَاءَ الأَحْبَابِ فِي كُلّ سَاعَةٍ لأَنّ لِقاَ الأَحْبَابِ فِيهِ مَنافِـــــــــعُ

---

[1] - ينظر مختار حبار ،شعر أبي مدين رؤيا وتشكيل، دراسة اتحاد كتاب العرب ،دمشق:145

[2]- المرجع نفسه:114.

[3] - المرجع نفسه:64

أيَا قُرَةَ العُيُونِ تَاللهِ إنّنِـــــــــــي عَلَى عَهْدِكُم بَاقٍ وَفِي الوَصْلِ طَامِـعٌ

لَقَدْ نَبَتَتْ فِي القَلْبِ مِنْكُم مَحَبّـةٌ كَمَا نَبتَت فِي الرَاحَتَيْن الأَصَابِـــــعُ

حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي مَحَبَّةُ غَيْرِكُـــــم كَمَا حَرُمْت عَنْ مُوسَى تِلكَ المَرَاضِعُ[1]

ومن غزلياته الرائعة الّتي كانت تردد على مسامع كبار الصوفية، الّتي تفصح عن المعاناة والهيام والتيه والاكتئاب والشوق والسقم والاصفرارقوله[2]:

تَمَلَّك عَقْلِي وَطَرَفِي وَمَسْمَعِـــــي وَروحِي وَأَحْشَائِي وكُلّ بِأَجْمَعِـــــي

وتَيَهْتُمُونِي فِي بَدِيعِ جَمَالِكُـــــم وَلَمْ أَدْر فِي بحْرِ الهَوَى أنّى مَوْضِعِي

وَأَوْصَيْتُمُونِي لاَ أَبُوح بِسرّكُـــــــم فَبَاحَ بِمَا أُخْفِي تَفِيضٌ أَدْمُعِـــــــي

ولَمَا فنا صَبْرِي وَفَلَّ تَجَلُـــــــدِي فَارَقَنِي نَومِي وحُرّ مُضجَعِـــــــي [3]

فالوله يضعف المتصوف ويلجأ إلى اعتزال غامض لا وجود له في عالم المحسوسات،و نجد أبا مدين شعيب في موطن آخر يشكو آلام فراقه و التباكي عل فقد الحبيب مستوحيا ألفاظه من سورة يوسف قائلا:

لَسْتُ أَنْسَى الأَحْبَابَ مَا دُمْتُ حَيًّا مُذْ نَأْوا النَوَى مَكَانَا قَصِيًّـــــا

و تَلَوا آيَةَ الوَدَاعِ فَخَـــــــــروا خِيفْة البَين سُجّدًا وَ بَكِيًّـــــــا

و لِذِكْرَاكُم تَسيحُ دُمُوعِـــــــــي كُلّمَا اشْتَقْتُ بُكْرَةً وَ عَشِـــيًّـــا

و أُنَاجِي الإلَهَ مِنْ فَرْطِ وَجْـــــدِي كَمُنَا جَاةِ عبْدِه زَكَرِيّـــــــــــا

---

[1] مختار حبار ، المرجع السابق :46

[2] المرجع نفسه:43.

[3] المرجع نفسه والصفحة نفسها .

وهَن العَظْمُ بالبِعَادِ فَهَبْ لِـــــــي رَبّ بالتَقَرُّبِ مِنْ لَدُنْكَ وَلِيـَّـــا

و اسْتَجِب فِي الهَوى دُعائِي فَإنّـــي لَمْ أَكُنْ بالدُّعَاءِ رَبّ شَقِيَّـــــا.[1]

فهذه المقطوعة الشعرية ترسم لنا لوحة فنية مليئة بالشوق و الحزن و البكاء و الشكوى و انفطار القلب من ألم الفراق، فنجد الشاعر يتضرع بين يدي الله في جوف اللّيل طالبا الوصال، هذا ما جعله يلقب بشيخ الغرام و هو من أعلى درجات الحب و الشوق المحرق والخوف المقلق جامعا بين الشريعة و الحقيقة حتّى ملأت شهرته الآفاق.[2]

و نستنتج مما سلف أن الصوفية استفادوا من الموروث الأدبي إذ تم استحضار جميع العناصر المكونة لمشهد الرحلة العربية القديمة،إلا أنّ التجربة الصوفية على تفوقها في العمق الخيالي و الرمزي تبقى تجربة فلسفية بالدرجة الأولى حتى في تجلياتها البسيطة ذات طابع سطحي.

- **محمد بن عمر الهواري المغراوي**:استقر بوهران وانتفع منه خلق كثير لكثرة كراماته وتوفي سنة (843 هـ /1493م) وخلف مؤلفات عديدة أهمها :"السهو التنبيه للفقراء أولي الفضل النبيه" وكذلك برز تلميذه إبراهيم بن محمد التازي الذي أخذ عن كبار علماء المغرب والمشرق الإسلامي فعرف هو الآخر بزهده وانقطاعه عن زخرف الدنيا وقال في ذلك:

فَمَا الدُّنْيَا وَزَخْرَفُهَا بِشَـــيْءِ وَمَا أَيَامُهَا إلاَّ عَـــــــــوَارِ

ولَيْسَ بالعَاقِلِ مَنْ يَصْطَفِيها أَتَشْرِي الفَوزَ ويحَكَ بالتّبـــــار[3]

---

[1]- ديوان شعيب أبي مدين التلمساني ،نشره نجله محمد بن العربي،ط1،مطبعة الترقي دمشق 1938، :46

[2]- ينظر محمد بن عسكر الحسني الشفساوني،دوحة الناشر،تحقيق محمد حجي،ط3،منشورات مركز التراث الثقافي المغربي،دار البيضاء،مطبعة الكرامة ،الرباط،:120.

[3]- التنبكتي ،المصدر السابق:57.

واشتهر في هذا المجال كذلك محمد بن عمر بن شعيب المعروف بالسنوسي،عالم تلمسان وصالحها الّذي أخذ عن عدة علماء كأبي الحسن التالوتي و عبد الرحمن التعاليبي وإبراهيم التازي والقلصادي وغيرهم.[1]

الموسيقى:

اهتم الأندلسيون كذلك بالموسيقى الّتي كانت عنصرا مهما في حياتهم الاجتماعية، وبخاصة في غرناطة التي عرف سكانها بالاهتمام بالفنون الجميلة و الميل الملحوظ إلى الطرب[2]،ومما كان لهم أثر قوي في تطور الموسيقى بالدول المجاورة ، بالتحديد المغرب الأوسط بعدما هاجر إليه عدد كبير من أهل الفن لاسيما الغرناطيين الّذين أسهموا بقسط كبير في انتشاره و أصبح جزء لا يتجزأ من حياتهم[3].

فالموسيقى الأندلسية هي سليلة الحضارة لم تسلم من تقلبات التاريخ و صروف الدهر،و هي لسان معبر عن ما أنتجته تلك الحضارة متأثرة بالأحداث والمخاطر[4]،مستلهمة علومها الأولى من بلاد المشرق العربي ابتداء من القرن الأول الهجري عندما انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية و توسع في الشام والعراق ومتخذا دمشق عاصمة له ثم بغداد.

كان الطرب في أول العهد عربيا محضا لم يتدخل فيه الطرب الأجنبي، ولكن بعد احتكاكهم بالفرس تغير هذا الغناء و أخذ طابعا جديدا [5]،ثم بعد ذلك اتجهت نحو عواصم المغرب لكن عندما وصلت

---

[1]- ينظر الحنفاوي ،المرجع السابق،القسم الأول :184.

[2]- ينظر الطوخي أحمد أمين، المرجع السابق:251.

[3]- ينظر محمد بن رمضان شاوش،المرجع السابق،:172.

[4]- ينظر سيد أحمد ساري، الطرب الأندلسي(د،ط)موفم للنشر(د،ت): 17.

[5]- ينظر عبد العزيز بن عبد الجليل ،الموسيقي الأندلسية المغربية،سلسلة عالم المعرفة،الكويت، 1988 :150.

إلى الأندلس تأثرت بالبيئة المحليةو التقاليد الجديدة و تشعبت فروعها فعرفت درجات من الرقي ثمّ الانحطاط بعدما أدخل عليها البديل و التغيير فانقلبت أوضاعها و مسها ملمس الحضارة الإسلامية، غير أن هذه الموسيقى تلاشت في الأندلس مع أهلها ،ولكنها وجدت أوطانا تساعد على بقائها مع الكثير من الحزن والشجون و تأسف على ما مضى فحطت رحالها في تلمسان و الجزائر وقسنطينة وكذلك السواحل مثل مستغانم و تنس و شرشال و عنابة[1]،و مما تميزت به الموسيقى الأندلسية تفرعها بين الإمارات و الممالك مثلما تفرعت في المغرب و الجزائر وتلمسان.

و كان شمال إفريقيا بأكمله متأثرا تأثرا عميقا بالفنون الأندلسية الّتي احتلت مكانة خاصة في الثراث الجزائري ، ممزوجا بين الموسيقى البدوية والصحراوية ،و تعاطى هذا اللون العلماء و رجال التصوف جامعين بين الحس الفني و الوقار استمدوه من وضعيتهم الدينية ؛و ذلك يتضح في زيهم الذي يرتدونه الجلباب و الطربوش و البلغة في غالب الأحيان[2].

و إذا عدنا إلى كلمات هذا الفن فإننا نجدها مستمدة من القصائد الشعرية الصوفية قبل أن يصبغها روادها بألوان شعرية أخرى تستوحي مادتها من الحياة اليومية في المجتمع الجزائري الّتي امتزجت بين الموعظة و المدح و الغزل ،و يعود الفضل إلى الشيخ: "مصطفى بن عبورة*" الّذي نشرها في ندرومة .

[1]- ينظر أحمد سفطي ،دراسات في الموسيقى الجزائرية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1988 :299.

[2]- ينظر الحاج محمد بن رمضان ، المرجع السابق: 130.

يتضح مما سبق أن للموسيقى الأندلسية لها علاقة بعادات مدن المغرب القديمة ذات الصلة بالأندلسيين الذين أسسوا مدنا مزدهرة وعمروها،و تلون هذا التراث بعد مغادرتهم لبلاد هم بلون الأرض الّتي احتضنتهم فتلون باللون الشرقي في سوريا،و اللون المغربي في كل من ليبيا و تونس والمغرب والجزائر،هذا ما أدى إلى تأسيس مدرسة فنية تمارس الطرب و تنشد الأشعار ،و أصبح هناك تزاحم بين الشعبين في الإبداع الفني يلائم أذواقهم و عواطفهم ،يصفون كل ما يحيط بهم من جمال بكلام بسيط عربي المنطق و التركيب يقرب من الكلام العادي الذي يتلفظ به الشعب و أطلقوا عليه كلمة العربي ليفرقوا بينه وبين الأندلسي،و من ذلك العصر أصبح المغنون يبحثون عن شعر جديد يتناسب مع أذواقهم فظهر شعراء جزائريون مثل:"ابن مسايب"، و" ابن التريكي"،"ابن سهلة"،و" المنداسي" في تلمسان و"الشيخ بن دباح "و "الشيخ عبد القادر" في الجزائر العاصمة[1]،نتج عنه ظهور الرقص الخفيف، بشعر خفيف، جزائري اللهجة يكاد يكون شعبيا بعد ما كان يعتمد على الفصيح و ما يشبه من تراث الكلام الشعبي الأندلسي،و ظهرت أنواع بسيطة مثل الحوزي و الزجل مقابل الانقلابات المتفرعة من النوبة الأندلسية.[2]

و بقي هذا الفن على حاله طوال العهد التركي ولما احتلت فرنسا بلادنا و شرعت في القضاء على كل ما له علاقة بالشخصية الوطنية،غير أنها لم تفلح في ذلك فقد قيل :إن المطرب الجزائري" محمد المنفس "كان يعزف أربعةو عشرين نوبة حتى سنة 1887 م و هذا ما أدى إلى ظهور

[1]- ينظر أحمد سفطي،المرجع السابق:07.

[2]- ينظر محمود بوعبان ،جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982 : 88.
الحوزي:هو نوع من الغناء خاص بالفتيات والشابات يتغنى به ؛ تحمل هذه اللعبة في تلمسان اسم جغليلة،وفي الجزائر وبليدة جعلولة وأصلهما أمازيغي.

مدارس الطرب الأندلسي بالجزائر[1] التي تميزت بتنوعها و غناها الفني و تعدد أساليبها و من بين هذه المدارس :

1- **المدرسة العاصمية أو الصنعة**: التي تنحدر من قرطبة ،وهي تتسم بأسلوبها الخفيف المزيج بين القلق و الحيوية لأنها تأثرت بالتقلبات السياسية ،و من أبرز الشعراء بالجزائر العاصمة نجد" ابن دباح،" والشيخ "عبد القادر ".

2-**المدرسة التلمسانية الغرناطية**:يعد التراث الغرناطي أحد الأرصدة الأندلسية المتميزة في بلاد المغرب ؛حيث حظيت بعناية كبيرة من طرف التلمسانيين،و وجدت الموسيقى الغرناطية في هذه المدرسة أحسن ملجأ لها في هذه المدينة، امتزج الطابعها الفني بالطابع الديني و ذلك لكون الموسيقى الأندلسية التلمسانية تتصف بالأبهة و الرونق و الرصانة.[2]

من أبرز شعراء تلمسان الذين تغنوا بالشعرالملحون "ابن التريكي" ومن أشهر نصوصه مثل ما جاء في قوله :

شَعْلَتْ نِيـرَانَ اكْبَـــادِي وَ اعْيِيتْ مَا نَبْكِي مَا نْفَعْنِي نـْــوَاحْ

طَابُوا بالدّمْع اثْمَـــــادِي لوْ صَبْت انْزور مْقَامْ رَاحْتِي نْسْتـــــرَاح

صَلّى الله اعْـلى الهَادِي[3]

لُو صَبْتَ انْزُورَ امقَامْ ذَاتْ بَدْرَ التْمَـــامْ يَتْفَاجَى كُلّ اغْيَام يَنْجَلاَ وَا الهْمُـــــومْ

[1]- ينظر أحمد سفطي،المرجع السابق: 279.

[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[3]- ديوان أحمد بن تريكي، جمع وتحقيق عبد القادر زريوح،نشر ابن خلدون تلمسان،الجزائر:29.

هَذَا لِي كَمْ مَنْ عَامْ ازْهَى لِي مْنَـــــــامْ مَتْولّعْ بَامّ اعْلاَمْ مَنْ اقْبَل إلاّنْصُـــومْ

بَتْيُوتْ كُحْل اظْلامْ فَايْتِين الحْـــزامْ حَتّى وَصْلُو الأَقدَامْ سَعْدْ مَنْ شَافْهُـــــمْ

زَنْجِي فَاتَ الفَرْصَـــــــــــادِي تَسْحَرْ باعْيُونَ امْذْبْلِينْ دُعْجَ اوْقَـــاحْ

وَ العُزّةَ يَاتَنْهَـــــــــــــادِي مَنْ ذَاكَ الحُسْنَ ايْبَانَ عَلَى الخْلاَيَقَ اصْيَاح

صَلّى الله اعْلَى الهَادِي[1]

مَنْ ذَاكَ الحُسْنَ ايْبـــــَـــانْ حَاجَبَ اعْلى الاعْيـــــــــان

و اشْفَرْ هَنْدِي فَتـــّـــــانْ يَسْحَر النّاظْرِيـــــــــنْ

وَ اخْدُّو دَامَنْ الجْمـــَـــانْ رُوسْهُم بُرْهْمَـــــــــــانْ

وَ الوَرْدْ أوْ بَنَعْمَـــــــانْ بِينْهُم فَاتْحِيـــــــــــن

يَظْهَرْ مَنّو لْحَـــــــاحْ فَالْمْسَا و الصْبـــَـــــــاحْ

وازانُوا خَالَـــــقْ الأرْوَاحْ فالصْدَرْ مَا امْلْحـُــــــــو

صْدّيتَ ابْقَطَرْ اعْـــــــدَادِي شلاّ يَحْصِيوا اعْقُولْ مَنْ امْعَانِي رْجَاحْ

تَاجْ امْرَصّعْ وَ قـّـــــــادِي لَبْسَتْ فُوْقُو حُلّة تْحَيّر فِيهَا اللْمَـــاحْ

صَلّى الله اعْلَى الهَادِي[1]

[1]- أحمد بن تريكي، المرجع السابق:30

كما ظهرت مدرسة أخرى ، هي مدرسة"قسنطينة أو المالوف" التي يرجع أصلها إلى مدينة إشبيلية حيث أخذ العثمانيون عنهم موسيقاهم و طريقة غنائهم وهي متيزة بأسلوبأخف و أسرع[2].ولقد كان لوجود طبقة من الهواة و عشاق الموسيقى دور أساس في إنعاش الحركة الموسيقية و تشجيع الموسيقيين على الإبداع في العزف و الأداء[3].

2- الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان:

استطاع الفن الأندلسي، نتيجة الازدهار الثقافي الذي عرفته الحضارة الإسلامية أن يحتل مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي و ذلك راجع لبراعته و دقته،و أصبح يعطينا صورة تعكس لنا الوضع الاجتماعي في العصور الوسطى،و ما امتاز به المجتمع من حضارة وإبداع في جميع المجالات،وقد تميزت مدرسة تلمسان بحيويتها وطابعها الأصيل[4].

تعريف الطرب الغرناطي:هو نوع من الموسيقى يعتمد على مفهوم النوبة و على مجموعة من المصطلحات تشترك فيها أنماط الموسيقى الأندلسية و المغربية عموما.و يبلغ الرصيد اثني عشر نوبة كاملة تسمى إيقاعات خاصة أوانقلابات و هي مقطوعة اختيارية تعزف على إيقاع ازدواجي، يلي ذلك المصدر ثم الانصراف أو ما يعرف ب "Allegro" في الموسيقى الكلاسيكية.

---

[1]- أحمد بن التريكي ، المرجع السابق:31.

[2]- ينظر ابن السنوسي كمال،الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان ،الشيخ ابن صاري أنموذجا،(د،ط)،مرفم للنشر ،الجزائر:2011:35.

[3]- المرجع نفسه:35.

[4]- ينظر ابن السنوسي كمال،المرجع السابق:39.

أما النوبة فهي نوع من التأليف الموسيقى، يتناوب فيه الأداء الغنائي و الأداء الآلي، و يتألف من سلسلة من الألحان متتابعة،بعضها مقرون بأقاويل شعرية و بعضها آلي بحت[1].

و لاتزال البلدان المغربية تحافظ على هذا الإصلاح في سلسلة من الموسيقى بعضها غنائي يدعى القول بعضها آلي يدعى الجواب مع التمييز بين الإيقاعات و الأنغام.

النوبة تختلف تسميتها ففي الجزائر تسمى الصنعة و في تونس و قسنطينة تسمى المالوف و في المغرب و تلمسان تسمى الغرناطي،و هي موشحات أو أزجال من نظم وشاحي و زجالي الأندلس.

و الموسيقى الغرناطية يغلب عليها الطابع الأندلسي المحض لكونها كانت سائدة في بلاد الأندلس وبخاصة مدينة غرناطة التي تنسب إليها و احتفظت بهذه التسمية في تلمسان لكونها ورثت الغناء الغرناطي في وقت الاستقرارها وهنائها.

3- انتقال الطرب الغرناطي إلى مدينة تلمسان:

كان لسقوط غرناطة أثر كبير في ازدهار الحياة الثقافية في بلاد المغرب هذا ما جعل تلمسان مركزا ثقافيا مهما بفضل تدفق عدد هائل من الأندلسيين الذين استقروا بها بعد فقدانهم لأرضهم في الأندلس.و كان لهم دور كبير في تطوير الفن الجزائري خاصة الموسيقى،فتوافدوا على مدينة تلمسان

[1]-يوسف انطوان عكاري،الموسوعة الموسيقية الشاملة ج1،ط3،دار الفكر اللبناني،بيروت،1944 :102.

التي استمرت إلى غاية سنة 1610م،و أحسن التلمسانيون في استقبال هؤلاء المهاجرين و أصبحوا يكونون العنصر الثاني للسكان،و كان لهم أكثر في الحياة الفنية خاصة في الموسيقى الغرناطية[1].

أما العامل الثاني و هي الصلة المتينة بين تلمسان و الأندلس،وكذا جمالها الطبيعي جعل الكثير من الفنانين يلجؤون إليها،و هذا ما أشار إليه ابن خلدون فقال" ...عروس فوق المنصة و الشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين تطل منه على فحص" [2].

4- **الآلات الموسيقية المستعملة في الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان:**من أهم الآلات الموسيقية المستعملة في الطرب الغرناطي:

آلة العود: و هي من أقدم الآلات الموسيقية العربية التي عرفها و عزف عليها العرب و تمتد جذوره إلى الألفية الثانية قبل الميلاد في حضارة ما بين النهرين و كان مصنوعا من الجلد وأماالعود العربي فقد صنع من الخشب ومن هنا جاء اسم العود ،وامتص الخشب صوته من تغريد بعض الطيور التي وقفت على غصنه، وقد حافظ العود العربي في المغرب على أقدم خصائص الآلية الأصلية و من أشهر العازفين التلمسانيين على آلة العود: الشيخ "عمر بخشي"و الشيخ "عبد الكريم دالي" والشيخ "رضوان بن صاري" وغيرهم.[3]

5-**آلة الكمان** (**الكمنجة**):و هي آلة وترية تعزف بالقوس، وضعها الافرنج في الصف الأول في ترتيب الآلات و لقبوها بسلطانة الموسيقى،و اخترعت في أوروبا قبل نهاية القرن السادس عشر

[1]-ينظر عبد الله حمادي أندلسيات غرناطةو الشعر،منشورات جامعة منتوري،الجزائر،2004 :18.

[2]-يحي ابن خلدون،المصدر السابق :18.

[3]- ينظر إبراهيم بحلول ،الآلات الموسيقية التقليدية في الجزائر،دار الخلدونية،الجزائر،2007 : 16.

الميلادي،و أساس آلة الكمان هي آلة الرباب العربية التي انتقلت مع العرب إلى الأندلس و تقدمت هذه الآلة بفضل العرب ومن أبرز العازفين الماهرين على هذه الآلة الشيخ "محمد بن علي سفينجة" والشيخ" بن تفاحي" [1].

6-**آلة الماندلين**:هي آلة موسيقية وترية ذات رقبة نحيفة متصلةبجسم كمثري الشكل يشبه آلة العود،ظهرت في جنوب أوروبا في القرن الخامس عشر،أما المندلين الشعبي الجزائري فهو عمل مشترك بين الحاج" محمد العنقة . رحمه الله . (1907-1978)أحد رواد الأغنية الشعبية الجزائرية.

7-**آلة الطار**:فهو الدف المستدير يتكون من الغشاء الواحد و الصفائح المعدنية ،يحتوي إطاره الخشبي على خمس حزوز علق في كل حزة زوجان من الصنوج الصغيرة المعدنية من النحاس،و هو من أصل فارسي استخدم مبكر ا في آسيا الكبرى ثم أدخل إلى المغرب الأوسط عن طريق الأندلسيين المطرودين[2].

8-**آلة الدربوكة**:آلة ذات غشاء مصوت، على شكل مزهرية أو قدح، يشد عليه جلد ماعز،تلصق جوانبه بواسطة غراء ورباط تصنع بمواد متنوعة من الطين أ و الحديد أو الخشب[3]،و هي أكثر انتشارا في العا لم العربي.

5-**أهم شيوخ الطرب في تلمسان**:أسهم عدد كبير من الأساتذة في تنمية الموسيقى الغرناطية بتلمسان، ومن الذين مارسوه،و أضافوا إليه ابتكارات:

---

[1]- ينظر يوسف عبدأنطوان عكاري، المرجع السابق:166.

[2]- ينظر إبراهيم بهلول، المرجع السابق:28.

[3]- ينظر بن سنوسي كمال، المرجع السابق:102.

1-**الشيخ العربي بن صاري**:ولد الحاج العربي بن صاري سنة 1872م في ضواحي تلمسان، ترعرع في أسرة محافظة،حفظ القرآن الكريم و هو صغير،عاش فقيرا،عمل عند حلاق كان من أكبر هواة الموسيقى الأندلسية و كان يجتمع عنده في حلاقته عدد كبير من المشايخ الكبار المولوعين بالموسيقى التقليدية منهم: "مقشيش" و "المنور"،فأخذ عنه أصول هذه الموسيقى و حفظ عنها كثير،و ما ساعده كذلك استعداده الفطري بحيث كان قوي الذاكرة و عبقريا مولعا بالآلات الموسيقية و يتضح ذلك في صنع آلة القبري و هي آلة وترية تقليدية خاصة بشعب زنوج المغرب العربي قناوي".

و قد اتقن العزف على الآلات الموسيقية مظهرا براعته في العزف هذا ماساعده على الانضمام إلى كبار الشيوخ المشهورين في تلمسان إلى أن توفي يوم 24 ديسمبر 1964م،و فقدت الساحة الغنائية الأندلسيةعميدها عن عمر ناهز 92 سنة[1].

2-**الشيخ عمر بخشي**:ولد سنة 1884 بتلمسان،تتلمذ على يد أساتذة كبار و من بينهم" الشيخ الغرمولي"، اعتبر من كبار الموسقيين الأندلسيين بتلمسان وأثبت مهارته في العزف خاصة على آلة الكويثرة إلى أن توفي 1957 [2].

3-**الشيخ بريكسي مصطفى**:اسمه الحقيق سنوسي بريكسي،ولد في 16 جوان 1919م بتلمسان، وكان محبا للموسيقى الأندلسية،عين معلما للموسيقى الأندلسية في ثانوية ابن زرجب للموسيقى

[1]- ينظرابن السنوسي كمال، المرجع السابق:108.

[2]-المرجع نفسه:127.

الأندلسيةإلى أن توفي سنة 1964م[1].و قدظل الفن الأندلسي أو الطرب الغرناطي أمرا مهمافي المجتمع التلمساني معبرا عن كيانه ،وتقام له المواسم للاحتفاء به وإحيائه .

[1]-المرجع نفسه:130.

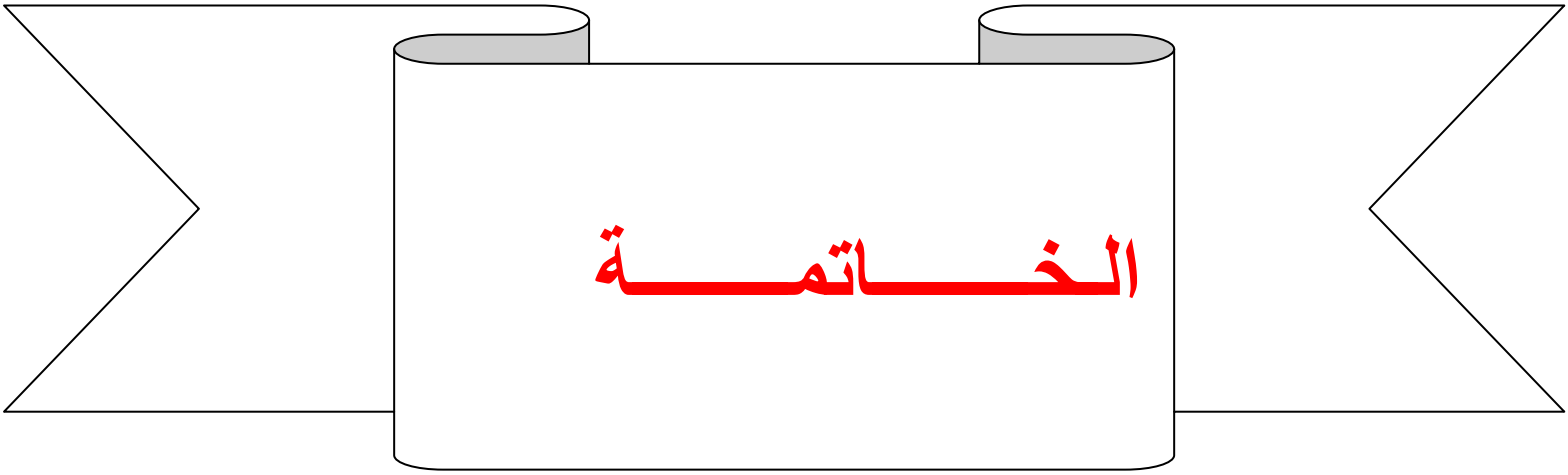
الـخـــــاتمـــــة

قال أبو البقاء الرندي:

لِكُلّ شَيْءٍ إذَا مَا ثَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرّ بِطَيْبِ العَيْشِ إنْسَانُ[1]

فبسقوط آخر ثغر أندلسي ضاعت أحلام أهل الفردوس المفقود الّذين شدوا رحالهم و اتجهوا إلى الدول الإسلامية المجاورة،فاختلفت وجهاتهم فمنهم من اتخذ الدولة المرينية ملجأ ،وموطنها فاس،و منهم من اتخذ الدولة الحفصية مقرا لإقامته و عاصمتها بجاية،و منهم من جعل الدولة الزيّانية مركزا لإحياء ذكرياته وذلك راجع للقرب الجغرافي بين هذه الأقطار الإسلامية، و كذلك لسهولة الاتصال مستندين على عدة منافذ منها:

المراسي التي لعبت دورا كبيرا في تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس ،و من هذه المراسي ماهو أندلسي مثل : مرسى مالقة الذي كان يمثل إحدى القواعد المهمة لاسيما بعد سقوط الفردوس المفقود و ذلك راجع لموقعه الاستراتيجي، بالإضافة إلى الدور الّذي كانت تلعبه مدينة المرية والمنكَب اللتين كانتا من أعظم قواعد الأسطول الأندلسي ، بالإضافة إلى مراسي المغرب الأوسط مثل وهران و هنين و أرشكول والمرسى الكبير و تنس و مدينة شرشال و جزائر بني مزغنة التي أسهمت في تسهيل العبور إلى الجزائر،كماساعدت الوحدة المذهبية على تحرك أهل الأندلس إلى الدول المجاورة مغادرين مواطنهم لعدة أسباب منها:

[1]- المقري ، نفح الطيب،4 :487.

- تدهور الأوضاع السياسية و الاجتماعية بالأندلس و خاصة بعد ضعف الموحدين،و انهزامهم في معركة حصن العقاب(605هـ/1212م)الّتي كانت بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس،كذلك هروبهم من الظلم و ثقل أعباء الضرائب و الصراع العنصري بين طبقات المجتمع، والإجراءات التعسفية الّتي فرضها النصارى على المسلمين ومنعهم من أداء شعائرهم الدينية.

- قطع صلات المسلمين بتاريخهم و حضارتهم و تعرضهم للقمع و البطش و التعذيب وإرغامهم على التنصر و مصاهرة الإسبان.

- منعهم من ارتداء ملابسهم العربية التقليدية.

- إحراق كتبهم و منع تقسيم ممتلكاتهم على الطريقة الإسلامية.

- حسن العلاقات السياسية و التجارية بين المغرب الأوسط و الأندلس.

- الازدهار الحضاري بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان خاصة في المجال الثقافي، و اهتمام السلاطين بني زيان بمهاجري الأندلس .

- مساندة الكنيسة للنصارى في إسقاط غرناطة هذا ما أدى إلى نفي أهلها إلى الضفة المجاورة وفق عدة مراحل،و كانت عملية عسيرة و طويلة لم تنته إلافي سنة 1651م أي بعد سبع سنوات من صدور مرسوم الطرد و النفي،و لكن هذا لم يمنع بقاء فئة قليلة في كلّ من قشتالة و أرغوان،كما تردد البعض في مسألة الهجرة فعرضواأمرهم على علماء المغرب قصد إيجاد

حلول لمحنتهم، فظهرت فتاوى كل من الونشريسي والمغراوي الّذين نص كلّ منهما على التكيف مع الأوضاع الراهنة وأباحوا للمستضعفين استعمال التقية و بقاءهم فيها مؤقتا.

أما الذين رحلوا فبلغ عددهم ما يقارب الثلاثة ملايين شخص اختار بعضهم فحص الجزائر ومتيجة و بعضهم الآخر اختار سواحل المغرب الأوسط بجناحيه الشرقي و حاضرته بجايةو الغربي حاضرته تلمسان ،و وسطه جزائر الثعالبية.

كما تشير الدراسات إلى أن الهجرات الأندلسية كانت مبكرة،بدأت منذ سقوط سرقسطة سنة(512هـ/1121م) متخذين من الجزائر الثعالبية موطنا لاستقرارهم و مازالت الهضبة إلى يومنا تنسب إليهم.

ثم ازدادت الهجرة الأندلسية أيام اشتداد الحملات الصليبية الإسبانية في نهاية الحكم الإسلامي بالأندلس،وكانت استفادة الجزائر في الفترة العثمانية من خبراتهم في جميع مجالات الحياة ملحوظة و كان لهم دور فاعل في تثبيث الحكم العثماني بالجزائر و ذلك من خلال:

نشاطهم التجاري و الاقتصادي و ممارستهم لعدة مهن أسهمت في تكوين ثرواث ضخمة وتنشيط اقتصاد أيالة الجزائر و ولوجهم معظم الحرف و احتكارهم لها نتج عنه اتساع نشاط التجارة والاستثمار، وعملوا على توثيق الصلة بين مختلف شرائح المجتمع الجزائري و طوائفه في العهد العثماني، من خلال انشغالهم بالعمل التجاري و الحرفي و طلب العلم ،و يتجلى ذلك في تأسيسهم عدة مؤسسات علمية مثل: مدرسة بجاية التي كان لها تأثير بالغ في الحياة الثقافية بالمغرب الإسلامي طوال فترة الحكم الإسلامي الأولى من (ق 2 إلى 10هـ/ 8- 16م)،

و ذلك من خلال سيطرتهم واستحواذهم على جميع فروع المعرفة و ميادين الحياة،كذلك مدرسة الجزائر و مدرسة مازونة اللّتان أسهمتا في الحفاظ على التقاليد العلمية الأندلسية من حيث استمرار توراث المعارف الفقهية و اللغوية و الأساليب الأدبية الأندلسية و المتون والشروح و الحواشي.

لا ننسى إسهاماتهم في المجال الإداري و العسكري حيث عملوا على تثبيث قواعد الحكم العثماني بالجزائر و مدهم العون للعثمانيين أثناء صراعهم مع الإسبان و وقوفهم بجانبهم في محاربة بقايا الإدارة الحفصية فأغنوا مدينة الجزائر بكفاءاتهم و مهاراتهم.

و كان حظ تلمسان من مهاجري الأندلس وافرا،جعلهم يشكلون الفئة الغالبة على التركيبتها الاجتماعية تاركة أثرها الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي و العمراني في المجتمع التلمساني،

و أسهمت في تطويره في مختلف المجالات،مما قلص الفوارق الأصلية الثقافية بين سكان تلمسان و بين المهاجرين شيئا فشيئا فانصهروا جميعا في البيئة الثقافية المحلية للمدينة،فأثروا و تأثروا و اصطبغوا كلّهم في نهاية المطاف بالطابع التلمساني المميز.

و نتيجة لقلة الوثائق في هذا المجال صعب علينا تحديد عددهم في مدينة تلمسان أو تقدير نسبتهم بين السكان،و لكن ما يمكن قوله هو أنّهم كانوا يمثلون العنصر الثالث في المجتمع التلمساني،و أن تأثيرهم الثقافي و الاقتصادي و السياسي كان قويا حتى أصبح الطابع الحضاري لأهل تلمسان يكاد يكون طابعا أندلسيا، يلاحظ في الفضاءات العمرانية الدينية و الدنيوية، يعكسه ذلك التشابه بين المساجدفي المغرب الأوسط و الأندلس و كذا في الدور و القصور

و المنتزهات و الحدائق و في التراث الفني و الشعري و الموشحات.

وذلك فضلا عما كانوا يتمتعون به من حرف متطورة و صناعات و فنون مختلفة ساعدت النهضة المغربية،و غذت معظم روافدها، لأنّ معظم المدن الساحلية للدولة الزيانية كانت تقطنها جاليات أندلسية كثيرة ،في مدينة هنين،التي تقابل مدينة المرية و مستغانم التي تقابل مدينة دانية بشرق الأندلس،مما ساعدعلى تمتين الروابط الثقافية والفكرية بين البلدين.

فعلاقة الأندلس بالجزائر علاقة قديمة تعود إلى زمن الدولة الرستمية ، واستفادتهم من خدمات خبراء أهل الأندلس الذين كانوا أعضاء بارزين في مجلس الشورى الإباضي التاهرتي .

كما بدأ تأثيرهم بشكل جلي في المغرب الأوسط في مجال التعليم،إذ نقلوا طريقتهم الخاصة في ذلك،بالإضافة إلى الحركة الأدبية، إذ تأثر أدباء المغرب الأوسط بأدباء الأندلس في نظم الشعر وكتابةالنثر وانحصرت موضوعاتهمافي الآتي:

. شعر المدائح النبوية التي تعد جزءا مهما من التراث الشعري الزياني لكونها تعكس مدى تمسك الزيانيين بالموقومات الإسلامية ،وتعكس تلك الحساسية المفرطة للمجتمع الذي ترعرت فيه،فكانت واحة فيحاء وملاذ الشعراء يغترفون من عذب معانيها مايرصعون به صدور قصائدهم لتسبح في رحاب البيت الشريف وتطوف في جبال الحجاز ومكة، فيه تمكن صاحبها من الترويح النفسي والهروب من المجتمع وصراعاته،فهيأ الجو لغرض الزهد أو التصوف وذلك بإعراضهم عن زخرف الدنيا،إلا أنّه لم يقتصر على الجانب التنظيري على غرار الأندلسيين بل عبروا عن تجاربهم الروحية

تعبيرا أدبيا راقيا مواكبين في ذلك ميولهم الفقهي والأدبي ولهفتهم لإبداء آرائهم وتصوراتهم الدينية والأخلاقية مستأنسين بتجارب السابقين من المغاربة والمشارقة وذلك راجع لاستعدادهم الفطري.

ـ كما شاعت أغراض أدبية نتيجة البذخ والترف الّذي عاشته الدولة الزيانية والتلاقح التاريخي بين قرائح الأندلسيين ومواهب أهل المغرب مع استبقاء الشخصية ،كغرض المدح الّذي كان يسعى صاحبه إلى التقرب من الممدوح وطلب الرضا منه، ممّا أكسب القصيدة الزيانية صياغة فنية وقيمة جمالية.

ـ كما أنّ طبيعة تلمسان الساحرة جعلتها مصدر إلهام الشعراء فتغنوا بجمالها وقصورها وحدائقها ورياضها فعكست تحضر و ألوان الترف المستحوذ على المجتمع الزياني.

ـ كذلك لاننسى النثر الزيّاني الّذي عرف انتعاشا لأنّه وجد فيه الكتاب راحتهم لتحررهم من قيود الوزن والقافية وانقسم إلى قسمين :مسجوع ومرسل وانحصر في فن الرسائل وعدد من الكتب التاريخية والأدبية.

ـ ولاننسى الأثر الذي تركته الموشحات والأزجال الأندلسية في المجتمع الزّياني لتشابه البيئة التي نشأ فيها.

ـ كما شهدت حاضرة تلمسان حركة صوفية نشيطة بقيادة الشيخ القطب أبي مدين الغوث، مكونة لنفسها تلاميذ ومدارس وطرائق؛ارتبطت بأسمائهم في ربوع المغرب والمشرق.

و موضوع الهجرة الأندلسية مجال خصبا على الدراسة و البحث يحتاج إلى الكثير من الاهتمام والعناية،إذتبقى كثير من زواياه مظلمة على الرغم من جهود الباحثين عربا ومستشرقين في هذا المجال،وحسبي أنّي أسهمت بجهدي المتواضع في ذلك،والله من وراء القصد.

ملحق الاعلام والأماكن

- **قبيلة زناتة**:هي جماعة عرقية أمازيغية من شمال افريقية و استقروا في الجزائر و تونس والمغرب وليبيا،وفقا لما قاله المؤرخ ابن خلدون،و قد كانت قبائل زناتة من البدو الرحل. (ينظر في البيان المغرب في أخبار المغرب،ابن غداري:26 و تاريخ ابن خلدون ج7:03).

- **بنومرين**: هي سلالة حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين،و توسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب في عهد السلطان أبي سعيد الأول و ضم لدولته المغرب الأوسط و الأدنى مسيطرا على بلاد سوس و معاقل الصحراء جنوبا (ينظر في العبر لابن خلدون،7: 244).

- **ابن عثمان بن سعد بن زاهر**: ولد في قرطبة سنة 371 هـ كان أحد أئمة القرآن و تفسيره

- ومعانيه و طرقه و إعرابه و كانت له معرفة بعلم الحديث و من مؤلفاته "جامع البيان في السبع" و"التيسيير في القراءات السبع" .(ينظر في الصلة لابن بشكوال 2 :596).

- **لامية الشاطبي**: هي النظم المبارك المشهور "بحرز الأماني و وجه التهاني" للإمام الورع القاسم بن فيره الشاطبي الرعيني ،جمع ناظمه ما تواتر عن القراء السبعة و هي أوائل القصائد التي نظمت في علم القراءات. (ينظر في متن الشاطبية ،حرز الأماني ووجه التهاني ،تحقيق الشيخ المقرئ محمد تميم الزعبي،ط1، 1432هـ،1 :01).

- **ابن عطية**:أبو محمد عبد الحق بن غالب بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام عبد الله بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي،من قبيلة قيس عيلان بن مضر

من أهل غرناطة ولد 481 هـ. (ينظر في الفهرس لابن عطية،للمحقق محمد الزاهي،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط2، 1985: 09-10).

- **ابن الحاجب:** هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمر جمال الدين بن الحاجب،من صعيد مصر و مات بالإسكندرية،فهو أصولي و نحوي و مقرئ عاش ما بين (570 هـ-646هـ/1174م-1249 م)،و من مؤلفاته كتاب" الجامع ". (ينظر في كتاب أمالي ابن الحاجب للمحقق صالح سليمان قدارة،دار الجيل بيروت ،2: 13 14).

- **محمد الصنهاجي القلعي:هو**محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي نزيل بجاية قاض ومؤرخ وأديب وأصله من قرية حمزة، ولي قضاء الجزيرة الخضراء Algesiras ثم سلا سنة 613 ثم استوطن مراكش،و توفي بها و من كتبه البنذ المحتاجة في أخبار صنهاجة. (ينظر في كتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،لمحمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي،محقق التهامي عبد الحليم عويس ،الناشر دار الصحوة ، القاهرة ،1، 218).

- **بن سلام الكلاعي:** هو أبو قاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي يرجح أنه ولد في أوائل القرن السادس الهجري نشأ في بيت من بيوت العلم والثقافة والحسب والرياسة أخذ عن شيوخ عصره. (ينظر في إحكام صنعة الكلام ،ابن غفور الكلاعي ،تحقيق محمد رضوان الداية ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1960 :10).

- **يوسف بن تاشفين:** اللمتوني الصنهاجي عاش مابين(400-500هـ/1009-1106م) قائد و أمير مسلم و حّد المغرب و ضم الأندلس تحت حكمه و سلطته،تولى إمارة دولة المرابطين بعد أن تنازل له ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني،و استطاع إنشاء امبراطورية مغربية تمتد من مملكة بجاية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . (ينظر في المجلة الأردنية للتاريخ
- و الآثار 2012 المجلد 06 العدد الثاني :06).
- **أبو عنان المريني:**موسى بن أبي عنان أبو عنان فارس بن علي ولد بفاس سنة 1329 هو حاكم مريني و قد خلف والده أبا الحسن علي بن بني عثمان كسلطان للمغرب سنة 1348م،مات خنقا من قبل وزيره سنة 1358م،(ينظر في تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني للدكتور محمد عيسى الحريري ،دار القلم للنشر والتوزيع ،الكويت ،ط2 ،1987: 177).
- **أبو راس الناصري:** علامة و محقق في العلوم الإسلامية و حافظ للحديث من الجزائر،ولد بنواحي مدينة معسكر بالجزائر يوم 08 صفر 1165هـ/27 ديسمبر 1751،و توفى يوم 15 شعبان 238هـ -27 أفريل 1823،و من مؤلفاته"مجمع البحرين و مطلع البدرين،(ينظر في البستان في ذكر أولياء تلمسان لابن مريم،حققه محمد بن أبي شنب ، الجزائر ، المكتبة الثعالبية ،1986: 184).

- **أغمات:** هي قرية أمازيغية مغربية أثرية تاريخية عريقة،تقع جنوب وسط المغرب بالقرب من مراكش بها ضريح المعتمد بن عباد . (ينظر في معجم البلدان للياقوت الحموي،دار صادر ،1397هـ 1993م،1: 225).

- **عبد الرحمن الناصر**:أمير المؤمنين أبو المطرف عبد الرحمن ناصر الدين ولد في11 يناير 891 م/277 هـ وتوفي 05 أكتوبر 961 م 355 هـ ،هو ثامن حكام الدولة الأموية بالأندلس التي أسسها عبد الرحمن الداخل .(ينظر في كتاب عنان محمد عبد الله ،دولة الإسلام في الأندلس ،1،مكتبة الخانجي ، القاهرة :373)

- **زهير العامري:** شاعر جاهلي من الشعراء الفرسان له أثره ومكانته في قبيلته بني عامر عاش في القرن السادس الميلادي كان يلقب فارس الصحباء،غلب على شعره الفخر و الحماسة. (نظر في كتاب شعر خذاش بن زهر العامري ،دجي جبوري ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق،1406هـ/ 1986م :05).

- **قانون الجازولي: أو**المقدمة الجازولية هي من أشهر كتب النحو المختصر و قيل إنه لم يسبق إلى مثلها،فهي في غاية الإيجاز و الاختصار،و سميت بهذه التسمية نسبة إلى أبي موسى،عيسى بن عبد العزيز بن يكلب الجزولي،و جزولة هي بطن من البربر كانت تسكن صحراء بلاد السوس في المغرب الأقصى. (ينظر في الذهبي،سير أعلام النبلاء،مؤسسة الرمالة،بيروت،1984: 33).

- **عرب الثعالبة**:فهي تنسب للولي الصالح عبد الرحمن الثعالبي و نزح نفر منهم إلى طيبة(مدينة بريكة ولاية باتنة)في القرن الخامس عشره . (ينظر في تاريخ الجزائر القديم والحديث ،للشيخ مبارك الميلي،دار الغرب الإسلامي ،لبنان والمؤسسة الوطنية للكتاب ،1406هـ /1986 م :370).

- **بن خاقان**:عبد الله القيسي الإشبيلي أبو نصر عاش مابين (480-528هـ/1087-1134م)كاتب و مؤرخ،كان كثير الأسفار و الرحلات مات دبيحا بمدينة مراكش،أوغر بقبيلة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين من تصانيفه "قلائد العقيان".(ينظر في قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح بن محمد ،تحقيق حسين يوسف خربوش،ط1،نشر مكتبة المنار،1409 هـ/1989م :07).

- **محمد بن الشارف البولداري**:هو مؤسس المدرسة القرآنية في مدينة مازونة التي يعود تاريخها إلى القرن الحادي الهجري،و ساعده في ذلك مجموعة من العلماء الذين عاشوا و درسوا في تلك الحقبة. (ينظر تاريخ الجزائر الثقافي ،أبوقاسم سعد الله،1 :392).

- **دورو**: مأخوذة من عبارة peso duro تعني ذو الوزن الصلب نظرا إلى قيمة القطعة

و أصبحت هذه القطعة النقدية أساس الاقتصاد الاسباني ثم غزت العالم، وشاعت في عهد الدولة العثمانية ويقال إن هذه القطعة هي أصل رمز الدولار لأنها تحتوي على صورة هرقل إضافة إلى حرف S رمزا لإسبانيا،أما في الفترة الأخيرة فالدورو فقد قيمته .(ينظر في النظام المالي للجزائر في

أواخر العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1979: 195إلى 197).

- **متيجة**:و هي التسمية التي تطلق على مجموعة السهول في المنطقة الوسطى من شمال جنوبي العاصمة،و اشتهرت أيضا بمقاوماتها الشعبية أثناء الاحتلال الفرنسي،و هذا السهل يتربع على مساحة إجمالية تقدر ب1300 كلم مربع،طوله من الشرق إلى الغرب يصل إلى 100 كلم/ من الشمال نحو الجنوب يتراوح بين 15 و 20 كلم. (ينظر في موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،مختار حساني، 1،دار الحكمة ،2007 : 75).

- **أهل ورجلان**:البعض ينسب هذه الكلمة للغة الزناتية المأخوذة من كلمة واركلان،و يؤكد الوزان أن ورجلان متقادمة في نشأتها التاريخية ...ربما تعود إلى الفترة النمودية،و بعض يقول إن التسمية نسبة إلى اسمرار بشرة جماعة من الزنج الذين أقاموا بها وبنوا مدينةفي حدود 106هـ/726م و بعض يقول إن نشأتها مرتبطة بزراعة بساتين النخيل على يد رجل من السودان بواحة عفران.(ينظر في فن الأدوارالحضارية للمدن الصحراوية و رجلان أنموذجا–عمار غراسية مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،العدد 15 ، 2011 :12).

- **قلعة خيزران**: هي مدينة عريقة بناها الموريسكيون مشهورة بصناعة الأثاث،مازال حرفيوها يحافظون على هذه الحرفة الجميلة و هي موجودة في مدينة قليعة. (ينظر في صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر،ناصر الدين سعيدوني:332).

- **المعتصم بن صمادح**: ثاني حكام طائفة المرية من بني صمادح في عهد ملوك الطوائف خلفا لأبيه معن بن صمادح بإجماع بني عمه و رجال دولته،و لم يكن قد استكمل الثامنة عشر من عمره، ومن أعماله اهتم بعمارة المرية،فابتنى قصر كبيرا زينه بالعديد من مظاهر الأبهة و العظمة و كان أديبا وشاعرا يضم إلى بلاطه العديد من شعراء عصره كوزيره "عبد العزيز" و عبادة القزاز إمام الموشحات .(ينظر في دولة الإسلام في الأندلس ،محمد عبد الله عنان:492).

- **مدينة الزهراء**:أعجوبة الأندلس التي بناها عبد الرحمن الناصر عاصمة لخلافته تعكس الرخاء الاقتصادي الذي كانت تعيشه في عهد الدولة الأموية،بنيت تحت جبل العروس في شمال قرطبة في محرم سنة 325 هـ/ نوفمبر 936 م .(ينظر في تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس للخليل إبراهيم السامرائي وعبد الواحد دنون طه وناطق صالح مطلوب،ط1،دار الكتاب الجديد ،بيروت، لبنان،2007 :12).

- **طبنة**:هي تسمية أمازيغية، مدينة قديمة كانت عاصمة الزاب،تميزت بكثرة مياهها و حدائقها وواحاتها قال عنها الإدريسي " تبنا في غرب الأوراس هي مدينة رائعة كثيرة المياه تقع في وسط الحدائق و حقول من القطن و مزارع الشعير و القمح،سكانها خليط من مختلف الشعوب .(ينظر في موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،مختار حساني ،1 :05).

- **ابن أبي عامر**:عاش ما بين(327-392هـ/938-1002م) المشهور بلقب الحاجب المنصور والحاكم الفعلي للخلافة الأموية في الأندلس في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله ،تدرج في

مناصب عدة و كانت له علاقة وطيدة مع زوجة الخليفة"صبح البشكنسية". (ينظر في بيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس المغرب، محمد بن عذاري المراكشي أبو عباس ،محقق بشار عواد معروف، ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،تونس، 1434 هـ/2013،2 :243).

- **البنيقة:** هي رقعة تكون في الثوب كاللّبنة مشتقة من ذلك أما اصطلاحا:هي وصلة قماش مثلثة تراد على الثوب لتوسيع جزء منه أو لتقويته(من معجم الوسيط،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،ط4، 2004.

- **أشير:** مدينة أشير بالجزائر تقع في سفح جبل التيطري فوق سهل أوربوة تطل على بلدية الأخضرية بالجنوب الشرقي لولاية المدية و يرجع فضل في تأسيسها إلى زيري بن مناد الصنهاجي (324 هـ/936 م) و وقع اختيار مكانها لوفرة المياه و إطلالها على سفوح الجبال وشيدت بهاقصور والإقامات و الحمامات مثل قصر بنت السلطان زارها رحالة أجلاء لأن الحياة العلمية كانت مزدهرة بها مما جعلها تلعب أدوار حضارية .(ينظر في الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري، المحقق عز الدين أبو الحسن وأبو الفداء عبد الله القافي ،دار الكتب العلمية،ط1 ،1407 هـ /1987 ، 05 :156).

- **دلس:** من المدن الجزائرية الساحلية بين بجاية و مدينة الجزائر،و يرجع الفضل إلى القطاجيين في انشاء هده المدينة،و تطورت بعد قدوم الرومان و أصبحت تسمى روسو كوروس،ثم تعرضت إلى عدة غزوات و زلازل دمرت المدينة،و مع مجيئ مسلمي الأندلس استقروا بها و على رأسهم المعز

الدولة بن دمادج،ثم أصبحت قاعدة للأخوين بربروس عروج و خير الدين.(ينظر في Luis rinn ,Le royaume d 'alger sous le dernier day ,Alger ,édition G . A.T :55).

- **أرشكول**: هي جزيرة تقع بمدينة عين تموشنت بمساحة تقدر ب26 هكتار،و هي تبعد عن المدينةب 30 كلم،موقعها الطبيعي محل اهتمام بالإضافة إلى تنوعها البيولوجي،و تستقبل أصناف من الطيور المهاجرة،و قد عاش فيها الإنسان مند العصور الأولى.ينظر في تاريخ المدن الجزائرية ،أحمد سليمان ،دار القصبة للنشر ، الجزائر،2: 122.

- **الموريسكيون** :أ و الموريسكوس بالقشتالية هم المسلمون الذين بقوا في اسبانيا تحت الحكم المسيحي بعد سقوط المملكة الإسلامية،و خيروا بين اعتناق المسيحية أو ترك اسبانيا في الفترة المحصورة ما بين 1906 و 1914، ثم أجبروا على مغادرة المملكة إلى شمال افريقيا وغيرها بطريقة منظمة.كانت أعدادهم في أرغون السفلى و في جنوب مملكة بلنسية و في غرناطة كثيرة،و بينما كانت أعدادهم أقل في مملكة قشتالة.(ينظر في سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين،جمال يحياوي:41).

- **الونشريسي**:المعروف بابن العباس(834هـ/1430م-914هـ/1509م)هو ونشريسي المولد والمبدأ،تلمساني المنشأ و الأصل،الفاسي منزلا و مدفنا،من فقهاء الجزائر البارزين في القرن التاسع الهجري،و من مؤلفاته:المعيار المعرب عن أهل أفريقية و الأندلس و المغرب. (ينظر في تعريف الخلف برجال السلف:58).

- **المغراوي**:المغرويون هم بنو مغراوة إحدى قبائل زناتة سلالة أمازيغية تولت حكم الأوراس حتى المحيط الاطلسي ما بين 986-1070،و كانوا من أوائل القبائل الّتي اعتنقت الإسلام، و ساندت عقبة بن نافع في الفتح.(ينظر في تاريخ ابن خلدون،7 :24).
- **مبدأ التقية**: ارتبطت التقية في تاريخ الأديان بصفة عامة بمراحل الاضطهاد أو التمييز القائم على العقيدة و أباحها الإسلام لحماية المسلم من أي ضرر في عقيدته أو دنياه.(ينظرفي سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين،لجمال يحياوي:51).
- **مئذنة الخيرالدا**: بالاسبانية la curalada كانت في السابق مئذنة مسجد إشبيليةفي عهد الموحدين،بعدما أمر السلطان أبويعقوب ببناء جامع كبير بإشبيلية ، وأصبحت فيمابعد قبلة للسيّاح من جميع أنحاء العالم،يبلغ ارتفاعها 97.5 مترا،و كانت عند بنائها أعلى برج في العالم،و تم ترميمها عام 1984 .(ينظر في نفح الطيب،المقري،1 :562).

ملحق خاص بأوقاف أهل الأندلس:

كما نجد في سجلات البايليك ما يخص أهل الأندلس وتوزيعها في العلب، ووضع الفرنسيون لها أرقاما موجودة مابين قوسين و أرقاما جديدة هي المعمول بها حاليا بالأرشيف الجزائري مثل:

ـ علبة 20 سجل (109) 194:ذكر أوقاف الأندلس من ديار و مخازن و بيوت و جوانيت وبساتين سواء منها الخاصة بالأندلسيين أو المشترك بينهم و بين الحرمين:لسنوات 1175، 1176، 1177، 1178هـ، 1761-1764م.

- علبة20،سجل(111)196:مردود أوقاف الأندلس بالجزائر لعام 1146هـ/1733م

ـ علبة 26،سجل(188)279،ص152-153:ذكر أوقاف الأندلس بالتفصيل،منها ما هو خاص بأهل الأندلس/و منها ما هو مشترك بينهم بين الحرمين لسنتي 1147-1148هـ/1734-1735م.

ـ علبة 28،سجل(216) 311:ذكر أوقاف الأندلس وردت ضمن مجمل أوقاف الحرمين،بدون تاريخ.

ـ علبة 30،سجل(262)358: تسجيل العلوي الوقوف و التي يشترك فيه أهل الأندلسيين والحرمان الشريفان مع تحديد دخلها.[1]

ـ علبة 3سجل(346)444 جرد مداخيل الأوقاف الخاصة بالأندلس و المشتركة بينهم و بين الحرمين لسنتي 1224- 1225هـ/1809-1810م.

ـ و كذلك علبة 34 سجل (347)445/تحديد مردود أوقاف الأندلسيين لسنوات المختلفة ابتداء 1836 - 1838 مع ذكر مدخول كل شهر بالتفصيل إلى غاية جانفي 1840م.

- علبة 35 سجل (348)447:بيان محاسبة خاصة بأوقاف الأندلس بالجزائر مع تحديد المصاريف المترتبة عن هذه الأوقاف من يناير إلى ديسمبر 1841.[2]

أما ما يخص وثائق المحاكم الشرعية التي لم تعرف حتى الآن أي مسح شامل و كامل رغم محاولة مصلحة الأرشيف الجزائري مؤخرا وضع فهرس عام لها فهي تبين نشاط الجالية الأندلسية خارج المدن أوداخلها و ومن أهم هده الوثائق المرتبة حسب أرقام العلب التي تحتويها:

[1]- ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية:80.
[2]- المرجع نفسه:81.

- علبة3،وثيقة 3-1 أواسط ذي القعدة عام 1665/1076م،شراء بستان من طرف أندلسي.
- علبة 16،مكرر وثيقة 1-218ف،جمادى الثانية عام 1073هـ/1662م،شراء حنوتين بالجزائر العاصمة من طرف أندلسي و تحبيسها على فقراء الأندلس.
- علبة 1/18،وثيقة 77-108ف،أوائل رمضان 1137هـ/1724م،تحبيس بستان بفحص حيدرة،من طرف أندلسي.
- علبة 32،وثيقة 32-111ق: أوائل ربيع الثاني 976هـ/1568م شراء حانوت من طرف أندلسي بالجزائر العاصمة.

علبة 34 وثيقة 125-111،ف أواسط محرم 1126هـ/1714متحبيس قطعة أرض بناحية المدية من طرف أندلسيو للتعرف بالتفصيل إلى الأوقاف المشتركة،وضعت القائمة التي كان يتقاسمها الحرم مع أهل الأندلس،اعتمادا على سجلات البابليك،مع ذكر مقدار دخلها السنوي بالريالات واستغلت في الفترة الممتدة ما بين عام 1175هـ/1761م:

أ- الحوانيت

1) حانوت بفندق الزيت بيد وكيل الأندلس:دخلها 20 ريالا

2) خمسة أسداس حانوت بسوق القبائل: مستغلها مصطفى بن القايد يوسف دخلها 24 ريالا.

3) نصف حانوت بشارع باب عزوز بيد عبد الرحمن شاوش بدار الإمارة،دخلها 12 ريالا[1].

ب– المخازن و الحمامات:

1- حمام القرون.

2- نصف مخزن مقابل لحمام القرون بيد أحمد الفكاه،دخله 10 ريالات.[2]

ج–البيوت الواقعة بالطوابق العليا:

1–نصف علوي في حمام القايد موسى بيد عبد القادر محمد ،ثم بيد حسين مصطفى دخله 23 ريالا.

2–نصف علوي بباب الوادي بيد محمد حسن بزرارت عبد الله أوزان،دخله 13 ثم 75 ريالا

د) الدور و الغرف:

1- دار سي علي طالب.

2–دار ببالة.

3–دار سكة المعظم..[3]

[1]- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية :89.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق:88.
[3]- المرجع نفسه:89

ملحق الصور

الملحق رقم: 02

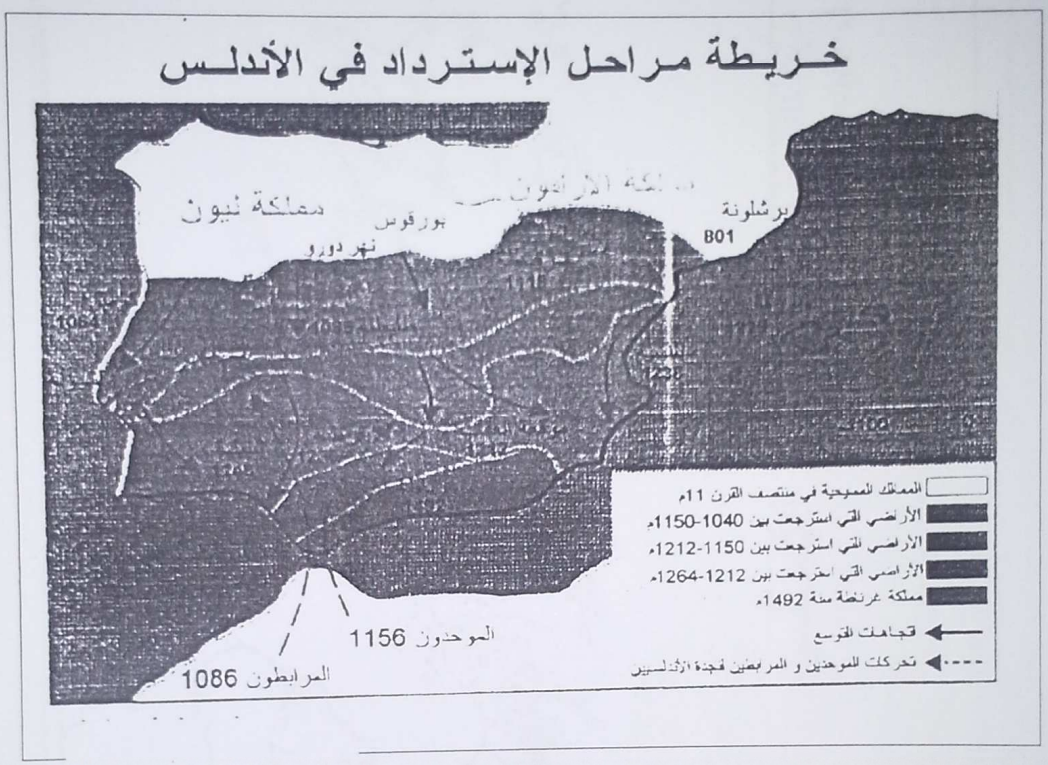

– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 241.

الملحق رقم: 03

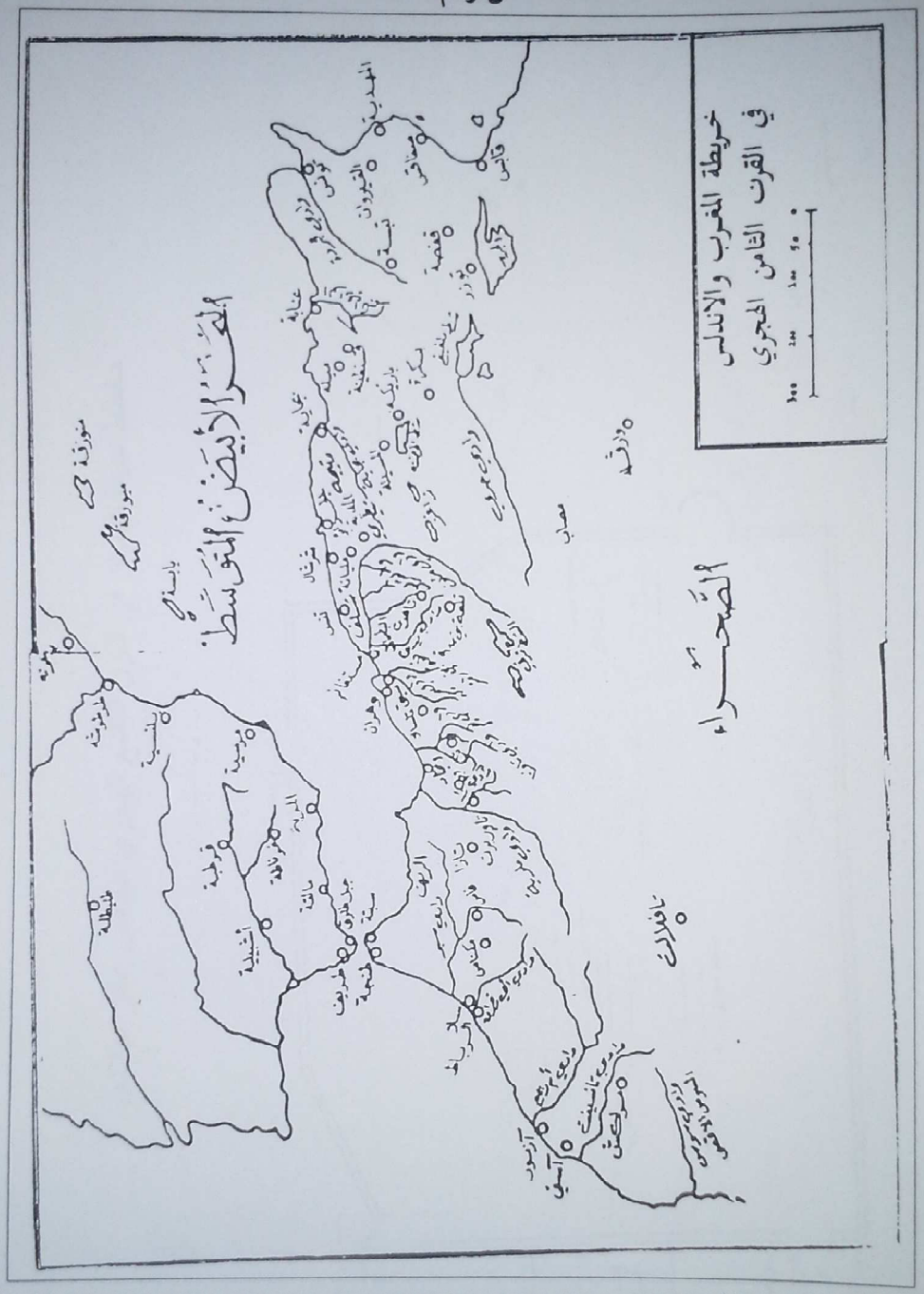

– عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص 398.

الملحق رقم:04

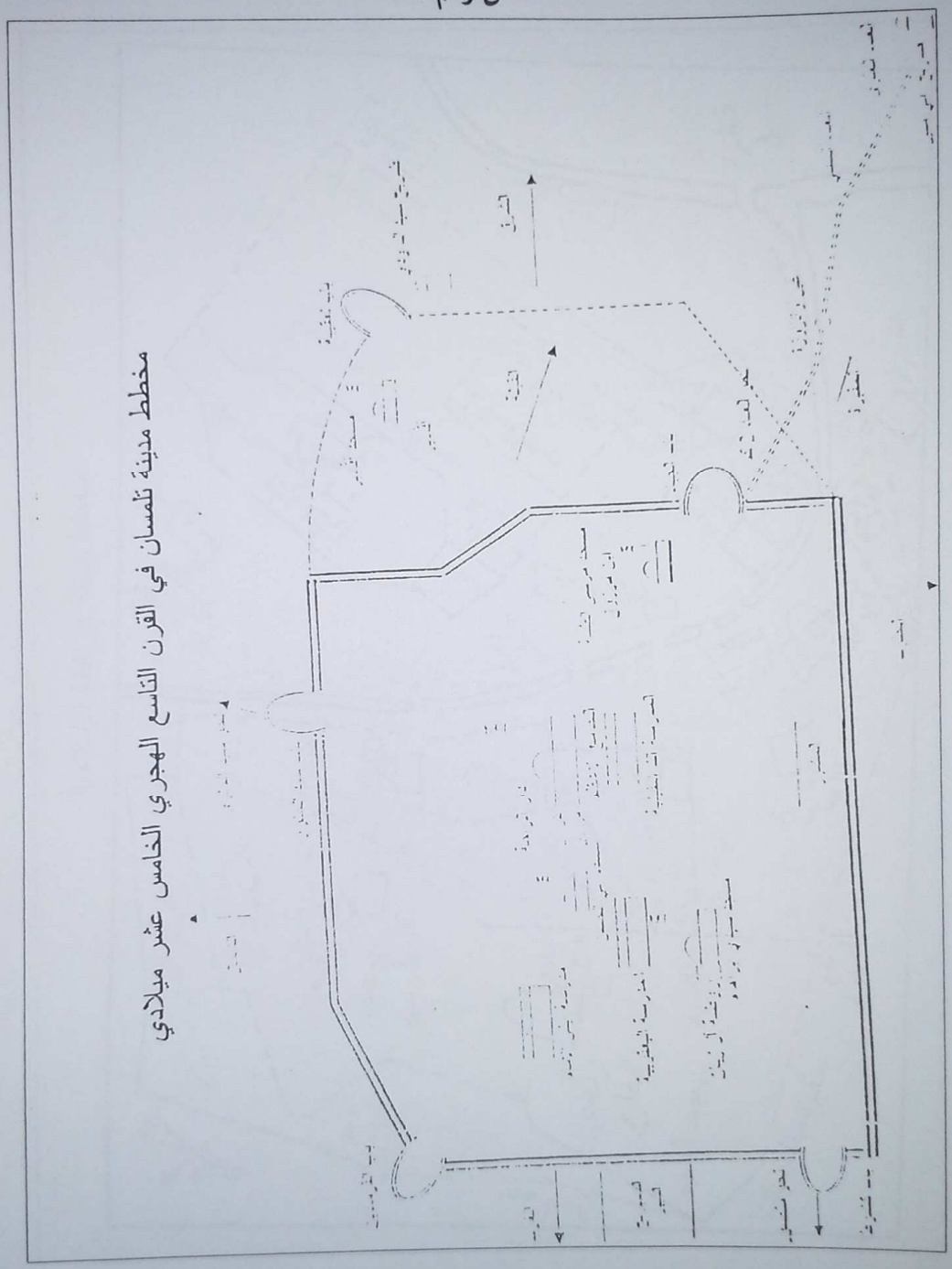

– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 90.

الملحق رقم:05

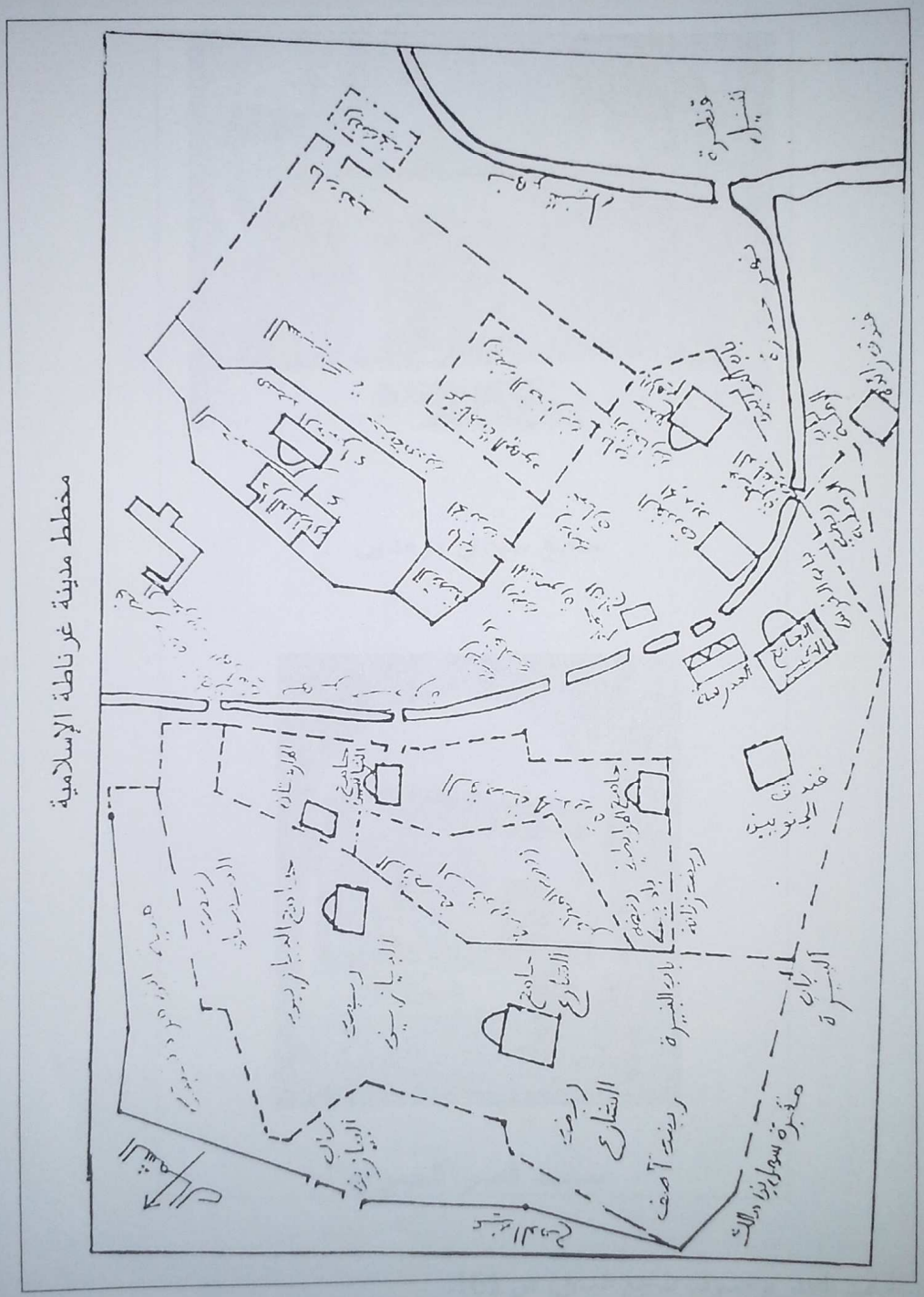

– عبد الله عنان، الآثار الأندلسية، المرجع السابق، ص 163.

الملحق رقم: 06

محراب الجامع الكبير بتلمسان

محراب جامع قرطبة

– عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص 159.

الملحق رقم:07

مئذنة جامع المنصورة

مئذنة جامع إشبيلية

– عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص 160.

الملحق رقم:08

جامع سيدي بومدين

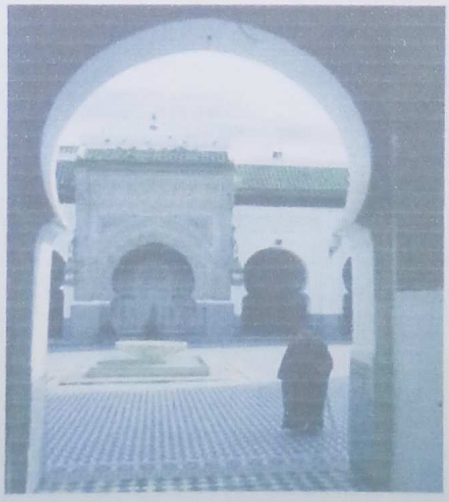

مسجد قصر الحمراء

– عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص 161.

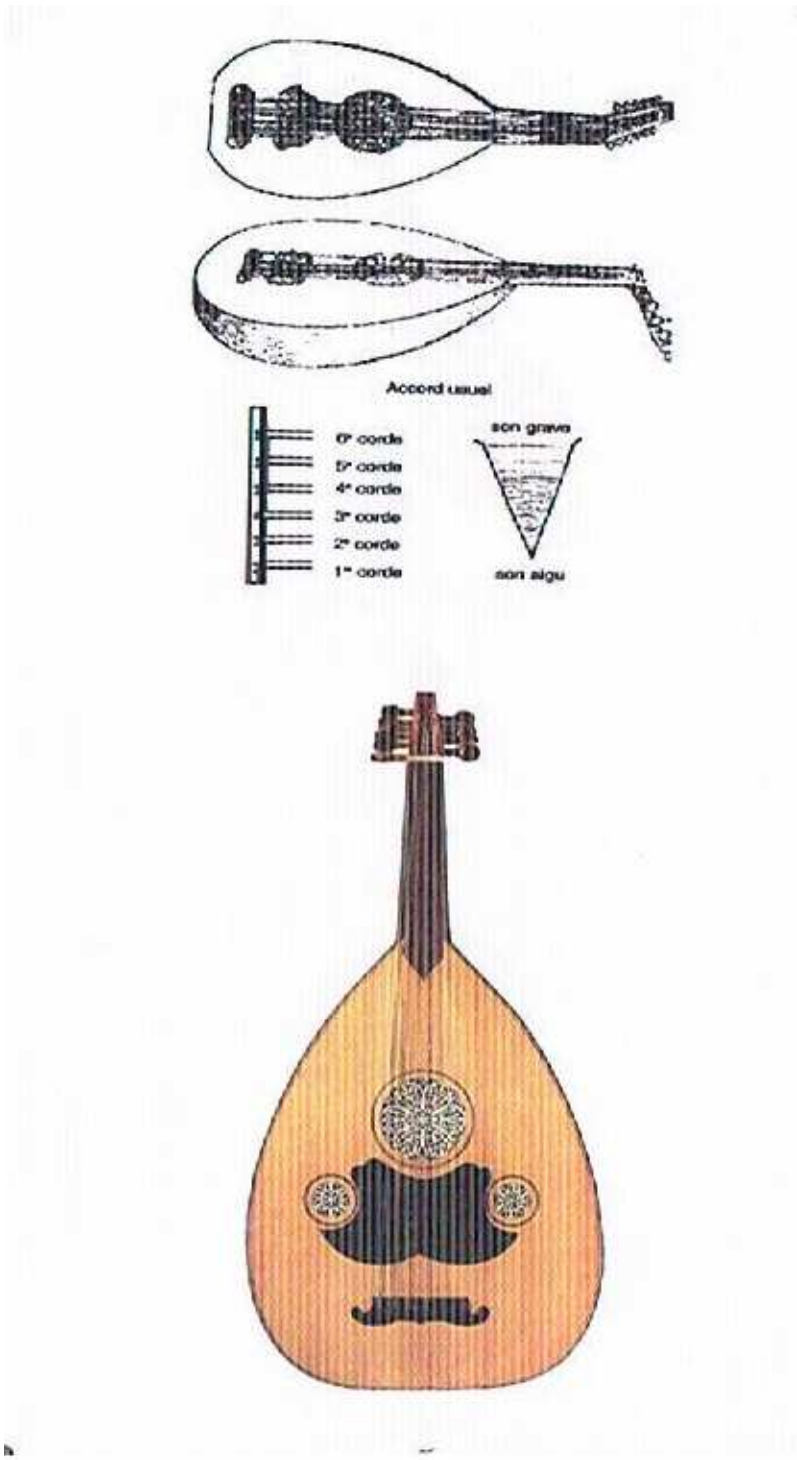

ابن السنوسي الكمال ،المرجع السابق: 159.

صورة آلة الكمان (ألطو)

صورة آلة الكمان (ألطو)

ابن السنوسي كمال،المرجع السابق:158.

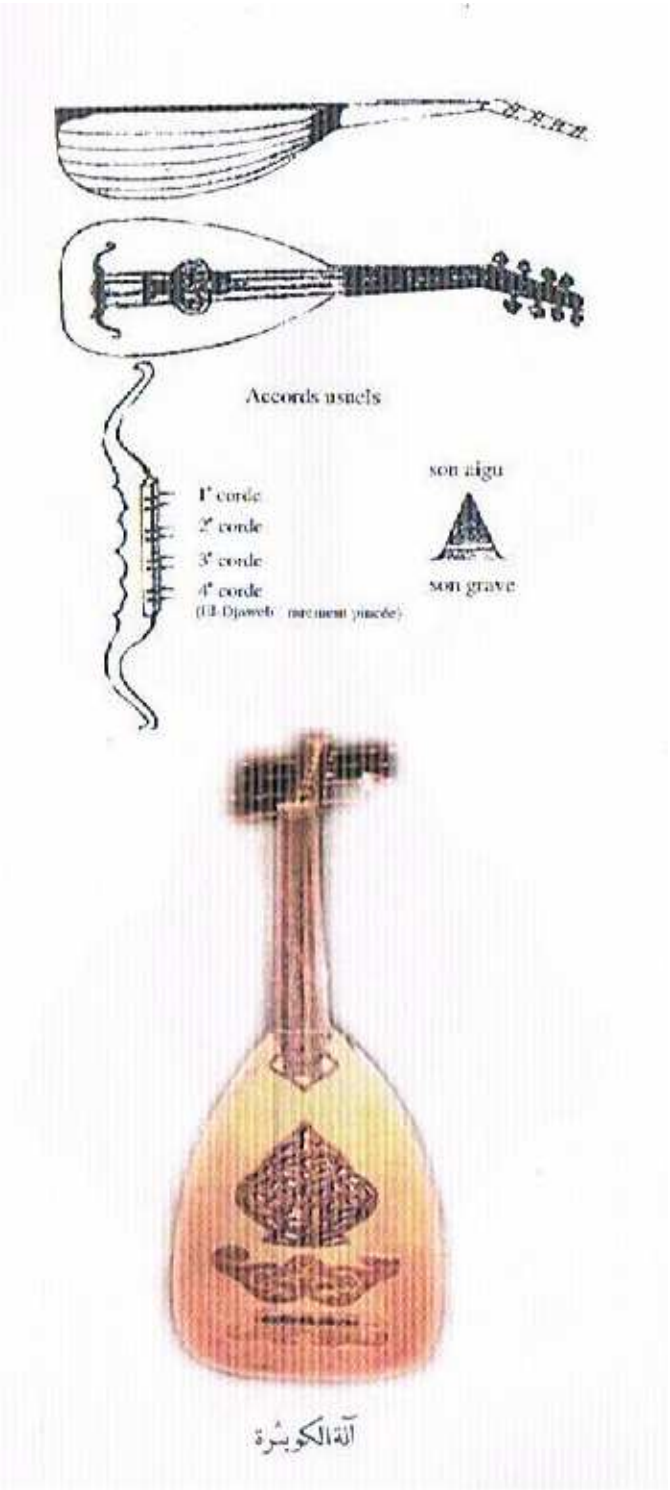

آلة الكوبزة

ابن السنوسي كمال،المرجع السابق:157.

صورة آلة الماندولين

ابن السنوسي كمال ،المرجع السابق:160.

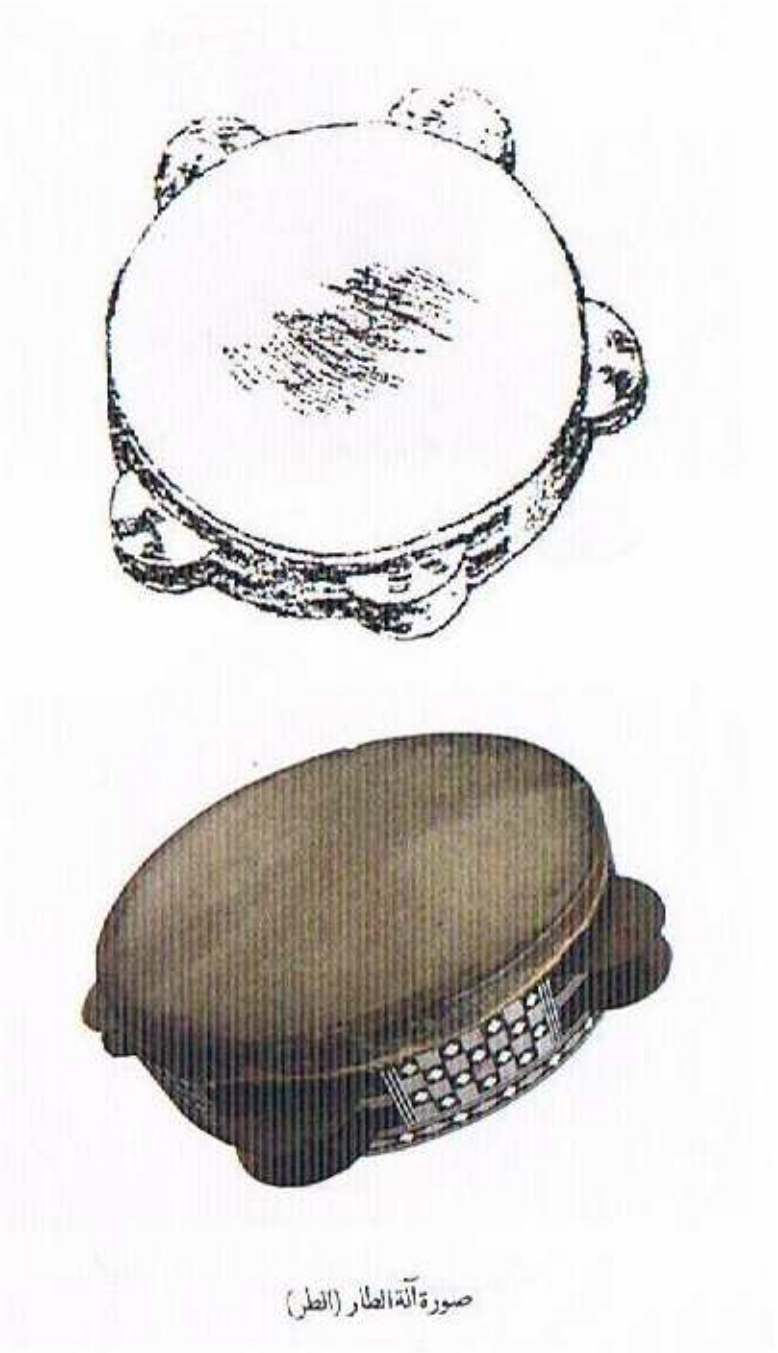

صورة آلة العطار (القطر)

ابن السنوسي كمال ،المرجع السابق:161.

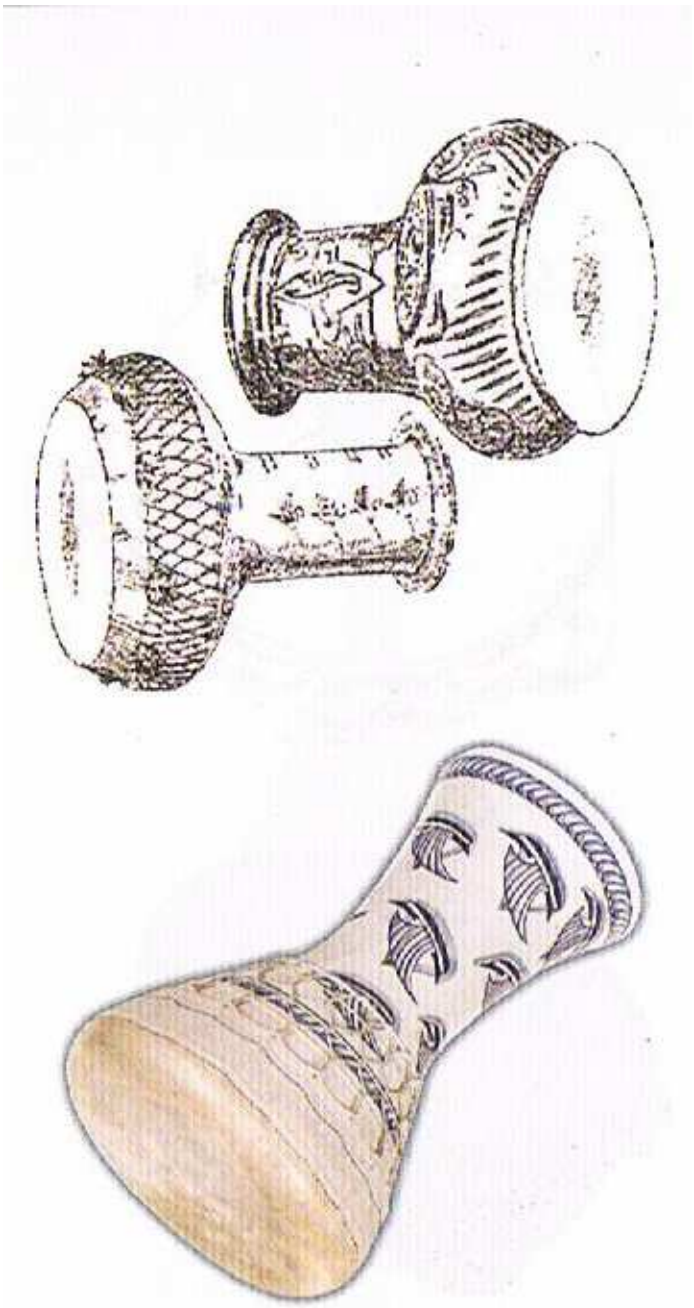

صورة آلة الدربوكة (الدربكة)

ابن السنوسي كمال ،المرجع السابق:162.

صورة آلة الرباب

ابن السنوسي كمال ،المرجع السابق:165.

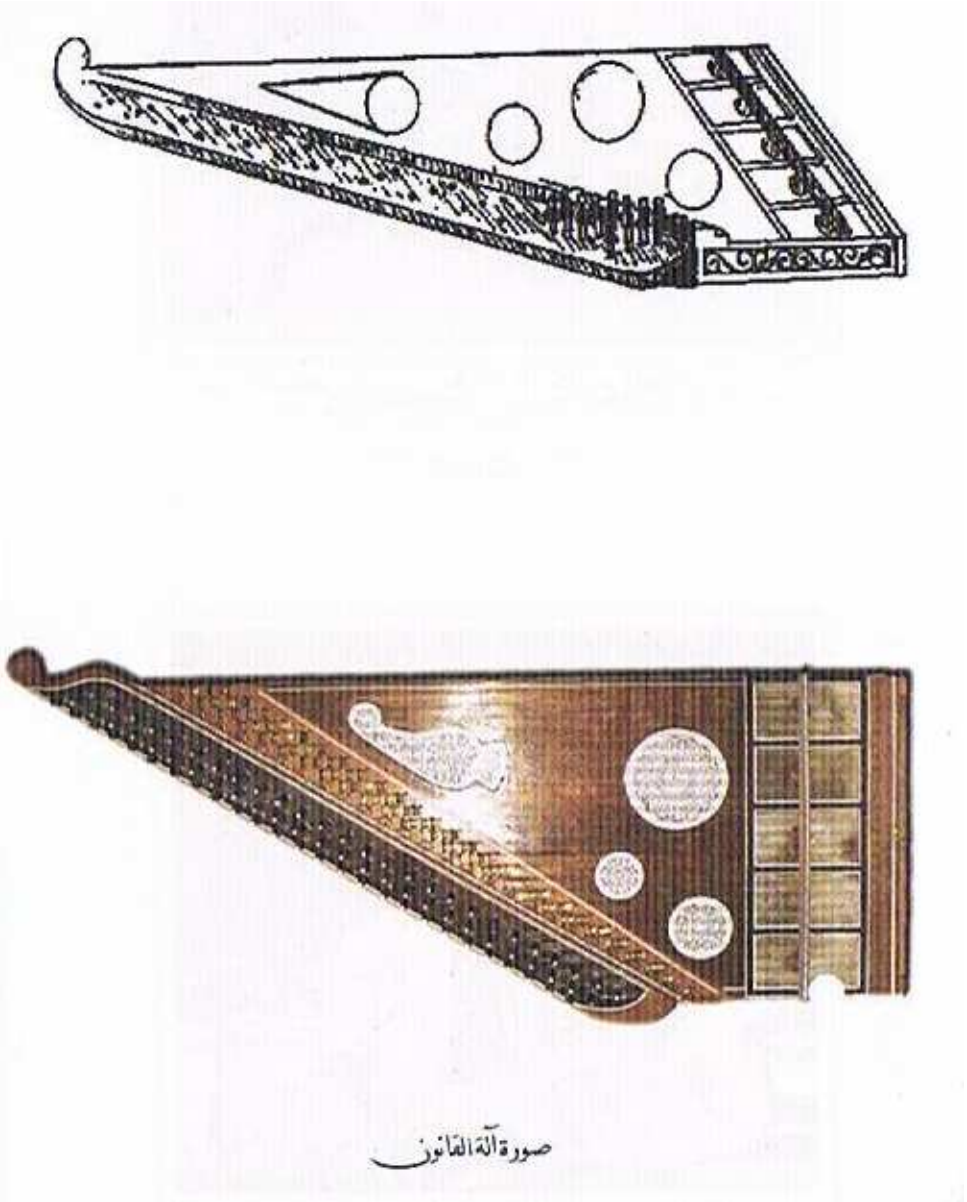

صورة آلة القانون

ابن السنوسي كمال ، المرجع السابق:167.

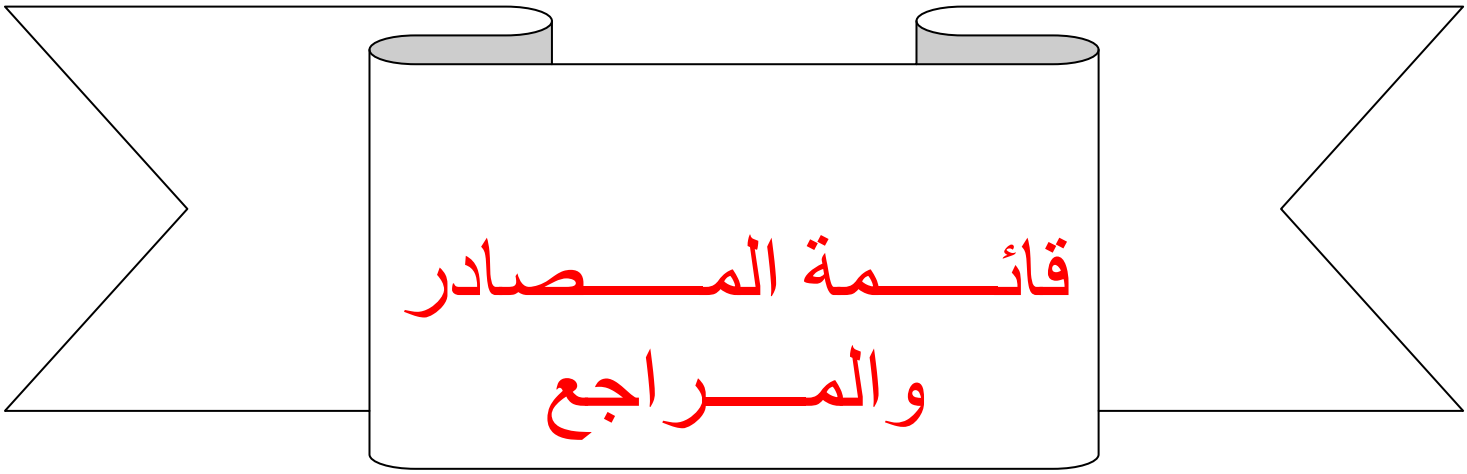
قائـــــمة المـــــصادر
والمـــــراجع

القرآن الكريم

- **المصادر والمراجع:**

- ابن الأثير الجزري،الكامل في التاريخ، المحقق عز الدين أبو الحسن وأبو الفداء عبد الله القاضي ،دار الكتب العلمية ،ط1، 1407 هـ /1987م.
- أمين أحمد ،ظهر الإسلام، ج3،مكتبة النهضة المصرية القاهرة،(د،ت).
- الأندلسي أبو حامد ،تحفة الألباب و نخبة الإعجاب،تحقيق إسماعيل،العربي،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1374هـ.
- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس،عيون الأنباء، في طبقات الأطباء،(د،ط)،بيروت،1956
- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل،تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان،تحقيق هاني سلامة،(د،ط) مكتبة الثقافة الدينية للنشر، و التوزيع،بورسعيد،2001.
- البحتري، الوليد بن يحي ،الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي ،دار المعارف ،مصر ،ط3، 2001.
- . ابن بشكوال قاسم خلف الأنصاري الخزرجي، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و فقهائهم و أدبائهم، ج1،مطبعة فراسيسكو ،مدريد،1884
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي،تحفة النظار وعجائب الأسفار، ج2، تحقيق عبد المنعم العريان، مصطفى القصاص، ج2،دار إحياء العلوم،بيروت،1996.

- بعيون سهى ،إسهام العلماء المسلمين في الأندلس،ط1،دار المعرفة بيروت،لبنان،1429هـ/ 2008
- البكري أبوعبد الله،المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب،نشره بارون دي سلان،(د،ت)،باريس،1956.
- بلعربي خالد،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان،ط1،مطبعة تلمسان،2001..
- بهلول إبراهيم ،الآلات الموسيقية التقليدية في الجزائر،دار الخلدونية،الجزائر،2005
- بوعزيز يحي ،شخصية عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي و دوره في إقامة الدولة الموحدية الكبرى،أعمال البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية،جامعة وهران،1985.
- بوعياد محمد ،من الحياة الفكرية في المغرب الأوسط،الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع،الجزائر1982
- التبنكي أبو العباس محمد بن أحمد ، نيل الابتهاج،(د،ط)،مصر،1329هـ المكتبة الوطنية للنشر،الجزائر.
- بن التريكي أحمد ،الديوان ،جمع و تحقيق عبد الحق زريوح نشر بن خلدون،تلمسان،الجزائر.
- التليدي عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب،دار الأمان للنشر والتوزيع ودار البصائر الإسلامية،الرباط ،2013.

- التنسي ،أبو عبد الله محمد بن عبدالجليل بن عبد الله تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،تحقيق محمد بوعياد المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1988
- توات طاهر،ابن خميس شعره ونثره،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر.
- الجزائري عبد القادر ،بهجة الناظر في أخبار الدّاخلين في الولاية الإسبانية بوهران.
- جودت عبد الكريم يوسف،العلاقات الخارجية للدولة الرستمية(د،ط)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر.
- الجيلالي عبد الرحمن ،تاريخ الجزائر العام،ج3،ط1،الجزائر 1982.
- الجيلالي عبد الرحمن ،تاريخ المدن الثلاث،ج1،ط1،المطبعة العربية،الجزائر،(د،ت).
- ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن أبي بكر، الأمالي، للمحقق صالح سليمان قذارة ،دار الجيل ،بيروت.
- حاجيات عبد الحميد،الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي،ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب،1994
- حاطوم نورالدين ،تاريخ النهضة الأوروبية،(د،ط)،دار الفكر (د،م)1337هـ/ 1968.
- حبار مختار،شعر أبي مدين شعيب رؤيا وتشكيل،دراسة اتحاد كتاب العرب،دمشق.
- حساني مختار ،موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،دار الحكمة ،2007.

- الحريري محمد عيسى ،تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ،دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987.

- حركات إبراهيم ،المغرب عبر التاريخ، ج1، ط1، دار الرشاد الحديثة،1984.

- حمادي عبد الله ،أندلسيات غرناطة و الشعر،منشورات جامعة منتوري،الجزائر،2004

ـ الحموي ياقوت ،معجم البلدان،ج1،دار صادر بيروت،(د،ت).

- الحنفاوي أبي القاسم محمد ،تعريف الخلف برجال السلف، ط2، دار الطبع بالاشتراك مع مؤسسة الرسالة، بيروت و المكتبة العتيقة، القسم الأول 1982.

- ابن الخطيب لسان الدين،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2،ط1،مطبعة الموسوعة ،مصر،1981.

- ابن الخطيب لسان الدين،كناسة الدكان بعد انتقال السكان تحقيق محمد كمال شبانة،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2003

- ابن الخطيب لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية،(د.ط)لقاهرة،1374ه

- ابن خفاجه إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله الهواري،الديوان ،دار الصادر للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان،1381ه/1961م.

- دراجي بوزيان ،نظم الحكم في دولة بني عبد الواد ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1993.

- دنون طه عبد الواحد ،حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد السقوط،دار المدار الإسلامي،2004.

- الذهبي شمس الدين،سير أعلام النبلاءو هامشه أحكام الرجال في ميزان الاعتدال في نقد الرجال،تقديم
- حسن العفاني،تحقيق خزي سعيد،ج16،المكتبة التوفيقة في اختراق الآفاق،الجزائر، 1957.
- ابن رمضان حاج محمد ،باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بنو زيان،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984.
- ابن زهر العامري خذاش، شعر خذاش بن زهر العامري ،تحقيق دجي جبوري ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق ،1406هـ /1986م.
- سالم عبد العزيز ،تاريخ مدينة المرية،قاعدة أسطول الأندلس ط1،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1969.
- السامرائي خليل إبراهيم وعبد الله دنون طه وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ،دار الكتاب الجديد ،بيروت، لبنان ، 2007.
- سري سيدأحمد ،الطرب الأندلسي(د،ط) موفم للنشر(د،ت).
- سعد الله أبو قاسم تاريخ الجزائر الثقافي ،1800- 1830،ج2،ج3، ط3، دار الغرب الإسلامي،1998..
- سعد الله أبو قاسم ،بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني،ط2،الشركة الوطنية لكتاب،الجزائر،1984
- سعيدوني ناصر الدين ،الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و التقافية بالجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1984.

- سعيدوني ناصر الدين،دراسات أندلسية و مظاهر التأثير الإبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر،ط1،مطبعة دار الغرب الإسلامي،بيروت،2003/1124.

- سعيدوني ناصر الدين ،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984.

- سعيدوني ناصر الدين ،عصر الأمير عبد القادر،مؤسسة جائزة عبد العزيز آل سعود للإبداع الشعري،الكويت،2000.

- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1979.

- سفطي أحمد ،دراسات في الموسيقى الجزائرية،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1982

- ابن سنوسي كمال،الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان،الشيخ بن صاري أنموذجا،(د،ط) موفم للنشر،الجزائر،2011.

- الشاطبي أبو محمد قاسم الرعيني،متن الشاطبية. حرز الأماني ووجه التهاني،ط1،1، 1432.

- شعيب أبي مدين،نشره نجله محمد حجي،منشورات مركز التراث الثقافي المغربي،دار البيضاء ،مطبعة الكرامة.

- ابن الشهيدأبو عامر أحمدبن عبد الملك ،الديوان،شرح وتحقيق كرم البستاني،دار بيروت للطباعة والنشر،1399هـ/1979م.

- صاعد الأندلسي،طبقات الأمم،تحقيق حياة العبد بوعلوان ط1،دار طليعة،بيروت،1985.
- صالح خالص،إشبيلة في القرن الخامس الهجري ،دراسة أدبية تاريخية ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان،1981.
- الضبي بن عميرة ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس(د،ط)،مدريد،1948
- ضيف الله محمد الأخضر،محاضرة في النظم الإسلامية و الحضارة العربية،(د،ط)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د،ت).
- الطمار محمد ،تلمسان عبر العصور،(د،ط)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1984
- الطمار عمار عمرو،موجز في تاريخ الجزائر،ط1،دار الريحانة للنشر و التوزيع،الجزائر،2002..
- الطوخي أحمد أمين،مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،1997..
- الطيبي أمين ،دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس،دار العربية للكتاب،ليبيا،تونس،1984.
- عادل عبد العزيز محمد ،الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية(د،ط)،دار الغريب للطباعة والنشر،القاهرة،(د،س).
- ابن عبد الجليل عبد العزيز ،الموسيقى الأندلسية المغربية،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،1988
- ابن عبد ربه أحمد بن محمد بن حبيب بن سالم،الديوان،تحقيق محمد رضوان الداية،مؤسسة الرسالة،دمشق،سوريا،1979.

- ابن عجيبة عبد الله أحميدي ،مهواج التشوف إلى حقائق التصوف،تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي،(د.ط)،مركز التراث الثقافي المغربي،دار البيضاء.
- عزوق عبد الكريم ،تطور المآدن في الجزائر،(د،ط)مكتبة زهراء الشرق،(د،ت).
- ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن تمام، الفهرس، محمد الزاهي،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1985.
- ابن عفور الكلاعي ، في أحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ،دار الثقافة ، بيروت ،لبنان ،1960.
- عكاري يوسف أنطوان ،الموسوعة الموسيقية الشاملة،ج1،ط1،دار الفكر اللبناني،بيروت،1994.
- علاوي الطاهر،العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب،ط1،دار الأمة للطباعة والنشر ،الجزائر،2014.
- عنان محمد دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
- عنان محمد عبد الله،عصر الموحدين و المرابطين في المغرب و الأندلس ط2،القاهرة،1964
- عنان محمد عبد الله ،نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين ،مكتبة الخانجي،1987.
- بن عيسى الصنهاجي القلعي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، المحقق التهامي عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة ،1.

- الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس ،عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة من العلماء ببجاية،تحقيق بن أبي شنب،الجزائر، 1910..
- الغرناطي بن سعيد ،كتاب الجغرافيا،تحقيق إسماعيل العربي،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1982.
- فراج عزالدين ،فضل علماء المسلمين،على أوروبا،(د،ط)،دار الفكر العربي،(د،ت).
- الفيلالي عبد العزيز ،تلمسان عبر العصور،دار مورفم للنشر و التوزيع الجزائر،2002
- الفيلالي عبد العزيز ،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في بلاد الأندلس و بلاد المغرب،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1982
- القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج5،المطبعة الأميرية القاهرة،1997.
- ابن قنفد أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب،معجم زمني للصحابة والأعلام المحدثين والمؤلفين،علق عليه عادل نويهض،دار الأفاق،بيروت،1983.
- كنون عبد الله ،النبوغ المغربي ،ج1،ط2،دار الكتب اللبناني،بيروت 1961
- المازوني (أبو زكريا يحي المغيلي) الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق حساني مختار ج1،نشره مخبر المخطوطات،جامعة الجزائر ،2004.
- مجدي فتحي ،تاريخ الإسلام و المسلمين في الأندلس ،دار الصحابة للتراث، طنطا،2001، (د،ط) .

- محمد الشريف سيدي موسى ،مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية و الفكرية،تقديم محمد بلغيت،(د،ط)،دار هومة للنشر و التوزيع،2007.

- ابن محمد أبو نصر الفتح، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خربوش ،ط1، مكتبة المنار ،1409 هـ /1989م.

ـ المراكشي،بن عذاري ،البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب،تحقيق محمد إبراهيم الكتاني،محمد بن تاويت،محمد زبير،عبد القادر زرمامة،ط1،دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان،(د،ت)

ابن مريم الشريف،البستان في ذكر أولياء و علماء تلمسان،نشره عبد الرحمن طارق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د،ت)..

- مرزوق محمد عبد العزيز،الفنون الزخرفية في المغرب و الأندلس،(د،ط)،(ط،ت)،بيروت.

- المقري شهاب الدين أحمد محمد التلمساني،ت(1041هـ/ 1631م) ،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ج1،تحقيق مصطفى السقا،إبراهيم الأبياري،عبد الحفيظ شبلي القاهرة(د،ت).

- المقري شهاب الدين أحمد محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر زيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد بقاعي ،ط1،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت 1998.

- الميلي مبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث ،دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،1406 هـ /1896م.

- نويهض عادل ،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر،ط2،بيروت،1980.
- الهاشمي عبد المنعم ،الخلافة الأندلسية،ط1،دارين حزم للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان..
- هلال عمار ،العلماء الجزئريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين(13- 14هـ)،(د،ط)ديوان المطبوعات الجامعية 1995.
- هلايلي حنيفي ،التاريخ الأندلسي الموريكسي،(د،ط)،دار الهدي الجزائر 2010.
- الوزان(حسن بن محمد الفاسي)،ت956هـ/1549م،وصف إفريقيا،ج2،ط2 ترجمة،محمد حجي،محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي بيروت،1983
- الونشريسي أحمد ،أنس المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر و ما يترتب عليه من العقوبات و الزواجر،تحقيق حسن مؤنس،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية،مدريد المجلد05،العدد،1-2، 1987.
- الونشريسي أحمد ،المعيار المغرب و جامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية و الأندلس،و المغرب ج2، إشراف محمد حجي،دار الغرب الإسلامي 1981.
- معجم الوسيط،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية، ط4 ،2004،
- يحياوي جمال ،سقوط غرناطة و مأساة الأندلس،(د،ط) دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع،الجزائر،2004.

المراجع المعربة:

- بالنثيا آنخل جنثالت ،تاريخ الفكر الاندلسي (ليفي بروفيسال)، تر: دوقان قرقوط/منشورات مكتبة بيروت،لبنان،(د،ت).

- برودويل فرنان ،المتوسط و العالم المتوسطي،تعريب و إنجاز مروان أبي سمر، (د،)، دار المنتخب،بيروت 1993

- شاتو بريان الفيكونت ،الإسلام في الأندلس آخر بني سراج تر الأمير شكيبأرسلان،بيروت،دار مكتبة الحياة،1985.

- كولان .س، الأندلس،لجنة الترجمة دائرة المعارف إبراهيم رشيد عبد الحميد يونس،حسن عثمان،ط1،دار الكتاب اللبناني،بيروت 1980

- مورينو مانويل جوميث ،الفن الإسلامي في إسبانيا،ترجمة لطفي الدبح،عمر عبد العزيز،الدار المصرية للتأليف و الترجمة،(د،ت).

- هونكة زيغريد ،شمس العرب تسطع على العرب،فاروق يبضون،كمال دسوقي،مازون عيسى الخوزمي،مشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان،ط1964،1.

- و ولف جون(ب) ،الجزائر و أوروبا با،ترجمة و تعليق أبو قاسم سعد الله،(د،ت)،المؤسسة الوطنية للكتاب،(د،م)،1986.

- **الرسائل الجامعية:**

- بوحسون عبد القادر ،العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17م،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصرنجامعة وهران،1999.

- حرباش إبراهيم ،منوغرافية حول أرشيف مازونة،مذكرة ليسانس في علم المكتبات،و العلوم الوثاقية،جامعة وهران..

- جون محمد صالح ،أثر الأندلسيين في الأدب،رسالة دكتوراه،معهد اللغة و الأدب العربي،جامعة الجزائر،1987.

- خشاب صادق ، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، تلمسان أنموذجا،رسالةلنيل شهادة ماجستير في الفنون الشعبية،جامعة تلمسان،2001.

- خليفي رفيق ،البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 03 هـ إلى نهاية القرن 09هـ ،إشراف نجيب بن خيرة ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية نقسم التاريخ 1428 هـ /2007م.

- خميس رضا،بنية المولديات في شعر أبي حمو موسى الزياني الثاني، تحت إشراف حبار مختار ،مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري القديم،كلية الآداب والفنون،جامعة وهران.

- طيان شريفة ،الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني أطروحة لنيل الدكتوراه في الآثار الإسلامية،معهد الآثار، الجزائر، 2001.

- ظريف مصطفى ،خالد كرامة،دراسة التوسيعات العمرانية الحديثة لمدينة مازونة،مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية،مكتبة قسم الجغرافيا و التهيئة العمرانية،جامعة وهران سنة 2007.

- مولاي بودخلي عبد الرحمن النزعة الأخلاقية في الشعر الزياني،رسالة لنيل شهادة دكتوراه تحت إشراف محمد مرتاض،قسم اللغة العربية و آدابها،تلمسان،2011/ 2012.

- هلايلي حنيفي ،الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17 م، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة وهران 1999.

- الواليش فتيحة ،الحياة الحضارية في بايلك الغرب خلال القرن 18 ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،معهد التاريخ،الجزائر ،1994.

المجلات:

- بلحميسي محمد ،دراسة حول الموريسكيين الأندلسيين في تونس،مجلة تاريخ العرب،العدد11، مركز ودود للمخطوطات جوان 1974.

- بلحميسي مولاي ، دور مدرسة مازونة الحركة العلمية من القرن 15 الى منتصف ق 20،مجلة العصر،العدد 11، الجزائر. صدر 01 أكتوبر 1997 .

- بورويبةرشيد ، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، عدد 26، صدرت عن وزارة الشؤون الدينية،الجزائر، 1978.

- حاجيات عبد الحميد ، ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين، مجلة كلية الآداب العدد الأول، المجلد الثاني، جامعة تلمسان، 2000 .

- الحزازي مسعود،نصوص الدعاء في الشعر الجزائري القديم،دراسة فنية،مجلة الوحات للبحوث والدراسات،العدد16،الجزائر، 2012 .

- سعيدوني ناصر الدين ،الجالية الأندلسية بالجزائر و مساهمتها العمرانية و نشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي،مجلة الأوراق العدد الرابع،المعهد الإسباني العربي للثقافة،مدريد،1984.

- سعيدوني ناصر الدين ،صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر،المجلة العربية للثقافة العربية، الرياض ،العدد 27، 1994.

- سعيدوني ناصر الدين ، موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري،المجلة التاريخية المغربية،تونس،عدد 57- 58 جويلية، 1990.

- شقرون جيلالي ،أستاذ بجامعة سيدي بلعباس ،قسم التاريخ ،تلمسان مركز الإشعاع الحضاري، مجلة الفقه والقانون، المملكة المغربية.

- طالبي محمد ، الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين مجلة الأصالة، العدد 26، صدرت عن وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر،1975.

- عجاج الإيزولي محمد سعيد رضوان،تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي . أبومدين شعيب أنموذجا . مجلة التواصل الأدبي ،تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة باجي مختار ،عنابة، الجزائر ،العدد 04 ،2013.

- العبد مسعود ،حركة التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة سيرتا،العدد 03، قسنطينة ماي 1980،

ـ العسلي بسام ، الأتراك العثمانيون و مسلمو الأندلس،مجلة منار الإسلام،عدد الأول، الإمارات ،أوت 1998.

ـ عطشان عائشة ، سجلات المحاكم الشرعية و أهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي مجلةلسانيات، وهران، مركز البحث في الأنتربولوجية.

ـ غراسة عمار ، الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان أنموذجا،مجلة الواحات للبحوث والدراسات الجزائر،العدد 15 ،2011.

- قوراري عيسى ، مجلة العلوم الإنسانية السنة الرابعة،العدد 31 تصدرها جامعة محمّد خيضر ،بسكرة ،الجزائر،تشرين ، 2006.

- كارداياك لوي ، المورريسكيون الأندلسيون و المسيحيون،منشورات المجلة التاريخية المغربية،مطبوعات الجامعة، ج1، 1983.

- مؤنس حسين ، غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ،مجلة العربي، الكويت،العدد 89.

- المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد 06، العدد الثاني، الأردن ، 2012.

- يحياوي جمال ،آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان،مجلة الوعي،العدد المزدوج (3- 4)أفريل، ماي،لبنان، 2011.

المراجع الأجنبية:

- Attalah Rima, le royaume abdouad a lépoque dabou hamou mossa et abou tachfin,alger,1998.
- Djilali dari , les villes précoloniales de l ' algerie oxidental ; nedrouma, mazouna, kala,S.M.E.D alger.
- Denis berahim. quelque jugements sur les maures andalous dans les regences turque in R.H.V.M(N :9) joullet 1970.
- Devoulx .notice sur les corpotion religieuses inédit, alger , jordan .
- Henri leon, histoire d’ oron avant , pendant et après la donimation espanol,idition dar el egharb,oran,2002.
- Luis rinn ,Le royaume d’alger sous le dernier day,Alger,édition G.A .T.
- Marçais (G) architecture musulmane d 'occident.paris,1955.
- Marçais (G), les moniment arabes de tlemcen, librairie thorin, paris,1903.

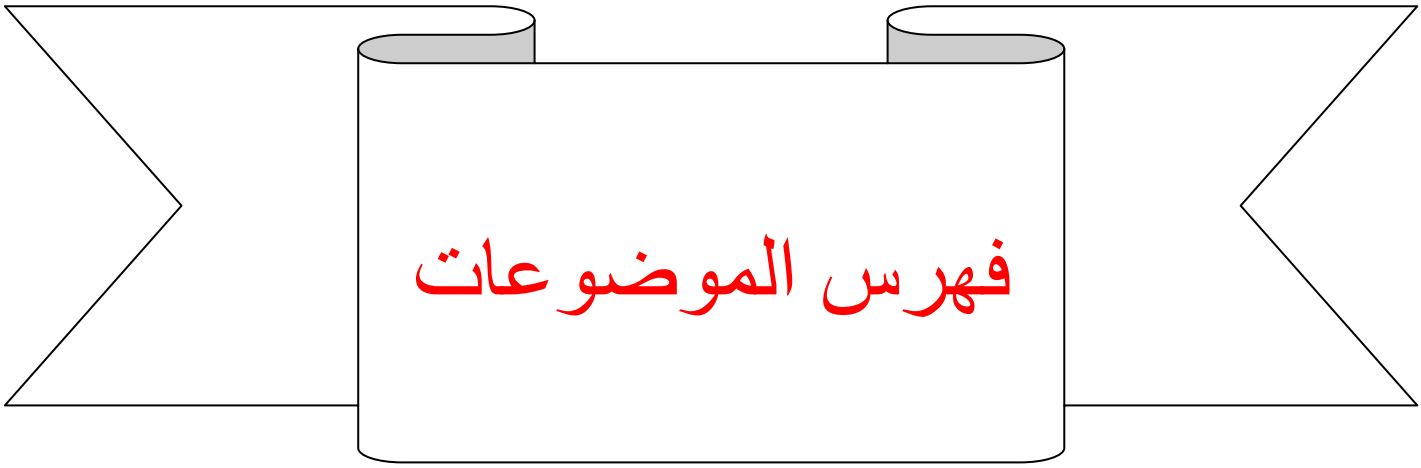
فهرس الموضوعات

- مقدمة.....(أ . د)
- مدخل :الجذور التاريخية لبلاد الأندلس..... .(16_ 01.)

الفصل الأول:الروابط الثقافية بين الجزائروالأندلس قبل الهجرة الجماعية:(1 1_75)

- تمهيد..... (11)
- مدرسة بجاية الأندلسية..... (43_11)
- مدرسة الجزائر الأندلسية..... (46_ 44)
- مدرسة مازونة..... (51_47)
- المراكز الإشعاعية في الجزائر والأندلس ودورها في تثمين الروابط الثقافية بين البلدين (60_52)
- رحلة علماء الجزائر إلى الأندلس..... (70_61)
- التبادل العلمي بين حاضرة تلمسان والأندلس..... (75_71)

الفصل الثاني:الهجرة الأندلسية وآثارها في الجزائر في أبعدها الدينية والتاريخية والجغرافية والسياسية. (121_76)

- تمهيد..... (77)

- أسباب الهجرة ودوافعها ..... (84_77)
- مراحل الهجرة..... (91_ 85)
- موقف فقهاء الإسلام من الهجرة..... (99_ 92)
- أشكال الهجرة الأندلسية إلى الجزائر.....(102_100)
- أوقاف أهل الأندلس.....(107_ 103)
- طرق اتصال الأندلسيين بالجزائر.....(114_108)
- انعكاسات الهجرة الأندلسية في الجزائر.....(121_ 114)

الفصل الثالث:التأثير الأندلسي في حاضرة تلمسان أنموذجا (122_194).

- اهتمام حكام تلمسان بمهاجري الأندلس بعد سقوط الفردوس المفقود....(125_123)
- التأثير الأندلسي في العمارة..... (133 _126)
- التأثير الاقتصادي في حاضرة تلمسان.....(142_ 134)
- التأثير السياسي والإداري والعسكري..... (147_143)
- التأثير الأندلسي في المجال الاجتماعي.....(154_148)
- التأثير الفني والعلمي والثقافي الأندلسي في حاضرة تلمسان.....(194_155)

- **خاتمة**.....(**196_ 201**)
- **ملحق الأعلام والأماكن**.....(**202_213**)
- **ملحق خاص بأوقاف أهل الأندلس**..... .(**214 _217**)
- **ملحق الصور**.....(**218_249**)
- **المراجع والمصادر**.....(**250_ 267**)
- **فهرس الموضوعات**.....(**268_271**)

الكلمات المفتاحية: الأندلسيون . الهجرة . الآثار . تاريخ . حاضرة. التأثير . تلمسان .....

الملخص :عندما نتلفظ كلمة الأندلس تحن قلوبنا إلى ذلك الفردوس والزمن الضائع الغابر، لما صنعوه من مجد وسيادة فتملكوا زمام الأمور فكانت لهم الريّادة والسيادة،ولكن لم تلبث هذه الحضارة طويلا إلا ومالت شمسها إلى الغروب فأفل آخر نجم لها غرناطة،فتعرض فنانونا وعلماؤها و حرفيوها إلى التهجير والتنصير فشدوا الرحال إلى البلدان المجاورة لعلهم يجدون مكانا آمنا يحميهم من الاضطهاد والتعسف آملين في العودة إلى وطنهم الأم.فعجت حواضر بلاد المغرب بهم مثل بجاية ،تلمسان ،قيروان،مازونة..... فبعثوا فيها نسيم الحضارة والرقي لجلبهم معهم حرفهم وإبداعاتهم ومؤلفاتهم وطرقهم وأساليبهم في العمارة والتعليم والموسيقى...التي مازالت شاهدة على إسهاماتهم ودورهم في إثراء الحضارة وخدمة الإنسانية.

Les mots clés :

L’immigration ,les Andalous ,les ruinson sites historiques, l’histoire, présente ,l’influence ,Tlemcen .

Résumé :Quant on parle de l’Andalous, on évoque l’époque d’un royaume perdu, un paradis et une civilisation sans précédant qui n’a pas duré trop longtemps .
L es artisan ,les artistes et les savent ont immigré et ils ont choisi les pays voisins afin de trouver un lieu sur pour se protéger contre de la souffrance et la torture ,espérant le retour un jour à leurs pays.

Plusieurs villes Maghrébines étaient leurs destinations comme Bejaia, Tlemcen et Mazouna afin de faire renaitre l’ air la glorieuse civilisation Andalouse par l’ artisanat ,les œuvres, les styles architecturales ,l’enseignement et la musique témoignent et marquent leur rôle dans l’épanouissement de la civilisation humaine.

Keywords: Andalusians – migration - ruins - history – present/ city – effect - /influence –Tlemcen .

Abstract :Whenever one hears the word “Andalusia” ,his heart feels a strong

throb of e motions for that lost paradise and old missing era and for what the Andalusians realized as glory. Indeed, they exerted a thorough control and mastery over all fields ,which made them th e sole leaders of their time.

However, their civilization did not last for so long , and their ultimate thriving city “Granada” collapsed. Subsequently ,its artists, scholars and craftsmen were given two alternatives: either to stay and embrace Christianity or be forced off their state “ Andalusia” .So, they had no choice other than leaving to the neighboring countries looking for a secure place to protect them from tyranny and repression.

Some Maghreb cities such as Bedjaia ,Tlemcen, Kairawan, Mazouna .. ..became bustling with life, refinement and prosperity because Andalusia’s craft, creative works ,styles in architecture ,education and music. These are still witness of their role and contribution to the enrichment of the contemporary civilization and service the whole humanity.